صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الأفريقي (7)

الحركة السنوسية
في ليبيا

وسيرة الزعيمين
محمد المهدي ، وأحمد الشريف

- الجزء الثاني -

تأليف
الدكتور علي محمد محمد الصلابي



الإهداء

الى العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين،

وطلاب العلم المجتهدين،وأبناء الأمة الغيورين

أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه

الحسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصاً

لوجهه الكريم

قال تعالى: .... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِهِ فَلْيَعمَل عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِه أَحَدَاً.

(سورة الكهف، آية 110)

مُقَدِّمَة
إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله , ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حَق تقاتِهِ ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون- (سورة آل عمران : آية 102).
, ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطعِ الله ورسوله فقد فازاً فوزاً عظيماً-
(سورة النساء، آية 1).
أما بعد؛
يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.
هذا الجزء الثاني من الكتاب السابع يتحدث عن الحركة السنوسية في ليبيا وقد سميته (الحركة السنوسية في ليبيا وأثرها الدعوي والجهادي وسيرة الزعيمين محمد المهدين واحمد الشريف).
إن غربلة التاريخ، وحفظه من التزوير ، وكشف الاكاذيب التي دسها أصحاب الأغراض الخبيثة الذين عملوا على تشويه، وتزويره، وتشكيك الاجيال في سير ابطالهم، وقدواتهم، لعبادة عظيمة يحبها المولى عز وجل الذي من اسمائه الحسنى العدل، والحق إن الأبناء البررة يحفظون لزعماء بلادهم، وصانعي تاريخها، اعمالهم العظيمة، وجهادهم الشاق، ودعوتهم المخلصة مع الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة قال تعالى: {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}.
لقد اطلع مجموعة من المفكرين، والمختصين بشؤون الدعوة، والمهتمني بأمر التاريخ على سيرة الامام محمد بن علي السنوسي، فنالت اعجابهم واشادوا بالأسس التي قامت عليها الحركة السنوسية من إيمان عميق، واخلاص لله، وعلم غزير، وجهاد متواصل ، واشاروا الى أهمية نشر مثل هذه المعلومات لأنها تساهم في توعية الاجيال بحقائق مهمة في مجال الدعوة الى الله تعالى.
وفي هذا الجزء من هذه الدراسة نحاول أن نتعرف على سيرة إمامين من أئمة الدعوة السنوسية، محمد المهدي السنوسي، وأحمد الشريف السنوسي.
فالإمام محمد المهدي يعتبر الزعيم الثاني للحركة السنوسية وكانت سيرته مليئة بالدروس والعبر، والعظات، وتوسعت الحركة في زمنه اكثر من اربعة اضعاف على ماكانت عليه وحققت انتصارات عظيمة للاسلام في إفريقيا بسبب اخلاصه لله، وصدقه في الدعوة، وتفانيه في العمل ، وشجاعته النادرة، ورجولته الصادقة، وسيره الرشيد المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لقد نمت الحركة السنوسية في عهد المهدي حتى بلغت ذروة نموها وانتشارها، وكانت فترة قيادته أكثر من أربعين عاماً، فكانت هذه المدة الطويلة، فترة استقرار وانتشار للدعوة، ويمكن تسميتها بالعصر الذهبي للدعوة السنوسية.
وكان المهدي بعيد النظر، سديد الرأي ، شديد العزم على إتمام البناء الذي شيده والده ابن السنوسي، فواصل مسيرة والده في انشاء الزوايا، وإرسال الدعاة والعلماء الى قبائل افريقيا، فدخلوا النيجر والكنغو والكامرون وجهات بحيرة تشاد، وعمل على ذيوع الدعوة عن طريق واداي، وبرنو، وكانم، والداهومي وغيرها.
لقد تغلغلت الحركة السنوسية بقيادة المهدي السنوسي في قلب افريقيا من البحر المتوسط شمالاً، الى قلب السودان الغربي جنوباً حيث كانت تنتشر الوثنية، وبتوفيق الله تعالى ثم هذه الجهود العظيمة دخل عدد كبير من الزنوج في الدين الاسلامي، وخرجت عدة قبائل وثنية من مهاوي الكفر بدرجة لايتصورها العقل وفي هذا يقول الشاعر:

كانت طريقته القيام بسنة

نبوية لالاءة الاوضاح

فله من الخدمات للاسلام ما

يعلو على متناول الشراح

يكفيه نشر الدين في الآلاف من

أقصى حدود (الشاد) حتى (الواح)

نصر لدين الله بين مجاهل

صعبت على الرواد والسياح

فازوا من الفتح المبين بعزة

الاسلام بعد عبادة الاشباح

لقد بسطت الحركة السنوسية في زمن المهدي سلطانها الروحي على أقاليم كثيرة في أفريقيا، وحققت نجاحات كبيرة في أوساطها ، وفي قلب الصحراء الكبرى، وكانت عقبة كأداء في طريق الرسالات المسيحية التنصيرية، التي وجدت في اتباع السنوسية خصوماً عنيدين ، عطلوا عليها أعمالها لدرجة بعيدة.

لقد كانت سيرة محمدالمهدي السنوسي، روحها إيمان عميق بالله، وحب شديد لدعوته الخالدة، ورغبة أكيدة في الشهادة في سبيله، وجهاد مرير لأعداء الاسلام، وصبر لا ينفذ في مجال الدعوة، ومجالدة دول الاستعمار بالبناء المتين، والتربية الشاملة ، والأعداد المتوازن في كافة المجالات.

لقد اتصف محمد المهدي بصفات القادة الربانيين، من سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة الحسنة، والصدق والشجاعة، والمروءة ، الزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع ، وقبول النصح، والحلم ، والصبر، وعلو الهمة، والحزم ، والارادة القوية، والعدل ، والقدرة على حل المشكلات، والقدرة على التعليم وإعداد القادة ، وإيمان بالله عظيم.

لقد انعكست ثمار الايمان بالله على جوارحه، وتفجرت صفات التقوى في اعماله ، وسكناته واحواله واستطع بتوفيق الله تعالى أن ينتقل بالحركة نحو اهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، ورؤية واضحة، ومعرفة حقيقية للظروف المحلية والإقليمية والدولية التي تحيط به.

لقد كانت معالم سيرته ، كما قال الشاعر:

كانت معالمها كسيرة جده

احياء دين وانتشار صلاح

اعمال مجتهد بخالص نية

للخير منتصر بغير سلاح

لو كان عن شيء لغير الله في

اعماله ماكللت بنجاح

اذ لايدوم سوى الذي هو نافع

للناس مرتفع عن الارباح

ومن الكرامة للولي نجاحه

في النصح بالاقناع والافصاح

والمرء لايعجبك منه ماسعى

بل مانوى في السعي من اصلاح

فإذا استوى علم وحسن عقيدة

كان النجاح حليف كل طماح

إن العقيدة لا يصح يقينها

إلا بفعل ظاهر وصراح

فإذا أحب الله باطن عبده

ظهرت عليه مواهب الفتاح
وإذا صفت لله نية مصلح
مال العباد إليه بالارواح
هذي صفات السيد (المهدي) ولا
والله مابالغت في الايضاح

إن هذا الجهد المتواضع يحاول أن يجيب القارئ الكريم عن كثير من الأسئلة التي تتعلق بسيرة محمد المهدي السنوسي: كيف طلب العلم؟ وكيف تولى زعامة الحركة؟ وهل كان له مجلس شورى؟ وهل تطورت مؤسسات الحركة السنوسية في عهده؟ وماهي اسباب نمو الحركة؟ وهل كان هناك اهتمام خاص في زمنه بالمنهج التربوي الجهادي؟ ولماذا هذا الاهتمام ؟ وماموقف الدول الأوروبية من الحركة السنوسية؟ وماموقف محمد المهدي السنوسي من الثورة العرابية في مصر، وثورة محمد احمد في السودان؟ وماموقفه من الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الاسلامية؟ وماهي الاهداف من رحلاته وانتقاله الى الكفرة ثم قرو؟ وماحقيقة الصراع بين فرنسا والحركة السنوسية؟

هذه الاسئلة وغيرها يحاول الكتاب أن يجد لها إجابات مقنعة من خلال البحث التاريخي.

أما سيرة الزعيم الثالث للحركة السنوسية السيد أحمد الشريف السنوسي، فيجد القارئ شيئاً من سيرته في هذا الكتاب الذي يحاول أن يعرّف أبناء الأمة عموماً وليبيا خصوصاً بهذا السيد الصنديد والعالم الجليل، والعابد الخاشع، والمجاهد الشجاع ، والمهاجر الحزين بقصته الدعوية، وسيرته الجهادية، واعماله البطولية سواء ضد فرنسا في تشاد والنيجر ومالي وجنوب الجزائر، عبر الصحراء الكبرى، أو ضد إيطاليا في ليبيا أو بريطانيا في مصر، لقد قال في حقه الشيخ الطاهر الزاوي: (فالسيد أحمد رجل صقله العلم، وهذبته العبادة، فعفت نفسه، وكبرت همته، وانكمشت يده عما للناس فيه حق أو شبه حق، وأخلص عمله لله فتولى الله توفيقه، وأطلق ألسنة الناس بمدحه والثناء عليه).

وقال فيه شكيب ارسلان: (... فالسيد أحمد الشريف السنوسي هو خاتمة مجاهدي الاسلام الى هذا الوقت قد سبقه الشيخ شامل الداغستاني الذي قاوم الروسية أربعين سنة والامير عبدالقادر الجزائري الذي ناهز فرنسا 17 سنة وتبعه في الجهاد واقتدى بسيرته محمد عبدالكريم الخطابي الريفي الذي كانت مقاومته قصيرة ولكنها عريضة توافق فيها دولتي فرنسا وأسبانيا معاً وجهاً لوجه وزلزلتا في حربة زلزالا شديد ولولا السيد أحمد الشريف -رحمه الله- لكانت ايطاليا استصفت قطري طرابلس وبرقة من الشهر الاول...) وقال أيضاً: (...ولم يكن في قلبه شيء من الدنيا بجانب الآخرة وكانت جميع حطام هذا العالم الفاني لا توازي عنده جناح بعوضة في جانب الواجب الاسلامي وهذا الرجل هو السيد السنوسي الكبير الذي لولاه لم يكن أنور قدر أن يعمل شيئاً ولا كانت الدولة العثمانية قدرت أن تدافع عن طرابلس شهراً واحداً. وما كان المرحوم الشهيد البطل الفريد عمر المختار إلا حسنة من حسنات السيد احمد الشريف وقائداً من قواده...) وقال أيضاً: (...أن السيد أحمد الشريف هو بنفسه أمة، وأن سيرة السيد احمد الشريف هي بذاتها تاريخ. وإن كل من عرف عن كثب ذلك السيد الغطريف علم من أخلاقه وورعه وحلمه وعلمه وزهده في الدنيا وحبه لمعالي الأمور وعزوفه عن سفاسفها ومؤاساته للفقراء وحنانه على الضعفاء وشدته مع ذلك في الدين وانحصار كل همومه في استتباب أمر المسلمين ومحافظته على الفرائض والسنن وغير ذلك من الأخلاق العالية والهمم الشماء والمنازل القعساء مايذكر بأخلاق الصحابة الكرام بل يشبه من أخلاق الخلفاء الراشدين العظام...) وقال في حقه أيضاً: (....ولم يكن للسيد غرام في الدنيا إلا بأمر هذه الأمة ولما سالته عند اجتماعنا في مكة عن أولاده الذين تركهم أطفالاً أجابني: قد صاروا الآن رجالاً وما أنا بمفكر في أمرهم؛ إنما يهمني أمر هذه الأمة المعذبة في طرابلس، وكان في قلبه من أمر طرابلس مالا يعلمه إلا الله ولكنه كان في إيمانه في ثبات الجبال وكان يرى في هذه المصائب مقدمات يقظة الاسلام...).

وقال عنه أنور باشا القائد التركي المشهور في جهاده ببرقة: (...رسائله تشكل بصورة واضحة أهمية كبيرة بالنسبة لي كرمز للصداقة ؛ لأنه الشخص الوحيد الذي يتمتع بتأثير سلبي أو ايجابي في هذه الحرب...).

في هذا الكتاب سيجد القارئ ماقاله المؤرخون في حق أحمد الشريف هل هو صواب أم خطأ، ويجد إجابات لكثير من الاسئلة المتعلقة بسيرته: كيف تولى احمد الشريف زعامة الحركة السنوسية؟ وهل خاض بنفسه الحروب ضد فرنسا؟ ومن هم القادة الذين كانوا معه؟ وماموقفه من الغزو الايطالي؟ وهل وقف مع الاتراك ضد

الغزو؟ وهل وافق على الصلح الذي تم بين تركيا وايطاليا؟ وماموقف الزوايا السنوسية من الاحتلال الايطالي؟ وهل تفاعل العالم الاسلامي مع جهاد ليبيا؟ وهل دخول احمد الشريف في حرب بريطانيا في الأراضي المصرية كان صحيحاً من الناحية العسكرية والسياسية؟ وماهي اسباب هزيمة احمد الشريف امام بريطانيا في الجبهة الشرقية؟ وماحقيقة الخلاف بين ادريس السنوسي، وأحمد الشريف؟ وماهي آثار حملته ضد بريطانيا على حركة الجهاد؟ وماهي الاسباب الرئيسية في سفره الى تركيا؟ كيف ومتى وصل الى تركيا؟ وماموقفه من مصطفى كمال ؟ وهل عرض عليه مصطفى كمال منصب نيابة الخليفة؟ وهل شارك في جهاد الاتراك ضد اليونان؟ ولماذا طرده مصطفى كمال من تركيا؟ والى اين هاجر وكيف كان استقبال الملك عبدالعزيز آل سعود له؟ ومتى توفي؟

نعم اسئلة كثيرة يحاول الكاتب أن يجيب عليها في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

لقد وفقني الله تعالى للجمع والترتيب والتحليل، فإن كان خيراً ؛ فمن الله وحده، وإن أخطأت السبيل فأني عنه راجع إن تبين لي ذلك والمجال مفتوح للنقد، والرد، والتعليق، والتوجيه، كما أقرر بأنني قد استفدت كثيراً من الجهود التي سبقتني، ككتاب (الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الاولى) لمصطفى علي هويدي، وجهاد الابطال للشيخ طاهر الزاوي، وحركة الجامعة الاسلامية ، لأحمد فهد الشوابكة، والغزو الايطالي لليبيا لعبدالمنصف البوري، وتاريخ ليبيا المعاصر لمحمود عامر، وحروب البلقان لعايض الروقي، وبرقة العربية لمحمد الطيب الأشهب، والمهدي السنوسي لمحمد الطيب الأشهب، والحركة السنوسية للدجاني، والفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية لعبدالقادر بن علي، وغيرها من الكتب، وقد دونت مااختصرته من مباحث وأشرت إليه في هامش الكتاب للأمانة العلمية، واعترافاً بجهود الذين سبقوا كما أنني انتهجت منهجاً دعوياً تاريخياً يعتمد على توسيع النقاط البيضاء المشرقة، وتضييق النقاط السوداء المظلمة، مساهمة مني في علاج الهزيمة النفسية التي يمر به شعبنا المظلوم ومتضرعاً لله تعالى الحي القيوم أن يحي شعبنا وأمتنا بالإيمان والقرآن الكريم وسنة سيد الخلق أجمعين.

إن هاتين السيرتين العطرتين تبين لمسلمي ليبيا، أن من أصلاب أجدادهم خرج مثل هؤلاء الابطال وعاشوا للذود عن الاسلام ونشره بين الأنام، وبذلوا الأنفس والأموال والغالي والثمين من أجل دينهم وعقيدتهم واسلامهم، كما تعطي الأمل في نفوس دعاة شعبنا بأن شجرة الاسلام الزكية الضاربة بجذورها في شعبنا من زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكفيلة بأن تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

هذا وقد قمت بتقسيم الجزء الثاني من الكتاب السابع في السلسلة التاريخية الى مقدمة وفصلين ، وخلاصة وهي كالآتي:

الفصل الاول: محمد المهدي ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه وولادته وشيوخه ومبايعته ومواقفه.

المبحث الثاني: موقف محمد المهدي السنوسي والليبيين من الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الاسلامية.

المبحث الثالث: رحلة المهدي السنوسي الى الكفرة وقرو.

الفصل الثاني: الزعيم الثالث للحركة السنوسية، أحمد الشريف ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: ولادته وتربيته وشيوخه.

المبحث الثاني: تولي قيادة الحركة.

المبحث الثالث: الغزو الايطالي.

المبحث الرابع: الجهاد في برقة.

المبحث الخامس: الحرب العالمية الاولى.

المبحث السادس: وصول احمد الشريف الى تركيا.

ثم الخلاصة.

وأخيراً: أرجو من الله تعالى أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة مايملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من القارئ الكريم أن لاينسى العبد الفقير الى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه في صالح دعواته.

((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين)).

الفقير الى عفو ربه ومغفرته
علي محمد محمد الصّلابي

الفصل الأول
محمد المهدي السنوسي

المبحث الأول
اسمه، وولادته، وشيوخه، ومبايعته، ومواقفه

أولاً: اسمه وولادته وشيوخه:
هو محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي ولد في الجبل الأخضر في ليبيا في محل يقال له ماسة، يقع

بجانب زاوية البيضاء، في شهر ذي القعدة عام 1260هـ، الموافق نوفمبر 1844م[1].

ويذكر أحمد الشريف في تاريخه: (أن ابن السنوسي كان في درنة عند ولادة ابنه المهدي، فكتب له عمران بن بركة يهنئه ويسأله عن الاسم فلما قدم المبشر عليه حكى لهم حكاية قال: كان رجل يخرز طبلاً فمر به جماعة وهو يخرز. قالوا له: ماذا تفعل؟ قال: اذا يبس تسمعون صوته. ثم قال لحميه احمد بن فرج الله هذا المولود الذي ازداد على ابنتك يقف موقفاً يجري فيه الدم مجرى الماء في الوادي. وكتب لعمران بتسميته محمد المهدي وقال: اسميناه المهدي ليحوز إن شاء الله أنواع الهداية، ونرجو الله أن يجعله مهدياً)[2]. لقد كان مجيئ الولد لابن السنوسي بعد ما تقدمت به السن وكان الاخوان السنوسيون يتمنون من الله أن يرزق شيخهم مولوداً مباركاً، ولذلك كانت فرحة الاخوان، وابن السنوسي بهذا المولود عظيمة، وسارع عمران بن بركة لزف البشرى لوالده، لإدخال السرور على قلبه، وبعد مدة أرسل ابن السنوسي الى زوجته بالقدوم الى درنة وسلم ابنه للمرضعة، وكان سرور ابن السنوسي عظيماً وكان يرى أن ابنه المهدي سيخلفه بالدعوة ويكمل مابدأه هو من أعمال، ومكث ابن السنوسي في درنة بجانب أهله الى أن ولد ابنه الثاني سنة 1262هـ/1846م. (وعندما كتب له عمران بن بركة يهنئه ويسأله عن اسم الوليد الثاني رد له الجواب بتسميته الشريف قائلاً له : (إننا لا نحيد بأسماء ابنائنا عن اسماء النبيﷺ وإنما يختلفون في الألقاب والكنى فكما سميت الأول محمد المهدي ليحوز انواع الهداية فسمي هذا محمد الشريف ليحوز أنواع الشرف..ثم شرّق للحجاز)[3].

واسند أمر تربية أولاده للأخوان وكان المسؤول الأول الشيخ العلامة عمران بن بركة وكان يتابع أخبار ولديه في برقة وعندما أتم المهدي الخامسة من عمره أرسل ابن السنوسي للأخوان الكافلين له قائلاً: ادخلوه الكتّاب وعلموه الوضوء والصلاة. ففعلوا كما أمر[4].

وبعد أن أتم السنة السادسة من عمره أدخله المدرسة القرآنية تحت إشراف العلامة عمران بن بركة الفيتوري، وفي منتصف السنة السابعة من عمره. حفظ جميع القرآن الكريم.

وكان علماء الحركة السنوسية يعلمون أولادهم كتاب الله، ويشجعونهم على حفظه مقتدين في فعلهم بفعل الصحابة مع أولادهم وبأقوال العلماء في هذا الباب:

قال السيوطي: (تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الاسلام فينشأون على الفطرة ويسبق الى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال)[5].

---

(1) الحركة السنوسية ، ص169.

(2) السنوسي الكبير ، ص34.

(3) أحمد الشريف المخطوط، ص76.

(4) الحركة السنوسية ، ص170.

(5) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور، ص104.

وأكد ابن خلدون هذا المفهوم بقوله: تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهالي الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الاحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه مايحصل بعد من الملكات)(1).

وبعد أن سمع والده بحفظ ابنه للقرآن الكريم طلبه والده للمجيئ للحجاز، وصحبه العلامة محمد بن ابراهيم الغماري، وهناك عهد به والده الى نخبة من العلماء لتربيته وتلقينه العلوم تحت إشرافه المباشر، وفي سنة 1274هـ رجع محمد المهدي الى الجغبوب بصحبة العلامة عبدالرحيم المحبوب، وواصل محمد المهدي تعليمه العالي في معهد الجغبوب وأشرف على تعليمه وتربيته والده ابن السنوسي وكبار الأخوان.

وكان ابن السنوسي يتابع بعناية فائقة حركات وأقوال وأفعال ابنه، ويوجهه للصفات الرفيعة، والأخلاق الحميدة، وكان محمد المهدي منذ طفولته يتميز بالذكاء، وحسن الخلق، والتربية الرفيعة، ومن القصص التي تدل على صفاته الحميدة، جيئ للسيد المهدي في إحدى المناسبات بجواد مسروج ليركبه، وكان محمد المهدي لايزال صغيراً بحيث أنه لايستطيع وضع رجله بدون واسطة في ركاب السرج، وتقدم أحد الاخوان مطأطئاً ليصعد المهدي على كتفه حتى تصل رجله الركاب، وكان ابن السنوسي يلاحظ هذه الحركات وينظر إليها بإهتمام من طرف خفي، ورفض المهدي أن تطأ رجله كتفي الشخص الذي تقدم لمعاونته رفضاً باتاً، وأخذ يقود جواده بنفسه الى أن اقترب من حجر عال مثبت بالأرض فعلاه وبذلك تمكن من أن تصل رجله الى ركاب السرج فنال هذا اعجاب واستحسان والده والاخوان الحاضرين(2).

(وكان والده يكثر من سؤال الاخوان الذين يشرفون على تربيته وتعليمه عما وصل إليه فكانوا يبدون أعجابهم)(3).

وفي السنتين الأخيرتين من حياة ابن السنوسي اهتم بتوطيد مركز ابنه المهدي بين الأخوان، وألقى الأضواء عليه، وعمل على رفع شأنه.

نقل عن الشيخ عمر الفضيل -رحمه الله- قوله: جاء السيد المهدي بـ(لوحة) الى والده ابن السنوسي يريد أن يبدأ له فيه (بالأفتتاح) فلما فرغ من كتابته قال له: أشهد لنا بأننا خدمناك(4).

وكان ابن السنوسي يقف احتراماً للمهدي عندما يستأذنه للخروج، وأنه أصلح له حذاءه مرة وقال للاخوان: اشهدوا أنني خدمت المهدي، فخجل ابنه وتبللت ملابسه بالعرق وأحمر وجهه حياء حتى قيل أنه أصيب بنوع من الحمى(5).

وقال في احدى المناسبات (المهدي له السيف والشريف له الكتاب. ثم البسه السيف وقال له تقدم لتصلي بنا)(6).

وحرص ابن السنوسي أن يزوج ابنه المهدي في حياته، فزوجه وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره بفاطمة ابنة عمران بن بركة وذلك عام 1275هـ/1858م، وقد أنجبت للمهدي عدة أولاد وتوفيت في حياته سنة

---

(1) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، ص105.

(2) انظر: السنوسي الكبير، ص135

(3) انظر: الحركة السنوسية، ص172.

(4) انظر: السنوسي الكبير، ص136.

(5) المصدر السابق نفسه، ص136.

(6) انظر: الحركة السنوسية ، ص171.

1891م[1].

<u>ثانياً: مبايعته:</u>

عندما توفي ابن السنوسي في صفر عام 1276هـ كانت سن محمد المهدي حوالي ستة عشر سنة، ومع هذا فقد خف كبار العلماء والشيوخ في الحركة السنوسية الى مبايعته، وكان على رأسهم عمران بن بركة، وأحمد الريفي، علي بن عبدالمولى، ومحمد المدني التلمساني، محمد بن حسن البسكري، وعبدالمتعال الادريسي، احمد ابوالقاسم التواتي، ابوالقاسم العيساوي، عمر الأشهب، محمد بن الشفيع، مصطفى المحجوب، عبدالرحيم المحبوب، عمر الفضيل، محمد السكوري، احمد ابوسيف، محمد بن الصادق الطائفي، ابوسيف مقرب، ومحمد بن ابراهيم الغماري، عبدالله السني، المرتضى فركاش، حسين الغرياني، فالح الظاهري، فقدموا لمحمد المهدي وشقيقه محمد الشريف واجب التعزية، وبايعوا الإمام المهدي قاطعين على أنفسهم عهد الله وميثاقه أن لايتهاونوا بواجب الامانة التي تركها شيخهم الجليل لهم، وانهم مستعدون لتقديم الانفس والأرواح، في سبيل دعوتهم ودينهم، وكانت تلك البيعة قبل دفن ابن السنوسي[2] -رحمه الله تعالى- وقد بين عمران بن بركة في خطبة تأبين ابن السنوسي هذه البيعة في قوله: (... وأن تجعل تأييد الدين وتمامه على لسان ويد نجله الطاهر وفرعه الزاهر ووارثه الماهر سيدي ومولاي السيد محمد المهدي،...)[3].

<u>ثالثاً: المجلس الأعلى للحركة وسير الحركة:</u>

كون الامام المهدي السنوسي مجلساً أعلى من كبار الاخوان، يتكون من ؛ العلامة عمران بن بركة، واحمد الريفي، علي عبدالمولى، وفالح الظاهري، عبدالرحيم المحبوب، محمد المدني التلمساني، محمد بن الحسن البسكري، وسيف مقرب[4]، وكان هذا المجلس يمثل قمة الهرم الذي قاعدته الزوايا، وكان يضم كبار رؤساء الزوايا في برقة وطرابلس ومصر، والحجاز والسودان، وشمال أفريقيا، وكان يجتمع سنوياً في الجغبوب للنظر في أهم أمور الحركة، وكان يرأسه محمد الشريف السنوسي ثم تعرض قراراته على الامام المهدي، للموافقة عليها، او تعديلها بما يبدو له، أو رفضها، أما المجلس الخاص، فيتكون من كبار الاخوان المقمين في الجغبوب، فيعقد جلساته يومياً بالجغبوب، وللكثير من اعضائه أعمال اخرى مضافة الى عضوية المجلس وهو يشكل قيادة للحركة، وقد وصف الطيب الأشهب هذا المجلس ، بمثابة مجلس الوزراء، فالسيد احمد الريفي بمثابة رئيس للوزراء، وهو المستشار الخاص للامام محمد المهدي، وعمران بن بركة رئيس مجلس الشيوخ، وعلي بن عبدالمولى حاكم الجغبوب، بمثابة وزير داخلية ومالية في وقت واحد الى جانب نظارة الخاصة الامامية، ومحمد المدني بمثابة وزير الشؤون الاجتماعية ومحمد الشريف ، بمثابة وزير المعارف، الى جانب نيابته عن الامام المهدي، ورؤساء الزوايا، كحكام للمناطق ، وبمثابة نواب الأمة عندما يجمعهم المجلس الأعلى وهناك مسؤليات أخرى وزعت على من ذكرنا وغيرهم، كالأشراف على طلبة القرآن ، وطلبة العلم ، ومراقبة المعلمين في

---

(1) انظر: الحركة السنوسية، ص173.

(2) انظر: المهدي السنوسي، ص30.

(3) انظر: الحركة السنوسية، ص173.

(4) انظر: المهدي السنوسي، ص35.

المدرستين القرآنية والعلمية، والاشراف على العمال، وعلى دار الضيافة، ولاستقبال الزوار، ومراقبة المكتبة الجغبوبية ونظام توزيع الأرزاق (التموين)، واستلام الوارد وحفظه، الى جانب هذا النظام المحكم، هناك مجالس فرعية في كل أقليم من الأقاليم تضم رؤساء المراكز الاصلاحية في ذلك الاقليم، للنظر فيم يتعلق باختصاصاتهم، والشؤون المرتبطة بهم، فعلى هذا التخطيط كانت تدار شؤون الحركة(1).

ومن الملاحظ أن مبدأ التفرغ كان موجوداً في الحركة، لقناعة الحركة السنوسية أن الأعمال العظيمة تحتاج الى أوقات كبيرة، وجهود ضخمة، وهمم عالية، ولذلك سلكت الحركة السنوسية مسلك تفريغ بعض القيادات، ووفرت المال اللازم لهذا الهدف، ووفرت كل مايحتاجه الافراد المتفرغين حتى يستطيع المتفرغون أن يبذلوا مافي وسعهم من أجل الدعوة ونشرها بين الناس.

واهتم الامام المهدي بتطوير العاصمة السنوسية، فحفلت الجغبوب بالنشاط العلمي والزراعي وانتظم سير العمل في معهد الجغبوب، ووزع تلاميذ المدارس القرآنية على أقسام، ورتبت بدقة أمور الدراسة، وكل مايتعلق بالطلاب، كذلك سارت حركة الصناعة البسيطة التي يحتاجها الأهالي كالحدادة والنجارة ...الخ واستصلحت مساحات من الأراضي وصارت تنتج الخضار والتمور، وارتبطت الجغبوب بالزوايا المتناثرة في الصحراء، فكانت القوافل تمر منها في رحلاتها بين الساحل الأفريقي والصحراء، وبين مصر والمغرب، كما كانت قبلة وفود القبائل التي تدين بالولاء للسنوسية، وانتظم سير العمل في الزوايا بسبب التنظيم الدقيق الذي سادها؛ وكان الاتصال بين المركز والزوايا يتم بانتظام، ودقة بالغين، فالرسائل مستمرة بين المهدي ورؤساء الزوايا تنقلها القوافل في طريقها، أو ينقلها في بعض الاحيان مبعوثون إذا استوجب الأمر الاستعجال، وتضمنت الرسائل تعاليم الحركة للزوايا وتقارير رؤساء الزوايا للمركز بالاضافة الى أخبار الحركة والاخوان(2) وكانت الزوايا تقوم بدورها في جمع المعلومات وما يتعلق بالقضايا الأمنية وترسلها الى الجغبوب، وكان نظام البريد في الحركة السنوسية في عهد الامام المهدي ينقسم الى أربعة أقسام نقطة ارتكازها الجغبوب وكان ترتيبه على الوجه الآتي:

- بريد خاص بزوايا طرابلس.
- بريد خاص بزوايا برقة.
- بريد خاص بزوايا مصر.
- بريد خاص بزوايا السودان.

وكثير ما يصل البريد ويصدر بواسطة قوافل الزوار والتجار وهذا عدا البريد المنظم والرسل الخاصين متى دعت الحالة. يصل البريد ببرقة الى زاوية مسوس وهذه تقوم بتوزيعه الى زوايا برقة ويصل الى زاوية جنزور أو العزيات وهذه تقوم بتوزيعه على زوايا الجبل ويصل البريد الخاص بطرابلس الى احدى زواياها والمفهوم أنها سرت في المدة الأخيرة وهذه تقوم بتوزيعه، كما أن البريد الخاص بزوايا واحات فزان يصل الى زاوية (واو) وهي تقوم بتوزيعه، وتقوم احدى هذه الزوايا بمهمة ارسال البريد العادي الى زوايا الجزائر، ان لم يكن البريد مستعجلاً وألا يرسل بصفة خاصة الى زوايا السيد بن تكوك رأساً من الجغبوب والكفرة، ويصل البريد الخاص بزوايا مصر الى سيوه وهناك من يتولى مسؤوليته ممثل السنوسيين بما في ذلك بريد الحجاز، وإذا كان هذا مستعجلاً فتتخذ له طريقة خاصة، اما اذا كان البريد خاصاً بزوايا خاصة في أي جهة من الجهات يقوم به الساعي من الجغبوب رأساً وكل زاوية من الزوايا يحدث لها أمر من الأمور يدعو لمواصلة المركز العام، فيقوم منها ساع مخصوص، ولايكاد البريد يتأخر أكثر من شهر لاي جهة من الجهات لكثرة القوافل، وتعاقب الزوار، أما البريد الخاص بالسودان، فعادة مايكون مع سيل القوافل المنهمر ذهاباً واياباً وهكذا كانت الأخبار تصل الى عاصمة الحركة وتصدر منها التوجيهات والأوامر الى جميع الزوايا وفي كل البلدان وممن أشرف على سير

---

(1) انظر: المهدي السنوسي، ص35.

(2)انظر: الحركة السنوسية، ص180.

بريد الحركة السنوسية من الاخوان؛ محمد السمالسوسي، عبدالسلام الشرداخ، عبدالرسول الرتيوي، السنوسي التيتلي، عيسى التارقي، ابراهيم الشهيبي، علي السعيطي، حسين الهبري، عبدالرحيم الفضيل، محمد البوعيثي(1).

وكان من يريد زيارة الامام المهدي يذهب الى الجغبوب وهناك يخضع لنظام خاص متبع ترتبط اجراءاته بالسيد محمد البسكري الذي يعد بمثابة رئيس الديوان والتشريفاتي، فهو الذي يقوم بتحديد مواعيد الزيارة التي لاتكون إلا عن طريقه، ويصحب كبار الزائرين ويقف خلف زعيم الحركة السنوسية اثناء الزيارة سواء كانت الزيارة للعوام او الخواص، اما اذا كان الزائر او الزوار تابعين لاحد الزوايا، فعلى رئيس الزاوية ان كان حاضراً ترتيب هذه الزيارة مع محمد البسكري وقد جرت العادة بأن تكون زيارة الضيوف بعد تمام مدة الضيافة وهي ثلاثة أيام إلا في حالات استثنائية(2).

رابعاً: نمو الحركة السنوسية واسبابه:

نمت الحركة السنوسية في عهد محمد المهدي نمواً كبيراً، وتضاعفت عدد الزوايا أكثر من أربعة أضعاف وانتشرت هذه الزوايا في الصحراء الكبرى، وعلى طريق مصر، وتونس، وفي واداي ...وغيرها.

وكان من اسباب هذا النمو السريع، طبيعة الحركة، ونظمها المتطورة بالنسبة لعصرها، وفهمها لطبيعة المجتمعات القبلية، وطول المدة التي قضاها الزعيم الثاني في قيادة الحركة إذ تجاوزت اربعين سنة، فتمكن أثناءها من تركيز العمل الذي بدأه والده وكان يقول: (إن والدي بدأ عملاً من المنتظر أن يأتي بنتائج عظيمة، وقد أخذت على عاتقي اتمامه وليس على غرض آخر)(3)، وكانت سياسته الحكيمة تمنعه من الاحتكاك بالدولة العثمانية، او الدول الأوروبية وحصر جل اهتمامه بنشر الدعوة بين القبائل، وساعدته اخلاق رفيعة، وصفات حميدة تحلى بها في اقبال الناس على الحركة السنوسية، واحتل بها مكانة رفيعة في قلوب الاخوان والأتباع ومؤيدي الدعوة، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويبث العلوم في اوساط القبائل متبعاً في ذلك كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ.

قال احمد رفيق المهدوي:

كانت طريقته القيام بسنــة
نبوية لالاءة الاوضــــــــــاح
فله من الخدمات للاســـلام
مايعلو على متناول الشــــــراح
يكفيه نشر الدين في الالاف من
أقصى حدود(الشاد)حتى (الواح)
نصر لدين الله بين مجاهــل
صعبت على الرواد والسيــاح
فازوا من الفتح المبين بعــزة
الاسلام بعد عبادة الاشـــباح(4)

لقد تحلى الامام محمد المهدي بعلم وورع وتقوى، وشخصية جذابة، وبعد نظر، وثاقب فكر، ورأي صحيح، وعزم شديد وحرص أكيد على اتمام البناء الذي شيده والده، والعمل بكل جهد وقوة من أجل نشر الدعوة بين أهل البلاد القريبة والبعيدة في أفريقيا الوسطى خصوصاً حتى ذاع صيته، وتمكن السنوسيون بفضل الله تعالى ثم

---

(1)انظر: برقة الامس واليوم، ص212،213.

(2) انظر: الحركة السنوسية ،ص45.

(3) انظر: المهدي السنوسي، ص134.

(4) انظر: المهدي السنوسي، ص38.

جهودهم المتواصلة من أن يصلوا بدعوتهم الى قلب الصحراء الكبرى، وأطرافها حتى جهات بحيرة تشاد ومايجاورها من إمارات اسلامية قديمة أو قبائل زنجية وثنية أو قبائل أخرى لم يكن قد صلح حال اسلامها بعد(1).

لقد دخلت عدة قبائل افريقية في الدعوة الاسلامية بفضل الله تعالى ثم جهود الحركة السنوسية ومن أشهر القبائل التي استجابت لدعاة الحركة السنوسية؛ قبيلة بلي التي كانت على الوثنية، ووصلت الدعوة الاسلامية الى شعب التيدا في بلاد تيبستس بالصحراء الكبرى جنوب واحة فزان، فقد كانوا لايعرفون من الاسلام إلا إسمه، وكان دعاة الحركة السنوسية قد توغلوا في افريقيا ووصلوا الى بلاد الجَلا في الحبشة، فيرسلون إليها في كل عام من هَرَر، حيث تتمتع السنوسية بنفوذ كبير، وتكاد تجد كل الرؤساء منهم في بلاط الأمير بلا استثناء، وكانت الحركة السنوسية، تفتح المدارس وتبنى المساجد، والمراكز الاصلاحية وتشتري العبيد ثم يعلمونهم مبادئ الاسلام ثم يعتقوهم ويرسلونهم الى أوطانهم وقبائلهم ليدعوا اقوامهم الى الاسلام(2).

واستفادت الحركة السنوسية من هجرة القبائل العربية القديمة في افريقيا وجددت الصلة معها ونسقت معها في الدعوة وفي الجهاد ضد فرنسا ومن اشهر هذه القبائل؛ أولاد سليمان، أولاد يعقوب، أولاد غنّام ، المحافيظ وغيرها كثير وكانت قد استقر بعضها في مالي، وتشاد، والنيجر، ونيجيريا ، والكمرون(3).

وتمكن الامام المهدي ان يبني علاقات قوية مع الامارات الاسلامية في واداي، وبرقو، وكانم وغيرها، واختط خطة حكيمة كانت مبنية على الحيطة والحذر من النفوذ الصليبي الأوروبي في افريقيا ثم عدم التردد في مكافحة هذه الدول إذا جد الجد، كما فعل مع فرنسا(4).

وواصل المهدي السنوسي سيره في فتح المراكز الاصلاحية، والمدارس القرآنية، وبناء المساجد التي اهتمت بنشر الاسلام، وقام بإرسال دعاة ومبشرين بالاسلام ودين الله، اشتهر منهم العلامة، محمد عبدالله السني، والشيخ حموده المقعاوي، وطاهر الدغماري، وغيرهم كثير.

وقام المهدي، بتقوية الصلات التجارية بين الزوايا وبين مراكز التجارة والاسواق المختلفة، ونتج عن ذلك استتباب الأمن في هذه الربوع وإنتشار الطمأنينة، فقد زاد نشاط القوافل وأقدم المسافرون والتجار على قطع الفيافي والصحارى من غير تردد، فظهرت بوادر العمران في الطرق الصحراوية وأصبح من الميسور على دعاة الحركة أن يصحبوا هذه القوافل وهؤلاء المسافرين والتجار في رحلاتهم وأسفارهم ويدعون الى الاسلام، ويقضون على الوثنية، ويعطلون بذلك أعمال التنصير الذي تدعمه الدول الأوروبية في أفريقيا، وبالفعل حققت الحركة انتشاراً عظيماً في أوساط أفريقيا مثل بلاد النيجر ، والكنغو، والكامرون، وجهات بحيرة تشاد، وذاع خبر الحركة السنوسية في افريقيا من خلال طريق وادای وبرنو وكانم وادامو والداهومي(5) وغيرها، وبدأت الدول الأوروبية تشعر بخطر الحركة السنوسية وشرعت في حبك دسائسها ومؤمراتها وتأليب الدولة العثمانية عليها، لقد صدمت الدول الأوروبية بالنتائج التي حققتها الحركة السنوسية، واشتاطت غضباً وحقداً على الاسلام وهي ترى قبائل وثنية مثل التبو، والبرقو، الندى تدخل طائعة مختارة في الاسلام(6).

كان الدعاة السنوسيون يعملون بالليل والنهار، والسر والاعلان، ويقطعون المسافات الشاسعة من أجل دعوة

---

(1)انظر: السنوسية دين ودولة، ص58.

(2) انظر: انتشار الاسلام في القارة الأفريقية، د. حسن ابراهيم، ص49.

(3) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، محمد القشاط.

(4) انظر : السنوسية دين ودولة، ص58.

(5) انظر: السنوسية دين ودولة، ص60.

(6) انظر: المهدي السنوسي، ص51.

الله تعالى وكان بعضهم يترك أهله وأطفاله في الجغبوب وذات مرة دخلت السيدة صالحة البسكرية زوجة ابن السنوسي على محمد المهدي وكان يجلها ويحترمها، وقالت له: ان نساء الاخوان قد سئمن كثرة اسفار ازواجهن، وطول تغيبهم، وعدم استقرارهم، فابتسم وقال : إن الجهاد طويل وشاق، وان العمل يتطلب الجد، والشيء الذي ينتظرنا وينتظر اخواننا في المستقبل اشق مما هم عليه الآن)(1).

وكان الامام المهدي مهتماً بالبناء الداخلي للحركة ولذلك اشرف بنفسه على إصلاح ذات البين بين القبائل وكان يرى وحدة الصف والتربية الجهادية مهمة في مواجهة المعارك القادمة ضد الاسلام.

وعندما اشتد النزاع بين قبائل الجبارنة وأولاد علي ووصل الى مرحلة اوشك القتال أن يندلع بينهم بسبب حادثة قتل جربوع بن الشيخ ابو سيف الكزة بمصر وكان الشيخ ابو سيف ابن ابي شنيف الكزة من الشخصيات الظاهرة بين شيوخ الجبارنة ومسموع الكلمة وهو والد المقتول، فأصبح داعية كبرى لغزو أولاد علي وأنشد قصيدة باللغة الشعبية مثيرة لما كمن من الاحقاد والضغائن، ومسعرة لشرار الغضب، ومذكية لنار الانتقام يستنجد بها جميع القبائل الموالية له أو التابعة والمرتبطة به، كما جرت العادات ويحثهم في قصيدته بالاستعداد لغزو أولاد علي، وقتل رجالهم، وأخذ أموالهم وسبي نساءهم وكانت مطلع قصيدته تقول:

ياعون من قابلا عـون

وأشرف على رأس عال

أو جنة فراجين وحسون

أوعينت طامية في المشالي(2)

وكاد الشيخ ابوسيف أن ينجح فيما أراده للغزو حيث لبي طلبه، وأخذت قبائل أولاد علي تستعد للمعركة وأرسلت الى الشيخ ابي سيف تدعوه للإسراع للقتال وفي هذه الأثناء وصل كتاب من شيخ زاوية مسوس السنوسي الاشهب الى الزعيم محمد المهدي يخبره بالأمر، فأرسل المهدي في طلب الشيخ أبي سيف بسرعة، فأمتثل الأخير أمر السيد المهدي في الوقت الذي تقرر فيه الغزو وارجأه الى أن يعود من الجغبوب ولما وصل الشيخ ابو سيف ومثل امام يدي إمام الحركة السنوسية الذي أخذ ينصحه في الإقلاع عما عزم عليه، ويبين له حرمة هذا الفعل الجاهلي، فأمتثل الشيخ ابو سيف أمر المهدي، واقلع عن فكرته وعاهد إمام الحركة بالعدول عنها وان لايعود لمثلها، بالرغم عمّا في ذلك من المساس بكرامته وكرامة بني قومه وسمعتهم التي يرون حفظها في الأخذ بالثأر ورجع الشيخ أبي سيف وبر بوعده وأمر قومه والنجدات التي استعدت لمساعدته بالرجوع الى مواطنهم، وكتب الى زعيم قبائل أولاد علي وبقية شيوخهم يخبرهم بالعدول عن رأيه وأن يكونوا في مأمن من جهته لا خوفاً منهم ولا خشية من العاقبة ولكن امتثالاً لأمر الشرع وطاعة لزعيم الحركة السنوسية(3).

وكان المهدي يحرص دائماً على ازالة البغضاء والشحناء من نفوس القبائل المتعادية، ويدعوها الى أخوة الاسلام، وشغلها بالطاعة، ودفعها نحو المعالي، والأخلاق الرفيعة، واستطاع أن ينظم من القبائل كتائب للجهاد ساهمت في قتال فرنسا وبعد وفاته قاتلت ايطاليا.

لقد كرّس المهدي جهوده للبناء الداخلي في الحركة واختط طريقاً سلمياً تجنب الاحتكاك فيه جهد المستطاع بالقوى المحيطة به، واستطاع أن يتخذ مواقف تدل على بعد نظره وثاقب فكره من الثورات التي حدثت في السودان وفي مصر، وكذلك الدول الأوروبية.

خامساً : المنهج التربوي الجهادي:

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص60.

(2) انظر: برقة العربية الامس واليوم، ص204.

(3)انظر: برقة العربية الامس واليوم، ص205.

حرص الإمام المهدي على تعميق المنهج التربوي في أتباع الحركة، وكان -رحمه الله- يدرك تماماً أن العمل بأحكام القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة يقتضي وجود القوة والسلطان، ولذلك جعل من الزوايا مركزاً لتعليم الرماية أيضاً؛ فكان يحث الاخوان والأتباع على إتقانها ويبث فيهم روح الأنفة والنشاط ويحملهم على الطراد والجلاد، ويعظم في اعينهم فضيلة الجهاد، وكان المهدي يمتلك خمسين بندقية خاصة يعتني بتنظيفها وإعدادها دائماً بيده ولا يرضى بأن يؤدى هذا غيره من أتباعه الكثيرين قصداً، وعمداً، حتى يقتدى به الناس ويهتموا بأمر الجهاد، ويحفلوا به(1).

ونشطت الحركة السنوسية في تعبئة اتباعها على الاستعداد للجهاد، ونظمت صفوفها، ورأى السلطان عبدالحميد الثاني في الحركة السنوسية قوة منظمة ومعدة اعداداً مادياً ومعنوياً جيداً يمكن استغلالها في المواجهة العسكرية المتوقعة مع أعداء الدولة العثمانية في شمال أفريقيا، وقد أعرب السلطان عبدالحميد عن ثقته بقوة الحركة السنوسية قائلاً: (واذا كان هناك احد عليه الدفاع عن حقوقنا، فهو الشيخ السنوسي، لأنه قادر على أن يجمع حوله ثلاثين ألفاً من الرجال، ولن يتخلى عن بنغازي إلا بعد قتال ثم إن صلته بمئات الألوف من أتباع الطرق والمريدين قوية، فإذا قام السنوسيون قومتهم؛ فلابد أن يجرون الإيطاليين الى صراع دموي أشد مما شهدته السودان في ثورة المهدي، لقد جهزنا السنوسي بمقدار كافي من الاسلحة والذخائر، فهم قوة لايستهان بهم أبداً)(2).

كان هذا التصريح بعد ما وصلت للسلطان عبدالحميد المخططات الايطالية التي كانت تستهدف ليبيا، لأن ايطاليا كانت تحلم بضم شمال أفريقيا، لأنها تراه ميراث ايطالي هكذا صرح رئيس وزرائها (مارتريني) لكن فرنسا احتلت تونس، وانكلترا احتلت مصر، ولم يبق أمام إيطاليا إلا ليبيا.

واستطاعت مخابرات السلطان عبدالحميد الثاني أن تكشف سياسة ايطاليا في ليبيا التي كانت على ثلاث مراحل:

1. الحلول السلمية، بإنشاء المدارس والبنوك وغيرها من " مؤسسات خدمية".
2. العمل على أن تعترف الدول بآمال إيطاليا في احتلال ليبيا، بالطرق الدبلوماسية.
3. إعلان الحرب على الدولة العثمانية والاحتلال الفعلي.

وكانت السياسة الايطالية لاتلفت النظر الى تحركاتها ، بعكس السياسة البريطانية أو الفرنسية في ذلك الوقت وكان الايطاليون يتحركون بحكمة وهدوء شديدين دون إثارة حساسية العثمانيين.

وكان السلطان عبدالحميد متيقظاً لتلك الأطماع الايطالية وطلب معلومات من مصادر مختلفة عن نشاط إيطاليا في ليبيا وأهدافهم، فجاءته المعلومات تقول: (إن للايطاليين بمدارسهم وبنوكهم ومؤسساتهم الخيرية التي

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص60.

(2) انظر: السلطان عبدالحميد الثاني مذكراتي السياسية، ص147.

يقيمونها في الولايات العثمانية، سواء في ليبيا أو في ألبانيا، هدفاً أخيراً هو تحقيق أطماع إيطاليا في الاستيلاء على كل من:

1-طرابلس الغرب.

2-ألبانيا.

3-مناطق الأناضول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط: أزمير، الاسكندرون، انطاكيا.

وقام السلطان عبدالحميد الثاني بإتخاذ التدابير اللازمة أمام أطماع إيطاليا، ولما شعر أنه سيواجه اعتداءً إيطالياً مسلحاً على ليبيا، قام بإمداد القوات العثمانية في ليبيا بـ (15.000) جندي لتقويتها وظل يقظاً حساساً تجاه التحركات الايطالية، ويتابعها شخصياً وبدقة، ويطالع كل ما يتعلق بالشؤون الليبية بنفسه بواسطة سفير الدولة العثمانية في روما، ووالي طرابلس مما جعل الايطاليون يضطرون الى تأجيل احتلال ليبيا، وتم لهم ذلك في عهد جمعية الاتحاد والترقي، ولذلك حرص السلطان عبدالحميد على تقوية الحركة السنوسية ودعمها مادياً، ومعنوياً(1).

لقد اهتمت الحركة السنوسية بإعداد أفرادها للجهاد في سبيل الله ضد أوروبا الصليبية التي تهاجم ديار المسلمين في كل مكان، وكانت وسائل التربية عند الحركة السنوسية، روحية، وفكرية، ونفسية، وجسدية، واجتماعية، ومالية، فكان اهتمام الحركة بالتربية الروحية عظيماً، ولذلك تعلق أفراد الحركة السنوسية بالجنة وحرصوا على رضى الله تعالى، وتعمقت مفاهيم القضاء والقدر في نفوسهم، فأصبحوا لايخافون إلا الله، فكانوا يتربون على قول رسول الله ﷺ: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ به الروح ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله وعمله شقي أو سعيد...)(2).

فأجل المرء يكتب وهو في بطن أمه قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى﴾ (سورة الزمر،آية 42).

كانت عقيدة القضاء والقدر واضحة المعالم في فكر الحركة السنوسية، فأصبح اتباعها يؤدون واجبهم بكل شجاعة، وهم على يقين راسخ بقوله تعالى:﴿قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (سورة التوبة، آية 51).

ولقد ألتقيت بالشيخ الفاضل رئيس المحاكم الشرعية في ليبيا سابقاً في زمن المملكة الليبية، الشيخ منصور المحجوب بمكة المكرمة وحدثته عن حرصي لكتابة تاريخ الحركة السنوسية، فأنساب في الحديث عن رجالات الحركة وحبهم للاسلام، وتعلقهم بالآخرة وجهادهم ضد فرنسا وذكر بعض المجاهدين عندما استعصى عليهم فتح

---

(1) انظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط لعلي الصلابي، ص686.

(2) انظر: مسلم رقم 2643.

حصن من الحصون التي احتلتها فرنسا بتشاد قاموا بحصاره وتأخر الفتح اقسم احد الأخوان السنوسيين أما الشهادة وإما الفتح، وانقض كالأسد بجواده على الحصن وكان ذلك الهجوم سبباً في الفتح وفاضت عينا الشيخ منصور بالدموع، وشرع في البكاء ثم قال أولئك قوم عرفوا الله وعملوا بهذه المعرفة ثم وجه الخطاب إليّ وقال لي ياصلاّبي اتقي الله في كتابتك واعلم بأن الله سيحاسبك عليها يوم القيامة، وانتفضت من مكاني من شدة تأثير كلامه عليّ، وحثني على الاخلاص والرغبة فيما عند الله وقال لي أنا الآن قد جاوزت السبعين من عمري وقد رأيت الكثير في الدنيا ورفع يده الى فمه ثم نفخ في كفه وقال إن حقيقة هذه الدنيا مثل هذه النفخة.

إن الشيخ منصور المحجوب يعتبر من اتباع الحركة السنوسية وقد تولى مناصب كبيرة من رئاسة الجامعة الاسلامية بالبيضاء، وتولى رئاسة القضاء وهو من مؤسسي رابطة العالم الاسلامي وأخبرني بأنه ماكث في مكة ينتظر الوفاة حتى يدفن في الأراضي المقدسة.

إن الحركة السنوسية اهتمت بتربية اتباعها على الصلاة والقيام، والصوم، والزكاة، والحج، وتلاوة القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم.

إن من أعظم العبادات ومن أحسن الوسائل في التربية الروحية التي سلكها السنوسيون هي تلاوة القرآن الكريم والتفقه فيه والعمل به قال تعالى:

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (سورة الحشر، آية 21).

إن القرآن الكريم يطهر النفوس، ويحي القلوب، ويغذي الأرواح ويصل الافراد بخالقهم العظيم سبحانه وتعالى، ولا تعجب أيها القارئ الكريم اذا علمت أن احمد الشريف السنوسي القائد الثالث للحركة السنوسية -رحمه الله تعالى- كان يشترط في حرسه الخاص حفظ القرآن الكريم وان التعاقب بين جنوده يعرف عن طريق تلاوة الاجزاء من القرآن الكريم.

وكانت الحركة في وسائلها التربوية لأتباعها تهتم بأخبار العالم الاسلامي وتوصيلها الى الأتباع، وكانت الزوايا تقوم بهذا الدور، وكانت القوافل تتوغل في الدول الاسلامية للتجارة، وتأتي بأخبار الاسلام والمسلمين، والأعداء، وكانت تغذي اتباعها بالتربية الفكرية والنفسية للوقوف ضد اطماع النصارى الغزاة المجرمين وكانت تهتم بالتربية الجسدية لأتباعها ولذلك نجدهم يقطعون الفيافي والصحارى على الجمال ثم يجاهدون الأعداء بعد قطع مئات الكيلومترات، وقد وجدت في سيرة عمر المختار -رحمه الله- انه قطع على جواده ثلاثة أيام متواصلة ليلها بنهارها لفض النزاع بين عزيز المصري قائد من ضباط الاتراك واحدى القبائل، وهذا يدل على لياقة بدنية عالية، وقوة بدنية متميزة.

كان المهدي السنوسي يسير بخطى ثابتة، ووفق أهداف مرسومة، ويستعد للمستقبل القريب حيث بدأت الأطماع الفرنسية تتوغل في أفريقيا، وبدأت الدول الأوروبية تصطدم مصالحها مع وجود الحركة السنوسية في أفريقيا.

سادساً: موقف الدول الأوروبية من الحركة:

حققت الحركة السنوسية انتشاراً كبيراً في أواسط أفريقيا، وتوطد سلطانها في قلب الصحراء الكبرى، وكانت عقبة في طريق الرسالات التنصيرية التي وجدت في الحركة السنوسية خصوماً عنيدين، عطلوا عليها اعمالها لدرجة بعيدة، فحاولت الدول الأوروبية التقدم، والتقرب من الامام المهدي السنوسي؛ فكان لايأبه بمحاولة هذه الدول، من أجل التقرب إليه، وفشلت وسائلهم في اجتذابه إليهم، وأعرض عنهم، وعظمت مخاوفهم من تشكيلاته ، وحركاته ، وانكبوا يسعون لدى الدولة العثمانية ويشددون الضغط على السلطان عبدالحميد الثاني كي يتوسط بوصفه الخليفة الأكبر في استدعاء السيد المهدي في أفريقيا للإقامة في أرض الحجاز أو في دار الخلافة وعدم مغادرتها والعودة الى وطنه، ولكن السلطان لم يجب الدول الى هذه الرغبة، بل وقف مع محمد المهدي موقفاً مشرفاً.

لقد وجدت الرسالات التنصيرية المسيحية في السنوسيين خصوماً عنيدين عطلوا عليها أعمالها لدرجة بعيدة، إن لم يكونوا قد أفسدوا هذه الأعمال في بعض الجهات وأبطلوها زد على ذلك أن نجاح الدعوة السنوسية وتقوية أركانها جعلت الدول الأوروبية تسعى لتوقي خطرها ووجدت فرنسا نفسها في طريق الاصطدام عاجلاً أو آجلاً مع الحركة السنوسية، اضف الى ذلك أصبحت إيطاليا بعد وحدتها تتطلع الى احتلال طرابلس الغرب، وغدت تبذل كل مابوسعها لكسب المهدي السنوسي، لعلها تظفر بسكوته حينما تواتيها الفرصة لتحقيق هدفها، وأما ألمانيا بعد خروجها منتصرة من الحرب السبعينية شرعت في كسب المهدي حتى يدعمهم ضد فرنسا في افريقيا الغربية[1]، فحاولوا عام 1872م مفاوضة المهدي على أمل تحريكه ضد الجهات التي خضعت للفرنسيين في أفريقيا الشمالية والغربية، ولكن محاولتهم ذهبت سدى، لأن المهدي رفض مقابلة الرسل الذين أوفدوهم إليه فغادر هؤلاء البلاد دون أن يتمكنوا من الحديث معه، ومع هذا فقد تكررت محاولات الألمان في الأعوام التالية للغرض نفسه واستطاع الرحالة (جبرار رولفس) في عام 1876م أن يزور برقة والكفرة ثم قصد الى الجغبوب لمقابلة السيد المهدي ، ووقف عند (سبر سلام) بالقرب منها؛ وقابله احمد بن البسكري عدة مرات، ولكنه عجز عن الوصول الى المهدي السنوسي[2].

تولت فرنسا مهمة الهجوم الاعلامي على الحركة السنوسية، وأرسلت عدداً من الرحالة منهم دوفرييه، ثم وقفت من الحركة موقفاً عدائياً وشنت عليها حرباً دعائية، بواسطة رحالتها الذين كتبوا عن السنوسية، وقصدت بذلك تشوية الحركة، كما تجلى موقفها العدائي في ضغطها على الباب العالي للتضييق على السنوسية. ثم تبلور هذا الموقف في حربها الظالمة لمواقع الحركة السنوسية في تشاد وسنتحدث عنها في موضع آخر.

وكان أكثر الرحالة الفرنسيين تعصباً في كتاباته دوفرييه الذي اتهم السنوسية بعدة تهم وبالغ في تخيلاته، وذلك أنه رأى في الحركة خطراً عظيماً يتهدد مصالح فرنسا والمسيحية في افريقيا وقد اعتبر دوفرييه السنوسية مسؤولة عن جميع حوادث الاغتيال التي حدثت في الصحراء ضد بعض الرحالة الأوروبيين، كما اتهمها بالتعصب وكراهية اليهود والنصارى وصورها عدواً فاغراً فاه للقضاء على الأوروبيين، وزعم أنها حرّكت وساعدت جميع الثورات التي قامت في الجزائر، وقد وافق الرحالة لوي رين على بعض هذه التهم ورددها كتّاب آخرون مثل مونتيه وهوايت وفبرود. إن السنوسية ماتعرضت لمثل هذه الحرب الدعائية إلا لكونها حركة اسلامية جهادية دعوية شاملة في مفاهيمها[3] أما اتهامها بالاغتيالات فهذا باطل ومردود بالحجة والبرهان، والدليل، بل كان الإمام المهدي يعامل غير المسلمين باللطف والبشاشة والرفق وحسن الخلق؛ وعندما يريدون الرجوع يرسل معهم من يوصلهم الى المكان الذي يريدون سواء مصر أو درنة أو بنغازي، ويقول للاخوان؛ لابد لنا من إكرام الأجنبي، ويعني غير المسلم، عسى الله أن يهديه الى الدين الحق لأن واجبات المسلم وشعائره إكرام الضيف كيفما كانت ديانته ليبلّغ عنا ماشاهده منا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم[4].

وفي عام 1312م قدم على الجغبوب رجل انكليزي، فأراد بعض الاخوان أن يؤذوه، لكنه طلب مقابلة الشيخ المهدي فأذن له في ذلك، واجتمع به وسئل هل له من حاجة من الشيخ!؟ فقال: ماعندي حاجة، إنما القصد من إتياني النظر في وجه الشيخ لما أسمع عنه، وحظي الانكليزي بالإكرام، وحسن القبول، ومكث عنده ثلاثة أيام ضيفاً كريماً ثم كر راجعاً الى طريق مصر[5].

وكان محمد المهدي السنوسي يوصي جميع أخوانه ومشايخ الزوايا، واتباع الحركة بعدم أخذ أموال السواحين

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص65،66.

(2) المصدر السابق نفسه، ص69.

(3) انظر: الحركة السنوسية، ص198.

(4) انظر: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب للحشائشي، ص165.

(5)انظر: جلاء الكرب عن طرابلس الغرب للحشائشي، ص165،166.

والغرباء ولو من الافرنج، ويقول على رؤوس الاشهاد إن قتلهم واخذ أموالهم لظلم عظيم، والظلم يرجع على فاعله بالنكال والوبال(1).

إما اتهام الحركة السنوسية بكراهية اليهود والنصارى فالمعلوم عنها تمسكها بالشريعة، فكان اتباعها يعاملون أهل الكتاب حسب توجيهات الاسلام، إما كراهيتهم للمستعمرين المعتدين، فهذا أمر يوجبه عليهم دينهم، وكان القصد من الحرب الاعلامية الداعية لتمهيد الرأي العام الأوروبي واقناعه بما ستخطوه فرنسا ضد الحركة فيما بعد، وقد أنصف عدد من الكتّاب المحدثين السنوسية وردوا على تلك التهم، منهم؛ محمد فؤاد شكري، زيادة نقولا، بريتشارد، الحشائشي(2).

أما بريطانيا، فكان موقفها من الحركة السنوسية في بداية الأمر استطلاعياً، وكانت حريصة على جمع معلومات دقيقة عن الحركة وخصوصاً وأن لها أطماعاً في مصر، وتخشى من جهاد السنوسية ضدها، كما أن نفوذ بريطانيا في طرابلس كان قوياً ، وقد زار الرحالة هاملتون الانكليزي سيوه، وتحدث عن الحركة السنوسية واستمر موقف بريطانيا يمتاز بالهدوء تجاه الحركة السنوسية، حتى عام 1882م عندها شرعت بريطانيا بإحتلال مصر، وقامت ثورة عرابي، تحركت بريطانيا بكافة الوسائل المتاحة لها لتمنع أية مساعدة متوقعة قد تُقدم لعرابي، وتدخلت لدى الدولة العثمانية لمنع الحركة السنوسية من دعم الثورة العرابية(3).

سابعاً : موقف محمد المهدي من الحركة العرابية:

عندما اشتعلت الثورة العرابية عام 1882م اتصل أحمد عرابي طالباً للعون والمدد وعلمت بريطانيا بالأمر، فتدخلت لدى الدولة العثمانية ونشط قنصلها في طرابلس الغرب لمعرفة موقف المهدي. ويتضح من احدى الرسائل التي بعث بها والي طرابلس الى ولاية بنغازي بتاريخ 16 أغسطس 1882م أنه انتشر خبر مضمونه أن عدداً من قبائل برقة تهيأوا للألتحاق بعرابي وان الخبر وصل الى طرابلس من الاستانة، وأن قنصل بريطانيا في طرابلس يستفسر عن صحته. ويقول الوالي: (في حال أن هذا الخبر صحيح نطلب منكم إجراء التدابير الحكيمة). وقد اتضح لدى تحقيق المسؤولين في بنغازي أن هذه الجماعة التي تريد دخول مصر ماهي إلا حجاج وأن شيخ الركب هو شيخ الحجاج)(4).

إن المهدي السنوسي كان حريصاً على نموه الطبيعي ولذلك ابتعد عن الدخول في حروب لم يستعد لها، ويبدو أن المهدي السنوسي لم يقتنع بجدوى الثورة، كأسلوب لتحقيق مطالب عرابي لأنها تتيح للأجانب التدخل، وقد وضح هذا الرأي في رسالة بعث بها محمد الشريف أخو المهدي الى الشيخ مصطفى المحجوب شيخ زاوية الطيلمون بتاريخ شعبان 1306هـ بمناسبة قيام إحدى قبائل برقة بالعصيان على الدولة العثمانية، إذ قال فيها: (ونرجو أن تكون الفتنة التي بالوطن قد طفئت لأنها مخيفة سيئة العاقبة تشبه الفتنة العرابية التي من أجلها حل

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص167.

(2) انظر: الحركة السنوسية، ص199.

(3) انظر: دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، رسائل الولاة.

(4) انظر : الحركة السنوسية ، ص200.

بالوطن الشرقي وأهله ماحل، لأنهم يحركونها ويعجزون عنها فتكون العاقبة التسليم للأجانب؛ فلو أنهم سلكوا طريقاً غير هذا لكان أسهل وأمن عاقبة وذلك بأن يلتجئوا للحضرة السلطانية ويلتمسوا من مراحمها الشاهانية التخفيف من هذا المجعول عليهم قائلين إنهم لاقدرة لهم لهذا الأمر الشاق، والتكليف بما لايطاق وان قلتم لابد منه نجلو عن الوطن، لكلية إذ لا قدرة لنا على العطاء ولا على المخالفة...)(1).

إن نظرة المهدي للثورات الغير مدروسة دراسة دقيقة، تتيح للأجانب التدخل، ويرى أن طريق البناء، والتربية، والإعداد العقدي، والوسائل السلمية هي الطريقة المثلى، وتجنب الفتنة حتى لا يتدخل الأجانب في شؤون المسلمين وكان المهدي قد لزم نفسه واتباعه سياسة حكيمة رشيدة، بعيدة عن ردود الأفعال يقول الاستاذ نيقولا زيادة : (طلب العرابيون مساعدته عام 1882م، وتقدمت إليه إيطاليا راغبة في الاتفاق معه على مقاومة التقدم الفرنسي في تونس عام 1881م وحتى السلطان العثماني طلب منه العون في حربه هذه ضد روسيا عام 1876م، وجرب الألمان ان يحصلوا على عون منه، ضد فرنسا في أفريقيا عام 1872م، لكن السيد المهدي رفض جميع هذه العروض والطلبات، وفضل أن يظل بمنأى عن النزاع الدولي ليتم لهم نشر الاسلام وإصلاح أحوال المجتمع المسلم الذي نذر نفسه له، شأن أبيه من قبل)(2).

حاول زعيم الثورة العرابية احمد العرابي ان يثير الاخوان السنوسيين وشرح لهم موقفه وجهاده ومن بين من كتب لهم السادة؛ أحمد الريفي، وفالح الظاهري، محمد البسكري، وأبي سيف مقرب، ومحمد المدني، أحمد بن ادريس الأشهب، أحمد العيساوي، وعندما وصلت الكتب الى أولئك السادة رفع كل منهم كتابه الخاص الى السيد المهدي ورفضوا الرد على عرابي باشا مالم يؤمروا من السيد المهدي إذ لاحق لهم في المخابرات السياسية والاتصال في مثل هذه الأحوال بالعالم الخارجي دون أن يأمرهم زعيم الحركة(3).

وهذا يدل على قوة التنظيم، ومتانة الحركة، وهيبة القيادة، وفهم الاخوان، وتلاحم الصف، ودراسة الأمور بتأني.

<u>ثامناً: موقف المهدي السنوسي من الثورة السودانية:</u>

سمع محمد احمدالمهدي السوداني بما حققته الحركة السنوسية من نجاح فائق، وانتصار عظيم، وتوسع كبير في الصحراء الكبرى، وفي القبائل الليبية، فرغب بضم هذه الحركة إليه، فأرسل محمد المهدي في عام 1300هـ رسالة الى محمد المهدي السنوسي مع أحد أتباعه واسمه "الطاهر اسحق" وهو من اهالي البلاد الواقعة غرب دارفور، وقد جاء في الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الوالي الكريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد: فمن عبد ربه الفقير إليه محمد المهدي بن عبدالله الى حبيبه في الله محمد المهدي ابن الولي السنوسي؛ فيا أيها الحبيب الواقف على سنّة النبي المرشد المرقي العباد الى مقام التقريب، قد كنا ياحبيبي ومن معنا من الاعوان ننتظرك لإقامة الدين قبل حصول المهدية للعبد الذليل، وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك ودعايتك الى الله على السنّة النبوية وتأهبك لإحياء الدين بأن نصير إليك ونجتمع معك فلم ترد إلينا المكاتبة وأظن عدم وصولها إليك حتى أني ذاكرت المعنيين فأبوا ذلك لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة توحيدهم حتى بايعوني الضعفاء على الفرار بالدين وإقامته على ماطلب رب العالمين وقنعت نفوس من بايعنا من الحياة لما يرون للدين من الممات ولازال المساكين الذين لم يبالوا في الله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون حتى هجمت المهدية الكبرى من الله ورسوله على عبده الحقير، والله هو الفاعل المختار الذي هو على كل شيء قدير، فامرني رسول الله ﷺ أن أكاتب بها الشرق والغرب من غني أو فقير فصدق بها من أراد الله سعادته وكذب بها الاشقياء، وصاروا

---

(1) انظر: المهدي السنوسي، ص59.

(2)انظر: المهدي السنوسي، ص59.

(3) انظر: برقة العربية أمس واليوم، ص154.

في النكير. مع أن النبيﷺ قد خلفني بالمهدية مراراً بالجلوس عل كرسيه وألبسني سيفه بحضرة الخلفاء والأولياء والأقطاب والملائكة المقربين والخضر عليه السلام. وأعلمت انه لاينصر عليّ أحد بعد إتيان سيف النصر إليّ من حضرتهﷺ ولازال التأييد من الله ورسوله يزداد، وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي ﷺ ، أنك من الوزراء لي ثم لازلنا نتظرك حتى أعلمنا النبي الخضر عليه السلام بأحوالكم وما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبي ﷺ خلفاء خلفائه من أصحابي فجلس أحد أصحابي على كرسي أبي بكر الصديق، وأحدهم على كرسي عمر، وأوقف كرسي عثمان وقال : هذا الكرسي لابن السنوسي الى أن يأتيكم بقرب أو طول وأجلس أحد أصحابي على كرسي عليّ رضوان الله عليهم أجمعين.

ولازالت روحانيتك تحضر معنا في بعض الحضرات مع أصحابي الذين هم خلفاء خلفاء رسول الله ﷺ. واعلم وإن كان لايخفى عليك أن المهدية كعلم الساعة لايعلمها على الحقيقة إلا الله كما بينه المحققون، كالسيد أحمد بن ادريس، فإنه قد قال: (كتبت في المهدية أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله) وقال : (سيخرج من جهة لايعرفونها وعلى حال ينكرونها). وكذلك قال محي الدين في بعض تفاسيره الى غير ذلك من أقوال المحقيقين ولا سيما وأن المهدية لاتدعي لكثرة أعدائها وقوتهم وعلى أنها لما ظهرت أنا بينهم أظهرهم في أشد الضعف والقلة فلولا أنها من الله تعالى مامكثنا في الدنيا يوماً واحداً من شدة قوتهم وضعفنا وهم محتاطون بنا من كل جانب فألقى الله في قلوبهم الرعب ومدهم بالخيبة. وقد أمرنا النبي ﷺ بالهجرة الى جبل الغرب يقال له قدير، يلصق جبل يقال له، ماسه، فجمعوا جموعهم إلينا مراراً فقتلهم الله وأحرق جلودهم بالنار. يرى ذلك الخاص والعام علامة لشقاوة من أنكر مهديتي وقد أعلم ﷺ أن من شك في مهديتي كافر وكررها ثلاثاً ومراراً يقول من أنكر مهديتي ومن خالفني فأبى امري كافر فمن أراد الله له السعادة صدق بمهديتي ومن جعل الله له شكوكاً وشبهاً تصده عن الايمان بمهديتي، فيخذله الله في الدنيا قبل الآخرة إلا من أراد الله تعالى له الهداية بعد. فإذا بلغك جوابي هذا، إما أن تجاهد في جهاتك الى مصر وجهاتها أو تهاجر إلينا)[1].

وكان رد السنوسي بقوله: (إنني لم أبلغ منـزلة الغبار الذي ثار في أنف فرس عثمان ﷺ في إحدى غزواته مع رسول اللهﷺ ولا جواب عندي على هذا الكتاب) ثم أمر الرسول بالعودة من حيث جاء[2] (وأوصى ملك واداي بأن لا يحرك ساكناً مع المتمهدي بل إذا جاءه محارباً يحاربه)[3].

ولم يؤمن المهدي السنوسي ولا علماء الحركة السنوسية بمهدية محمد أحمد السوداني وقاوم أتباع الحركة السنوسية في السودان الغربي نفوذ ثورة محمد احمد السوداني ، ويذكر محمد الطيب الأشهب أن سلطان برقو أرسل للمهدي السنوسي يستوضحه ماذا يكون موقفه من التعايشي الذي طلب مؤازرته، فكان رد المهدي: (إنه إنما يعني بالدعوة الى إصلاح الدين سلماً ولا حرباً بينما تنفر الملة التي يراد إحياؤها نفوراً عظيماً بل وتشتد ثورتها ضد الدماء التي يهدرها والجرائم التي يرتكبها في السودان)[4]. وقد قامت الممالك في السودان الغربي (تشاد) بمحاربة التعايشي خليفة محمد احمد السوداني وحدّت من انتشار حركته.

إن علماء الحركة السنوسية وعلى رأسهم المهدي السنوسي لم يؤمنوا بمهدية محمد أحمد، وكذلك رفضوا القول بمهدية المهدي السنوسي واعتبره محمد المهدي السنوسي نوعاً من التخريف ويرجع ذلك الى علمهم المتين، واستيعابهم لكتاب الله والسنة التي بينت حقيقة المهدي المنتظر والتزموا بعقيدة أهل السنة والجماعة التي وضحت هذا المعتقد.

إن الأحاديث الصحيحة بينت بأن الله تعالى يُخرِجُ في آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين يملأ الأرض عدلاً وسلاماً كما مُلئت جوراً وظلماً، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتُخرج

---

(1) انظر: السودان بين يدي كتشنر وغوردن، ابراهيم فوزي (216/1).

(2) انظر: الحركة السنوسية، ص190.

(3) المصدر السابق نفسه، ص191.

(4) انظر: المهدي السنوسي، ص58.

الأرض نباتها، وتمطر السماء قطر، وتُعطي المال بغير عدد.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- : (في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة ، والمال وافر والسلطان قاهر، والدين قائم ، والعدو راغم والخير في أيامه دائم)(1).

وهذا الرجل اسمه ، كأسم رسول اللهﷺ، واسم أبيه، كأسم أبي النبيﷺ، فيكون اسمه محمد او احمد بن عبدالله، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول اللهﷺ ثم من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهم.

قال ابن كثير -رحمه الله- في المهدي: (وهو محمد بن عبدالله العلوي الفاطمي الحسيني ﷺ)(2).

وصفته الواردة: (أنه اجلى الجبهة، أقنى الأنف)(3).

ويكون مكان ظهوره من قبل المشرق، فقد جاء في الحديث عن ثوبان ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ: (يقتل عند كنـزكم ثلاثة. كلهم ابن خليفة، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلوكم قتلاً لم يقتله قوم.... (ثم ذكر شيئاً لا أحفظه...) فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولوحبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي)(4).

قال ابن كثير -رحمه الله- : (والمراد بالكنـز المذكور في هذا السياق كنـز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان ، فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق (لا من سرداب سامراء) كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الى الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا النوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان لا من كتاب، ولا سنّة ، ولا معقول صحيح، ولا استحسان... الى أن قال (ويؤيد بناس من أهل الشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سود أيضاً) وهو زي عليه الوقار (لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب).

الى أن قال : (والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت ، كما دلت على ذلك بعض الأحاديث)(5).

ذكر الامام البخاري في صحيحه عن ابي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟؟)(6).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة) الى أن قال : (فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ بنا فيقول : لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)(7).

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجل منهم.

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة، وصلاته بالمسلمين، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح هذا الأمير وهُداه.

---

(1) انظر: النهاية، الفتن والملاحم (31/1) تحقيق د. طه زيني.

(2) المصدر السابق نفسه (29/1).

(3) الأجلى: الخفيف الشعر مابين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته.

(4) انظر: ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي (1367/2).

(5) انظر: النهاية، الفتن والملاحم (31/1).

(6) انظر: البخاري، كتاب احاديث الانبياء، نزول عيسى بن مريم (491/6) مع الفتح.

(7) انظر: مسلم، كتاب الايمان، باب نزول عيسى (193/2) مع شرح النووي.

وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحن ، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبدالله ، ويقال له المهدي، والسنة يفسر بعضها بعضاً.

● فعن ابي سعيد الخدري ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ: (منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه)(1).

●وعن جابر ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ: (ينزل عيسى بن مريم ، فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول : لا ، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله هذه الأمة)(2).

●عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين)(3).

لقد جاءت الأحاديث بالتواتر عن خبر المهدي:

قال الشوكاني: (الأحاديث في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف والمنجبر، وهي متواترة في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي، فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع، إذ لامجال للاجتهاد في مثل ذلك)(4).

قال صديق حسن خان: (الأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الاسلام من المعاجم والمسانيد)(5).

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: (والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام)(6).

وأما العلماء الذين صنفوا كتباً في المهدي بالإضافة الى كتب الحديث المشهورة، كالسنن الأربعة، والمسانيد، مسند أحمد، مسند البزار، ومسند أبي يعلى، ومسند الحارث بن أبي أسامة، ومستدرك الحاكم، ومصنف بن أبي شيبة، وصحيح بن خزيمة، وغيرها من المصنفات(7)، التي ذكرت فيها أحاديث المهدي فإن طائفة من العلماء أفردوا في المهدي المنتظر مؤلفات ذكروا فيها جمعاً كبيراً من الاحاديث الواردة فيه(8). ومما يؤسف له أن طائفة من الكتاب أمثال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار وصف أحاديث المهدي بالتناقض والبطلان وأن المهدي ليس إلا اسطورة اخترعتها الشيعة، ثم دخلت كتب أهل السنة(9).

---

(1) انظر: رواه أبونعيم في (أخبار المهدي) صححه الألباني صحيح الجامع الصغير (7170/5).

(2) انظر: المنار المنيف لابن القيم ، ص148،147.

(3) انظر: سنن ابي داود، كتاب المهدي (375/11) رقم 4265.

(4) انظر: التوضيح في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح.

(5) انظر: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، ص112.

(6) انظر: نظم المتناثر في الحديث المتواتر ، ص147.

(7) انظر: عقيدة اهل السنة والأثر في المهدي المنتظر للعباد، ص166، 168.

(8) انظر: الدولة العبيدية، لعلي محمد الصلابي، ص62.

(9) انظر: تفسير المنار (499/9-504).

وممن أنكر أحاديث المهدي صاحب (دائرة معارف القرن العشرين)[1] محمد فريد وجدي وسار على نفس الخط أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام.

ويبدو أن هؤلاء الكتاب تأثروا بما ذكره المؤرخ ابن خلدون في تضعيفه لأحاديث المهدي، مع العلم أن ابن خلدون ليس من فرسان هذا الميدان حتى يقبل قوله في التصحيح والتضعيف، ومع هذا فقد قال -بعد أن استعرض كثيراً من أحاديث المهدي وطعن في كثير من أسانيدها: (فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي، وخروجه أخر الزمان، وهي كما رأيت - لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه)[2].

قال يوسف الوابل في أشراط الساعة تعليقاً على قول ابن خلدون: (ونقول : لو صح حديث واحد، لكفى به حجة في شأن المهدي، كيف والأحاديث فيه صحيحة متواترة)[3].

قال الشيخ أحمد شاكر رداً على ابن خلدون: (إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين الجرح مقدم على التعديل ولو أطلع على أقوالهم وفقهها ، ما قال شيئاً مما قال، وقد يكون قرأ وعرف، ولكنه أراد تضعيف أحاديث المهدي بما غلب عليه من الرأي السياسي في عصره)[4].

ثم بين أن ماكتبه ابن خلدون في هذا الفصل عن المهدي مملوء بالأغاليط في أسماء الرجال ونقل العلل، واعتذر عنه بأن ذلك قد يكون من الناسخين ، وإهمال المصححين.

إن ماذهب إليه محمد رشيد رضا وابن خلدون ومحمد فريد رحمهم الله تعالى ليس صواباً، وإنما الحجة في كتاب وسنة رسولهﷺ، والروايات المذكورة في خروج المهدي صحيحة متواترة تواتراً معنوياً وهذا يكفي وأما كون الأحاديث قد دخلها كثير من الاسرائيليات، وأن بعضها من وضع الشيعة وغيرهم من أهل العصبيات، فهذا صحيح ولكن أئمة الحديث قد بينوا الصحيح من غيره، وصنفوا الكتب في الموضوعات وبيان الروايات الضعيفة، ووضعوا قواعد دقيقة في الحكم على الرجال، حتى لم يبق صاحب بدعة أو كذب إلا وأظهروا أمره، فحفظ الله السنة من عبث العابثين وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين ، وهذا من حفظ الله لهذا الدين.

وإذا كانت هناك روايات موضوعة في المهدي تعصباً فإن ذلك لا يجعلنا نترك ماصح من الروايات فيه، والروايات الصحيحة جاء فيها ذكر صفته واسمه واسم أبيه فإذا عين إنسان شخصاً، وزعم أنه هو المهدي، دون أن يساعده على ذلك ما جاء من الاحاديث الصحيحة فإن ذلك لا يؤدي الى انكار المهدي على مافي الحديث ثم إن المهدي الحقيقي لا يحتاج الى أن يدعو له أحد، بل يظهره الله الى الناس إذا شاء، ويعرفونه بعلامات تدل عليه.

وأما دعوى التعارض، فقد نشأت عن الروايات التي لم تصح، وأما الأحاديث الصحيحة، فلا تعارض فيها والحمدلله وأيضاً، فإن خلاف الشيعة مع أهل السنة لا يُعتد به، والحكم العدل هو الكتاب والسنة الصحيحة، وأما خرافات الشيعة وأباطيلهم، فلا يجوز أن تكون عمدة يُردُّ بها ماثبت من حديث رسول اللهﷺ[5].

قال العلامة ابن القيم في كلامه عن المهدي: (وأما الرافضة الإمامية، فلهم قول رابع وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن، الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار، الذي يورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يُحس فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم ويقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يامولانا اخرج يامولانا: ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه، ولقد أحسن من قال:

---

(1) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (480/10).

(2) انظر: مقدمة ابن خلدون (574/1).

(3) انظر: اشراط الساعة للوابل، ص267.

(4) انظر: مسند الامام أحمد (197/5-198).

(5) انظر: اشراط الساعة ، ص267.

ماآن للسرداب أن يَلد الذي
كلمتموه بجهلكم ما آنا؟
فعلى عقولكم العفاءُ فإنكم
ثلثتم العنقاء والغيلانـــا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل)[1].

إن التهمة الموجهة للحركة السنوسية بان اتباعها يعتقدون في الإمام محمد المهدي السنوسي هو المهدي المنتظر تهمة باطلة، رفضها الإمام محمد المهدي، وعارضها وأبى الموافقة على القول بها، وعندما سئل الملك محمد إدريس -رحمه الله- عن رأي أبيه في قول بعض أتباع الطريقة بمهدويته أجاب: (كان كلما سمع هذا القول نفاه بشدة، وأبداً لم يعتقد به...)[2].

المبحث الثاني
موقف محمد المهدي السنوسي والليبيين من
الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الاسلامية

في بداية عهد السلطان عبدالحميد الثاني طلب من السيد محمد المهدي السنوسي إرسال قوة من رجاله من الأقطار البرقاوية الطرابلسية لمساعدة الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا عام 1877م إلا أن السنوسي أمتنع عن تنفيذ الطلب، لإنشغاله بالبناء والتربية والتكوين، والانتشار بالدعوة، والاستعداد للجهاد، وهذا الامتناع جعل السلطان عبدالحميد يرسل الرسل الى الامام المهدي السنوسي للوقوف على حقيقة أمره، وبذل السلطان عبدالحميد الثاني جهداً كبيراً في سبيل التعرف على طبيعة الحركة السنوسية، وحقيقة نواياها، وأهدافها، ومدى استعداد زعيمها للعمل ضمن سياسته في الجامعة الاسلامية، وتمت الخطوة الأولى في هذا المجال، بطلب من الداخلية العثمانية الى وليها في طرابلس ، لموافاتها بمعلومات عن الحركة ونشاطها.

أجاب الوالي كمال باشا (1893-1898م) بما يشعر بحسن علاقة الوالي بالحركة السنوسية، واطمئنان الى نواياها، وثقته برجالاتها وأكد في رسالته التي بعثها للسلطات العثمانية في استانبول، على الفوائد العلمية والإجتماعية التي حققتها زوايا الحركة السنوسية المنتشرة في الصحراء الكبرى[3] بين أعراب البادية، ورفع مستواياتهم الدينية الخلقية والثقافية، ومزاحمتها الفعالة للجمعيات التنصيرية المنبثة في القارة الأفريقية، ودخول الكثير من الزنوج في الاسلام بتأثير دعايتها له وأكد الوالي في ختام رسالته، انقياد الحركة بزواياها وقادتها الى دولة الخلافة العثمانية[4].

وأوفد السلطان عبدالحميد بعثة برئاسة رشيد باشا والي بنغازي ومعه الصادق المؤيد العظم أحد ياورات السلطان الى واحة الجغبوب في ليبيا وذلك عام 1889م ومما جاء في أخبار البعثة أن المهدي السنوسي قد أحسن استقبال البعثة واتاح لاعضائها مشاهدة زاوية الجغبوب والأطلاع على أعمال أتباع السنوسية، وأن المهدي

---

(1) انظر: المنار المنيف، ص153،152.

(2) انظر: الحركة السنوسية، ص187.

(3) انظر: حركة الجامعة الاسلامية ، احمد الشوابكة، ص230.

(4) انظر: الحركة السنوسية، ص205،204.

السنوسي لم يكن إلا داعياً مرشداً، وإنه يدعو بالتأييد للدولة العثمانية وتوفيق الحضرة السلطانية[1].

وبعد انتقال المهدي السنوسي من واحة الجغبوب الى واحة الكفرة في اقصى الجنوب من ولاية طرابلس عام 1895م، أرسل أحد اتباعه وهو الشيخ عبدالعزيز العيساوي الى استانبول ، لتأكيد اخلاصه وولائه للسلطان العثماني، وليطلب منه تأكيد الفرمانات التي صدرت من قبل للسنوسيين[2].

أصدر الباب العالي أوامره في إجراء التأكيدات اللازمة لولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي، في ألتزام الاهتمام والرعاية، والاحترام تجاه الحركة السنوسية واتباعها، وتقديم فريد العناية بكافة الزوايا[3].

وقد أرسل السلطان مع الشيخ العيساوي هدايا للمهدي السنوسي من بينها نسخة مطبوعة من صحيح البخاري له خاصة، خلاف عشر نسخ اخرى تعطى من قبله لمن يرى فيه الأهلية، كما أرسل له ساعة (لتكون في الأوقات الخمسة مذكرة بصالح دعواته لجانبه العالي)[4].

ورد السلطان على هذه البعثة بإرسال الصادق المؤيد العظم بزيارة المهدي السنوسي في واحة الكفرة، وهناك اطلع الصادق بنفسه على أحوال الزاوية واجتمع بالمهدي الذي استقبله استقبالاً طيباً، وأطمأن لحسن توجيه نحو السلطنة العثمانية ومما ذكره الصادق المؤيد العظم في رحلته عن المهدي (أنه شيخ صادق لمقام الخلافة، وحسب وصية والده ، فهو في كل صباح عقب الصلاة يجري الدعاء بالصحة والعافية لخليفة المسلمين، ثم تقرأ الفاتحة ، وذلك في جميع الزوايا، وهو دائماً يوصي اتباعه بطاعة أمير المؤمنين، ومحبة الدولة العثمانية، لأن طاعتها واجبة شرعاً وعقلاً)[5].

ومما زاد السلطان عبدالحميد ثقة بالحركة السنوسية كثرة شكايات الدول الأوروبية من الحركة، وتبرم قناصل الدول من نشاطها ، لعرقلتها الكثير من مشاريعهم التبشيرية التي كانوا ينوون تنفيذها[6].

وحين اطمأن السلطان عبدالحميد الثاني إلى صدق توجه الحركة السنوسية لدولة الخلافة العثمانية وإخلاصها في العمل لسياسة الجامعة الإسلامية، بعث السلطان عبدالحميد إلى محمد المهدي السنوسي رسالة تتضمن أسس حركة الجامعة الإسلامية وحقيقة أبعادها وأهدافها، والدور الذي يمكن أن تقوم به الحركة السنوسية ضمن هذه السياسة[7].

وأكد السلطان في رسالته إلى أهمية الخلافة والإمارة الإسلامية المقدسة التي اثبتها الله في البيت العثماني منذ مئات السنين افترضه الله على المسلمين من نصرة هذه الخلافة وتأييدها وطاعة ولاة الأمر القائمين على أمرها، ولاسيما في مثل هذه الظروف التي تحيط بالعالم الإسلامي، والتي أجمع فيها من سماهم السلطان : (الأغيار من الكفار والملاحدة والمارقين والمفسدين في جميع الأقطار يتحزبون ويتوالون في السر والعلن خصومة للسنة والسنية وعزماً على هدم منار الخلافة العثمانية الإسلامية، ويأبى الله إلا أن يتم نوره)[8]، وحذر السلطان عبدالحميد محمد المهدي السنوسي من عمليات التسلل الأوربي إلى داخل القارة الإفريقية تحت شعار الكشف الجغرافي، والبحث العلمي من جانب الإنجليز والإيطاليين وغيرهم، مبيناً المقاصد المضرة بالدين والمسلمين من

---

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (162/2).

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص58.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص58.

(4)المصدر السابق نفسه، ص86.

(5) انظر: رحلة الى صحراء أفريقيا الكبرى، صادق المؤيد، ص48-49.

(6) انظر: تعليق على حاضر العالم الاسلامي ، شكيب ارسلان (162/2).

(7) انظر: السنوسية دين ودولة، ص87.

(8) المصدر السابق نفسه، ص87.

قبل هؤلاء[1].

وأكد السلطان عبدالحميد الثاني على أهمية تبصرة كل من له علاقة بالسنوسية والمتبين طرقها وزواياها المنتشرة في الصحراء الإفريقية بضرورة الإلتفاف حول الخلافة العثمانية المقدسة والإمامة الكبرى الإسلامية، التي هي ضمان قوة المسلمين وشعار وحدتهم وتضامنهم[2].

كما بين لمحمد المهدي السنوسي الوسائل العملية الواجبة الاتباع لمواجهة أعمال المبشرين وأعداء الإسلام والمسلمين في القارة الإفريقية لكشف وسائلهم وأهدافهم الكبرى، وذلك بتكثير اعداد الدعاة والعلماء وإعدادهم الإعداد المناسب وبثهم في كافة الأنحاء الإفريقية لنشر الإسلام بينهم، وتبصيرهم بأمور دينهم، والتأكيد على أهمية الخلافة في حياة المسلمين، ودور الوحدة والتضامن في دفع غائلة المعتدين، وأعداء الملة والدين[3].

إن الليبيين عموماً ارتبطوا بفكرة الجامعة الإسلامية، وسياسة الدولة العثمانية وسلطانها عبدالحميد الثاني الذي تبنى الدعوة إليها وأكدوا في كل مناسبة ارتباطهم بهذه الدعوة، وخاصة في أزمات الدولة، ففي حرب الدولة مع اليونان سارع أهل طرابلس بتشكيل اللجان لجمع التبرعات وقد كتب على الاستمارات المعدة للجمع عبارة (إعانة جهادية) وبلغ مجموع التبرعات قرابة (مائة ألف فرنك)[4].

وامتدح الشيخ سليمان الباروني (1870-1940م) أحد الزعماء الليبيين الدولة العثمانية وسلطانها، وأشاد بجيشها بمناسبة حربها مع اليونان وإنتصارها عليهم[5].

وأنشد الشاعر مصطفى بن زكرى بهذه المناسبة قصيدة قال فيها:

ياسعد سر مترنمـــاً
ببشائر السعد المبيـن
واعطف على دار الخلافة
باليسار وباليميـــن
وإذا مـررت (بيلدز)
وسعدت بالملك المكين
تاج الخلافـة بهجــة
الدنيا وعز المسلمـين
عبدالحميد وناصر
الدين الحنيفي المبين[6]

وعن اليونانيين أعداء الخلافة قال:

مهلا بني اليونان لستـــم

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص87.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص88.

(3) المصدر السابق نفسه، ص88.

(4) انظر: الحوليات الليبية، شارك فيرو (774/3).

(5) انظر: صفحات خالدة من الجهاد، زعيمة الباروني، ص80.

(6) انظر: صلات بين ليبيا والترك، للمصراتي ، ص182-196.

في الحروب بمعجزين

وجنودكم أمست (بترناوة)

حصيداً خامدين(1)

وساهمت صحافة ليبيا في المدن رغم نشأتها المتأخرة بدعم حركة الجامعة الإسلامية ففي أول ديسمبر 1908م ظهرت جريدة الكشاف، وكان صاحب امتيازها ومديرها المسؤول محمد النائب الأنصاري ووصف الجريدة بأنها ملتزمة بخط الجامعة الإسلامية(2).

وفي أوائل مارس 1908م صدر العدد الأول من جريدة (العصر الجديد) التي وصفت نفسها بأنها سياسية علمية، وجعلت شعارها (من الشعب إلى الشعب) وتعاطفت مع (اللواء) المصرية، كما سارت في تيارها بتبني فكرة الجامعة الإسلامية(3).

وفي استنبول أصدر الزعيم الليبي عبدالوهاب عبدالصمد صحيفة (دار الخلافة)، وجعلت محور سياستها الدفاع عن الخلافة والجامعة الإسلامية(4).

وأسس الشيخ سليمان الباروني في القاهرة مطبعة عام 1325هـ/1908م أسماها (الأزهار البارونية) التي حدد هدفها قائلاً: (أن تكون خادمة للدين، سائرة في ركاب الجامعة الإسلامية، ناثرة للآداب ولكل مافيه نفع وإرشاد الأمة والهيئة الإجتماعية مترقية في مدارج التقدم)(5) وأصدرت المطبعة جريدتها باسم "الأسد الإسلامي " في عام 1908م(6).

اهتم سليمان الباروني بفكرة الجامعة الإسلامية، واتخذ من جريدته منبراً لإعلاء فكرتها، ومجالاً لبحث مشاكل المسلمين وتقصي أخبارهم. ومما جاء في افتتاحية العدد الأول منها .. فقد كان الرشاد في الأمة في زمن انقياد أفرادها بطبيعتهم لقوانين الشرع الشريف، ووقوفهم عند مناهيه. ثم لما دارت الأيام بدوران الدهر، وتغيرت الطبائع باختلاف أصناف البشر، وقع التساهل في أمر الدين، وانحلت عرى الاتحاد وساد الشقاق. وتؤكد الجريدة أنه سيكون على رأس اهتماماتها بذل النصح للأمة الإسلامية، وارشادها إلى مايعود عليها بالنفع العاجل والآجل والتقدم في مباراة الأمم الحية، ومزاحمتها في معترك الحياة الهنيئة(7).

وتساءل الباروني عن الأسباب الكائنة وراء فرقة المسلمين، وتفككهم، وما إذا كان ممكناً لمّ شعثها وتوحيد كلمتها في هذا الزمن الذي هم فيه أحوج إلى الاتحاد من أي شيء آخر(8). وهو يؤكد أن هذا ممكن، مدللاً عليه بشدة اهتمام اوروبا وساستها وكتابها بملاحظة الحالة التي بدأت تظهر بين المسلمين، بفعل مايبديه سلطانهم عبدالحميد وإلى جانبه المخلصون للعمل في سبيل تحقيق مابينهم من جامعة تضم كلمتهم وتوحيد رأيهم وتجمع شتاتهم أينما كانوا في أطراف المعمورة، حتى إذا ماكانوا يداً واحدة، وعلى قلب رجل واحد، ناقشوا أوروبا

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص182-196.

(2) انظر: صحافة ليبيا في نصف قرن، علي المصراتي ، ص100.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص73.

(4) المصدر السابق نفسه، ص109.

(5) انظر: صفحات خالدة من الجهاد، ص40.

(6) انظر: الحوليات الليبية (786/3).

(7) انظر: صفحات خالدة من الجهاد ، ص20.

(8) المصدر السابق نفسه، ص31.

الحساب وناصبوها الحرب(1).
وقد ظل عموم الليبيين على ولائهم للدولة العثمانية وسلطانها عبدالحميد فهو بالنسبة لهم خليفة المسلمين، وملجأ الدنيا والدين، ودولته ملاذ المسلمين جميعاً ودرعهم الواقي ضد محاولات أوروبا للنيل من استقلالهم(2).
واستمر هذا الشعور قائماً لدى أهل المدن في ليبيا، وزعماء الحركة السنوسية وأتباعها، حتى قام حزب الاتحاد والترقي في تركيا بإبعاد السلطان عبدالحميد الثاني 1908م فلم يشعر أهل الولاية إزاء هذه الحركة بالاطمئنان، ولم يستبشروا بها خيراً، بل قابلوها بالمعاداة والاستهجان، لما عرفوه عن الاتحاديين من " بعد عن الحكمة ومناهضة للدين "(3) واستهجن الليبيون إعلان الدستور ولم يروا مبرراً لصدوره خاصة والشريعة الإسلامية كفيلة بسد حاجتهم، ووقع إثر ذلك حوادث كبيرة في طرابلس ضد الحركة والقائمين بها، وطالب غالبية الناس بابعاد من قدم إلى الولاية من الاتحاديين(4). ويذكر كاكيا:
(إن الأهالي في ليبيا نظروا إلى الجمعية بغير عين الرضى، وكرهوا رجالها، لتدخلهم في مسائل العادات والدين، وعدّوا إعلان الدستور انتهاكاً للشريعة الإسلامية)(5).
إن زعماء الحركة السنوسية كانوا شديدين الولاء للدولة العثمانية وكذلك زعماء المدن الليبية، وهذا يدل على الوعي العميق وشعورهم بضرورة مساندة دولة الخلافة، والمحافظة عليها من منطلق شرعي يدينون به المولى عزوجل وكان هذا الفهم منبثق من فهمهم لقول الله تعالى: ,واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا- (آل عمران، آية: 103) وقال تعالى : ,ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم- (آل عمران، آية: 105) فقد كان أجدادنا يرون : (ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً)(6).
وإن كانت الخلافة الإسلامية العثمانية خرجت في آخر أيامها عن خطها الصحيح لأسباب وعوامل داخلية وخارجية إلا إنها لازالت في دائرة الإسلام ولم تمرق منه مروق السهم، وخصوصاً قبل عزل السلطان عبدالحميد الثاني ولذلك رأى زعماء الحركة السنوسية والليبيون عموماً عدم الخروج على الدولة العثمانية : (ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولاندعوا عليهم ولاننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم طاعة الله عزوجل فريضة، مالم يؤمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة)(7) هكذا كان موقف الحركة السنوسية وزعماء ليبيا من الدولة العثمانية.

المبحث الثالث
رحلة المهدي السنوسي الى الكفرة وقرو

<u>أولاً :الرحلة الى الكفرة والصدام مع فرنسا:</u>
كانت خطة التوسع عند الحركة السنوسية تستدعي من زعيمها محمد المهدي الانتقال نحو الجنوب وفق

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص23.
(2) انظر: قضية ليبيا ، محمود الشنيطي، ص27.
(3) انظر: حركة الجامعة العربية، الشوابكة، ص237.
(4) المصدر السابق نفسه، ص237.
(5) انظر: ليبيا في العهد العثماني، كاكيا من الترجمة العربية، ص60.
(6) انظر: تهذيب الطحاوية للصاوي، ص296.
(7) المصدر السابق نفسه، ص302.

خطوات مرسومة، ومراحل معلومة لدى قادة الحركة، وتقرر لدى محمد المهدي الانتقال من الجغبوب الى الكفرة، وشرع في تنفيذ القرار الاستراتيجي بسرعة البرق، فجمعت الأبل الكافية للنقل، وخبراء الطريق، والامتعة الضرورية، وعين الامام السنوسي رفقاءه في سفره الى العاصمة الجديدة، وفي يوم 22 شوال سنة 1312هـ جمع الامام السنوسي جميع سكان الجغبوب للوداع وألقى فيهم نصائحه الغالية، وانتقل بعد ذلك من الجغبوب والأفئدة تتقطع لهول الفراق والأعين وراءه شاخصة فنزل بموقع قريب من الجغبوب يقال له حطيئة (الزربي) وبهذا المكان كان وداع المشيعين وفي طليعتهم كبار الاخوان، كالسيد احمد الريفي ، ومحمد عابد السنوسي، وأبي سيف مقرب، ومحمد المدني، وأحمد بن ادريس، وعمران السكوري، وهنا يظهر جلال الموقف وشدة الفراق، ونلمس ذلك في القصائد التي ألقيت يوم ذاك[1] يقول الأديب الحشائشي ولما آفاق ابو سيف مقرب من غشيته التي اصابته عن مفارقة الشيخ المهدي صعد فوق هضاب عال ومعه جماعة من الاخوان توجه الى الركب بنظره وطفق ينشد ارتجالاً من شعره العذب مايلين به الجلمود ويورق به العود[2]، حيث قال :

همو هيجوا يوم النوى أشجاني
وحاديهم لما ترنم اشجانـــــــــي
وهم سلبوا لبي وألبس بينهم
رداء الردى جسمي وأثواب أحزاني
وهم غادروا جسمي لظاً بعد مهجة
جرى ذوبها من بحر مدمعي القانــي
فوالله لا أنسى عشية ودعوا
فاودعتهم صبري وأودعت سلواني
وضاعف احزاني مواقف جمة
وبرح بي فقدانهن واضنانـــــــي
يسائلني مولاي تسئال رحمة
يحل بها شأني ويبئس الشانــــــي
ومن أعجب الأشياء رحلة معشر
غدت محشراً أوهت قوى كل انسان
تبلد من جرائها كل سوقــة
وطأطأ اجلالاً لها كل سلطان
وزلزلت الدنيا وماجت بأهلها
وعادت عواد بين ترك وعربان
لك الله من ركب تيمم كفرة
تتاخم كيوار المتاخم سودان
غدا طاوياً نشر البسيطة باسطاً
لاعلام عز تنجد الضارع العاني
ومنتقياً عزماً يفل بحده
قواطع آراء من أهل وجيران
ولم يثنيه عما نوى ألم النوى
وأنّت محزون ورنة صبيــان
وحثوا مطاياهم ببيض قبابهم

---

(1) انظر: برقة العربية امس واليوم، ص217.

(2) انظر: رحلة الحشائشي، ص168.

فلاحت نجوم دونها نجم كيوان
سروا والدياجي حالك صبح لونها
يؤمون احقافاً ترى ذات ألوان
وخلوا بجغبوب المقدسة علية
يعلون بعداً النهل طلاب عرفان
وقصراً مشيداً كان مطمح انفس
ومطلع مطعام ومطعن مطعان
ربعاً عهدنا بهوه وهو آهل
بانجاب اشبال وآساد خفان
وكانت لهم فيه مواقف جمة
أناب لها فخراً على كل إيوان
وحلت بواديه بواد فاصبحوا
نشاوى بإنشاد وذكر وقـــرآن
وكانت بمغناه علوما يبثها
مشايخ اعلام واعلام فتيـــــان
رووا متنها عن حافظ اي حافظ
أسانيده تعلوا بضبط واتقـــان
هو (ابن السنوسي) الذي شاع ذكره
بكل بلاد بين سوس وإيـــــران
إمام همام كان للحق قبلة
تيممها القاصي من الخلق والدانـــي
وشهرته تغني عن اطراء مدحه
كما اشتهر (المهدي) بالعالم الثانـــي
سقى الله أرضاً زارها صوب قطره
وساق لذاك القطر عارض نسيـــان
على أنها تغني بعذب نواله
ومدراره عن كل أوطن هتـــان
متى تشتفي نفسي بقرب لقائه
ويستن طرف الطرف في روض احسان
متى يأتي مولاي الشريف مصاحباً
كتائب كتاب ببيض ومـــــران
فإني من رجعاكم لست آيساً
ولا يأس من روح ورحمة رحمـــن
وإني مقيم سادتي برحابكم
على عهدكم حتى ألف بأكفـــان
وإني أرجو نظرة مقامكم
تسلى عن الدنيا وزخرفها الفاني

عليكم سلام الله ماهبت الصبا

تحية صب خافض القلب هيمان[1]

لقد كان قرار انتقال الإمام المهدي الى الكفرة مفاجأة لأهالي ليبيا واهتزت البلاد من أقصاها الى أقصاها وترك أثراً حزيناً أليماً في النفوس، ووصفه أحد الشعراء باللغة الشعبية فقال:

رحل سيدي وارعب لوطان

عظيم الشأن حركاته بإذن الرحمن

رحل سيدي وارعب لسلام

لها صارت شدا أو نكـــــــــد

وصارت بعد الضي ظلام

عليك ضيقاً في شدائـــــــــد[2]

وكان الاخوان الذين رافقوا الامام المهدي السنوسي في رحلته كل من ؛ احمد البسكري، احمد التواتي، احمد الجراولي ، احمد الثني الغدامسي، محمد السني، وغيرهم من كبار الاخوان[3].

ولما بلغ الشيخ واحة (الكفرة) تلقته قبيلة (زويا) من كبار قبائل العرب في الصحراء، ومن جاورها من القبائل وكانوا في غاية الفرح والسرور، وكان في استقباله خارج منطقة الجوف أكثر من ثلاثة آلاف رجل يتقدمهم رئيس زاوية الجوف ومشايخ وأعيان قبيلة زوية ومن معهم من المجابرة وابتهجت واحة الكفرة بقدوم زعيم الحركة السنوسية، وتبارت الخيول وأطلق الرصاص وبهذه المناسبة قتل يونس الرويعي رجلاً من قبيلة الزوية بأصابة خطأ، فنادى شيوخ الزوية أعيانهم في قومهم بأن لايترك الاحتفال من أجل موت أحدنا وأن القاتل في مأمن اكراماً للإمام السنوسي، وبعد انتهاء الاحتفال اجتمع شيوخ وأعيان القبيلة وتقاسموا الدية الشرعية للمقتول ودفعوها إلى أهله فوراً وتسامحوا مع القاتل، كل ذلك تم في يومه وقرر جميع أعيان وشيوخ أزوية أن يتقدموا بهدية إلى زعيم الحركة السنوسية بمناسبة تشريفه إياهم بقدومه، وكانت الهدية هو التسامح فيما بين أفراد وقبائل زوية من الأحقاد والتنازل عن حقوقهم التي يطلبها أحد أفراد القبيلة من الآخر وتطلبها عائلة من أخرى مهما عظمت تلك الحقوق التي قد تؤدي إلى شقاق وفساد، وتنازلوا عن ثلث ممتلكاتهم وقفا لأعمال الحركة السنوسية من نخيل وبساتين وأراضي كل ذلك عن طيب خاطر وقربة لله، ودعماً للحركة الإسلامية التي تبنت دعوة الإسلام في الصحراء الكبرى، وأدغال إفريقيا، وتبرع جميع أغنياء القبيلة ومن معهم من تجار المجابرة باطعام جميع الفقراء، وكساءهم واستمر الفرح والاحتفال شهراً بعد وصول زعيم الحركة السنوسية الثاني الإمام المهدي وشرع الإمام المهدي في بناء زاوية التاج التي اختطها، محمد البسكري، حسب توجيهات زعيم الحركة، فأبدع في تخطيطها، وجعلها على قمة ربوة عالية تبعد عن زاوية الجوف بما لايقل عن ميل ونصف تقريباً[4].

أصبحت الكفرة عاصمة الحركة السنوسية لوجود زعيمها فيها، ففتحت المدارس لتعليم القرآن الكريم، وتصدر مجالس التدريس كبار العلماء، وتقدمت سوقها التجارية تقدماً باهراً، إذ أصبحت تردها بضائع السودان، وتصدر اليه عنها، وهكذا الحال بينها وبين برقة، من جهة وبينها وبين مصر من جهة أخرى، وتحسنت زراعتها إلى حد بعيد، وجلبت إليها أشجار الفاكهة من واحة سيوه، ودرنة .. وغيرها وعمرت بالسكان الذين هاجروا إليها من المجابرة والتبو والسودانيين، فضلاً عن سكانها المعروفين، من قبائل الزوية حتى أصبحت ذات أهمية كبرى في

---

(1) انظر: رحلة الحشائشي ، ص169، 170، برقة العربية ، ص217، 218.

(2) انظر: برقة العربية امس واليوم، ص221.

(3) انظر: رحلة الحشائشي، ص171.

(4) انظر: برقة العربية، ص220،219.

وقت قصير[1] وأصبحت قبيلة الزوية بمثابة الحرس الخاص لزعيم الحركة السنوسية[2].

تولى المهدي السنوسي تصريف أمور الحركة من الكفرة، فعجت بالحركة، وأصبح اتباع الحركة يقدمون إليها من كل حدب وصوب، حتى ضاقت بهم مساكنها. وفي إحدى رسائل المهدي إلى محمد علي المحجوب في زاوية الطيلمون بليبيا يطلب المهدي إرسال خيام لأن وفوداً كثيرة جاءت للتسليم عليه وهو خجل لعدم وجود بيوت تأويهم[3].

وقام الإمام السنوسي بإرسال رسله إلى مختلف الجهات، فأرسل مرتضى فركاش بن أبي خريص بكتاب إلى سلطان واداي ومعه رجلان، وأرسل رسالة لوالي بنغازي، وانتظمت الرسائل بينه وبين الزوايا، ونظم حياة الأهالي في الكفرة، وفرض النظام، ومنع الإعتداءات، ونشر السلام بين قبيلتي زوية والتبو اللتين تسكنان تلك المنطقة، ووجه الأتباع نحو العمل المثمر، سواء في تعمير الزوايا، والدعوة إلى الله، أو في التجارة، وقد زاد تبعاً لذلك عدد سكان الكفرة وانتعشت حياة الأهالي وعم الرخاء، واهتم بحفر الآبار المتتابعة، على طول خطوط القوافل، فكان يرسل البعثات لإتمام ذلك، وأصبحت الكفرة ملتقى القوافل مابين السودان الغربي (تشاد) والسودان الشرقي وسواحل برقة، ومن البعثات الاستكشافية التي أرسلها الإمام السنوسي التي اكتشفت حطية العوينات والحطايا التي تكتنفها ولم تكن معروفة قبل ذلك، كما يقول الأشهب[4]، وخفّ إلى تلك الحطايا عدد من رجال قبيلة زويه، وكانت تلك القبيلة صادقة في وعدها لإمام الحركة السنوسية، فقامت بأعمال كبيرة لصالح الدعوة الإسلامية. ويبدو أن ابن السنوسي المؤسس عرف قدراتها، فاهتم بها، ويظهر هذا جلياً في حواره مع عقيلة الزوي عند بناء الجغبوب حيث حدثه عن رغبته في بناء زاوية في الكفرة وقال له (مرادنا في كونكم تتولوا أمرها)، فكان أن أسس زاوية الجوف التي عرفت نسبة إلى ابن السنوسي باسم زاوية الأستاذ[5].

وأنشئت في فترة الإمام المهدي عدة زوايا في منطقة الكفرة منها (التاج) كما ذكرنا، وربيانة، وتازربو، وامتد نشاط الحركة نحو الجنوب، فوصلت إلى مواطن جديدة في السودان الإفريقي، بواسطة الدعاة، وقوافل التجارة، فوصلت دعوة الإسلام إلى بشر جدد، وقبائل وثنية متعطشة إلى دين الفطرة، وهذا التوغل المحمود، والانطلاق الجميل بدعوة الله، كان ابن السنوسي المؤسس قد خطط له منذ عهده الباكر في الدعوة إلى الله فقد قال (.. إذ أن الشعوب المجاورة في السودان والصحرا. من إفريقية الغربية، لاتزال تعبد الأوثان،...)[6].

إن انتقال الإمام المهدي إلى الكفرة ينسجم مع خطة الحركة السنوسية التي استهدفت قبائل الصحراء، وافريقيا الوسطى بدعوة الإسلام، ولذلك تحرك زعيم الحركة لاختيار مركز متوسط يعينه على تبليغ رسالته وأداء واجبه، أما قول من قال إنما قام بذلك خوفاً من الأوروبيين الذين أرادوا القبض عليه، فباطل، لأنه جاء للسودان الغربي ليقود حركة جهاد ضد أطماع فرنسا خصوصاً والأوروبيين عموماً[7]، وأما قول بعض المؤرخين إنما اندفع نحو الجنوب خوفاً من السلطات العثمانية[8]، فهذا مردود، لأن علاقة الحركة بالدولة كانت قوية، بل إن السنوسية أصبحت من الركائز المهمة في فكرة الجامعة الإسلامية.

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص237.

(2) انظر: المهدي السنوسي، ص71.

(3) انظر: الحركة السنوسية، ص220.

(4) انظر: الحركة السنوسية، ص221.

(5) المصدر السابق نفسه، ص221.

(6) انظر: السنوسية دين ودولة، ص12.

(7) انظر: الحركة السنوسية، ص218.

(8) المصدر السابق نفسه، ص218.

إن الإمام السنوسي حرص على أن يتوسط ميداناً يقود به حركة الإسلام في إفريقيا الوسطى ولذلك اندفع جنوباً، كما أنه حدثت أحداثاً مهمة جعلته يحرص على القرب منها، توغل فرنسا في القارة الإفريقية ومحاولة بسط نفوذها على الإمارات الإسلامية في إفريقية الغربية(1)، كانت الوسائل الأمنية لدى الحركة السنوسية تقوم بجمع المعلومات على تحركات جواسيس فرنسا التي تحاول معرفة حقيقة قوة الحركة السنوسية، وكان الحدث الآخر الذي يشكل خطراً على الحركة السنوسية في تشاد قيام سلطنة رابح في السودان الغربي، فقام الإمام السنوسي، بحركته الإستراتيجية، فانتقل إلى الكفرة كخطوة أولى، وعمل على توطيد العلاقات بينه وبين واداي، التي كانت علاقتها بالحركة السنوسية قوية منذ عهد ابن السنوسي الذي كان على صلة بسلطانها: (ثم ازدادت الروابط بين المهدي وسلطان واداي في المدة التالية: حتى طلب يوسف (سلطان واداي) أن يوفد المهدي إلى أبشه أحد كبار الشيوخ السنوسيين مندوباً خاصاً في عاصمته، فأرسل إليه سيدي محمد بن عبدالله السني .. فوطد نفوذ السنوسية في واداي)(2).

ولابد من بيان العمل الجليل التي قامت به قبيلة زوية في مساندة الدعوة والوقوف معها ودعم زعيمها وقد مدح الشاعر ابومقرب سيف هذه القبيلة:

زوية أهل الفخر إن جئت حيهم
ترى العز في نادى زوية بادياً
وأهل الفتى أمضا من السيف عزمه
وان كان للضيفان بالبشر بادياً
اذا مادعوا يوماً الى شن غارة
رأيت المنايا الحمر تعلوا المذاكيا
فكم من جريح قد اباحوا واجحفوا
بمال غني لايخافون عادياً
فارشدهم مرشد من حل بينهم
فلا زال مهدياً ولازال هادياً(3)

ثانياً: أحداث أثرت في الإمام الثاني للحركة السنوسية:

مرت ظروف عصيبة بالإمام السنوسي أثناء إقامته بالكفرة أثرت فيه وبحركته، فقد اشتد مرضه ولزم الفراش وعاوده عدة مرات، واشتد به الألم حتى امتنع عن ملاقاة الناس والجلوس في الصلاة.

وقد جاء في رسالة بعث بها لأخيه قوله (وقد زال تغير الهواء بلا ضرر ولا عناء والألم الذي معي تهاون بحمد الله .. وقد ظهر النقص في الحبة الأولى لأنها الكبيرة وقل سيلانها وانجلت الزرقة التي حولها وكانت قدر دائرة الكف من غير الأصابع .. وصرت أقدر على تكلف الجلوس في الصلاة وملاقاة الناس)(4). وجاء في رسالة أخرى أرسلها لأخيه بتاريخ 13 ربيع الأول 1313هـ قوله: (أحسست بالألم في الجهة الأخرى وتزايد .. وبعد أن عجزت عن أداء الصلاة قائماً وقاعداً، وصرت أصلي على جنبي راقداً .. وقد تركت الخروج للناس والجمعة، ونرجو الله أن تكون العاقبة خيراً)(5). ثم يظهر أن صحته تحسنت بعد ذلك وقد عرفت ذلك من خلال رسائله التي أرسلها إلى شيخ زاوية الطيلمون محمد علي المحجوب، ومن المصائب التي مرت به، وكانت

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص218.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة.

(3) انظر : برقة العربية ، ص580.

(4) انظر: المهدي السنوسي، ص68.

(5) المصدر السابق نفسه، ص68.

متلاحقة وفاة أستاذه عمران بن بركة في منتصف سنة 1311هـ، وتوفيت والدته في آخر تلك السنة. ثم لم يلبث شقيقه، ومساعده الأول محمد الشريف أن توفي في 27 رمضان 1313[1].

ثالثاً: محمد الشريف شقيق الإمام المهدي:

كان محمد الشريف عالماً ربانياً، ومستشاراً عبقرياً، وكان مشرفاً على معهد الجغبوب، وقد تميز بغزارة العلم، ودقة الفهم، والقدرة على التدريس، وتتلمذ على كبار علماء الحركة السنوسية، وتفرغ للطلب والتدريس وساعده على ذلك وجود مكتبة كبيرة احتوت على النشاط الديني، والعلمي، والأدبي وقد تحدث الطيب الأشهب عنها فقال: (ونظمت بالجغبوب مكتبة كانت من مفاخره، إذ أنها تعد في طليعة المكتبات التي لايمكن للأفراد الإتيان بمثلها، وكانت تضم قسماً كبيراً من المخطوطات النفيسة، ولم يجد الإمام بلداً إسلامياً إلا واستجلب منه الكتب، فمن مصر والحجاز والشام والأستانة وتونس ومراكش، إلى غير ذلك من البلاد الإسلامية الأخرى) وقال الحشائشي عن هذه المكتبة: (أما الكتب الموجودة في خزائنها فقد نيفت على الثمانية آلاف مجلد، من تفسير وأحاديث وأصول وتوحيد وفقه، وغير ذلك من كتب العلوم المعقولة والعلوم الطبيعية وغير ذلك، ولا يطبع في العالم كتاب باللغة العربية إلا ويبحثون عنه ويظفرون به، ..)[2].

لقد كانت الجغبوب محلاً لتخريج القادة، وشيوخ الزوايا، ولذلك حرص ابن السنوسي، وإبنه المهدي أن يوفروا كافة أسباب النشاط العلمي، وتتلمذ محمد الشريف على الشيوخ والعلماء، ونهل من الكتب الموجودة، في المكتبة المباركة حتى وصل إلى درجة عظيمة من الفقه والعلم يقول الأستاذ الأشهب: (سمعت هذه الحكاية الآتية من تلميذه والدي، السيد أحمد بن إدريس. قال: كنا نحضر على السيد الشريف، وكنا ندرس عنه الحديث والتفسير والتصوف ومطولات كتب اللغة، يجلس بكل تواضع، ويضع الكراس الذي بيده فوق منضدة من الخشب توضع أمامه، ويقرر مانحن بصدده، وعندما يمر بمشكلة فقهية أو تاريخية أو لغوية يسرد لنا رضي الله عنه من ذاكرته جميع وجوهها، وما ورد فيها من أقوال العلماء أو الأئمة المصنفين بأسلوب عذب ساحر خلاب، ولايترك قولاً ورد فيها إلا ويأتي به، ثم يوضح الأصح من الأقوال والمتفق عليه. وعندما نقف على أي بيت من الشعر في أي كتاب نقرؤه، أو أي موضوع نتناوله، يقول لنا: إن هذا البيت من قول فلان المولود سنة كذا، والمتوفى سنة كذا، ويبتدئ في قراءة القصيدة من ذاكرته، إلى أن يقف على البيت الذي كان السبب في إعلامنا بقوة حافظة سيدنا وسلامة ذاكرته)[3].

إن هذا العالم الجليل، والحبر العظيم، والبحر الزاخر من العلوم كان من أعمدة الحركة العلمية، فبوفاته اهتزت الجغبوب، وتأثر الإمام المهدي بهذا الحدث الجلل يقول أحمد الشريف عن خبر وفاة والده (وفي يوم النصف من شوال أتانا رسول خبره فصعب علينا فراقه غاية، وأزعجنا نهاية، ولكن لم نقل إلا ماقاله الصابرون المهتدون إنا لله وإنا إليه راجعون)[4].

---

(1) انظر: الحركة السنوسية، ص224.

(2) انظر: رحلة الحشائش ، ص152.

(3) انظر: السنوسي الكبير، ص47.

(4) انظر: احمد الشريف المخطوط من 44 الى 55.

لقد تأثر الإمام المهدي لوفاة أخيه وصبر واحتسب، وبكاه الإخوان السنوسيون في كافة الأقطار، وأبّنُه العلماء والشعراء والخطباء ومن بينهم، أبو سيف مقرب، والسيد السني، وهذه القصائد تدل على مدى النبوغ الأدبي الذي وصل إليه أتباع الحركة السنوسية:

قال الشيخ الشاعر العلامة محمد السني في رثاء محمد الشريف:

هجمت علي من الزمان خطوب

ومصائب منها القلوب تذوب

خطب يئن له الجماد وتنثنى

منه متون العزم وهي صلوب

نوب تنوب وحادث زواعج

ترمي الورى بسهامها فتصيب

جلت وجل بها المصائب وغادرت

رحب الفؤاد يئن وهو كئيب

لبس الاساء منه الاساء كما اكتسى

ثوب السواد لاجلها جغبوب

عهدي بربع الحل ملتحف البها

مخضرة أرجاء مرغوب

والشمل مجتمع ونشر البين في

طي وذيل سروره مسحوب

واليوم أصبح مقشعراً نازحاً

وحشى الطلول لاجلهم مخروب

دارت عليه من الزمان دوائر

أبدلهن على السرور وثوب

لادر در البين يوم ترحلوا

وسرت بهم نجب المنون تجوب

وحدي بهم حاد النوى والقلب في

نار الجوى متقلب مرغوب

سقيا لايام مضت لما انقضت

ان البكاء لاجلهم مطلوب

كل الرزايا ان توالت أسليت

إلا مصابك (ياشريف) صعيب

رزؤبة ثكل الفضائل كلها

ولوقعه وجه الزمان قطوب

تبكيك أبصار لانك نورها

وبصائر منكم لها تطبيب

ومعاشر أنتم ربيع قلوبهم

ومعاهد أنتم لها أشبوب

وفرائض ونوافل ومحافل

ومشارق ومغارب وجنوب

وبكى عليك الجو يقطر دمعه

وعلاه من أحزانه تثريب

أسفي وتهيامي وحر لواعجي

وقريح جفني بالدموع سكوب

صبر لامر قد قضاه إلاهنا

وعلى الجميع مقدر مكتوب

ناداه إكراماً وتشريفاً له

فغدا يهرول للنداء ويجيب

في ليلة القدر التي قد فضلت

عن ألف شهر خصه الترحيب(1)

وأما السيد أبو سيف مقرب فقد قال قصيدة في رثاء محمد الشريف، قال ذلك الشاعر الفحل إذا أخذت كل حرف من أول بيت يظهر لك هذه الجملة الآتية، سيدي ومولاي السيد محمد الشريف ﷺ(2): قال الحشائشي وهذا من أنواع البديع المسمى بالترصيع(3) قال الشاعر رحمه الله:

س سرنا بنعشك خضع الاعناق

سيراً دوين العدو والأعناق

ي يا خير محمول لأعلى جنة

ولحورها يلقينه بعناق

د داء أصاب المكرمات فغالها

واغتال روح مكارم الأخلاق

---

(1) انظر: برقة العربية، ص226،225.

(2) المصدر السابق نفسه، ص224.

(3) انظر: رحلة الحشائشي، ص161.

ي يجري على وفق القضا حتماً فلا
تبقى مواضيه على الأرماق
و والدهر يعتام الأخاير والردى
يعتاد نهب نفائس الاعلاق
م ماضرّه لو أن صارم صرفه
ابقاك للعافين والطراق
و والعلم والحلم الذي شمخت به
أفاق جغبوب على الآفاق
ل لكنه لاينتهي عن قصده
بتطبّب أورقية من راق
أ أودى الشريف ابن الشريف محمد
من للمعالي بعده من راق؟
ي ياجامعاً أصل العلوم وفرعها
جمعاً لمن ناواك غير مطاق
أ أنت الإمام لكل من أم الهدى
والدين بالإجماع والأصفاق
ل لك كنز معارف وعوارف
تحت الصفائح محكم الأطباق
س سرٌّ ثوى في روضة موشية
وشي الربا نحبّ الحيا الغيداق
ي يا ثاويا مع أصله في لحده
هذا قران السعد في الأعماق
د دار حوت أصل المكارم والعلا
مع فرعه شبت على الأطواق
م ماتلك جنة قد زخرفت
ورثت يامولاي باستحقاق
ح حزت النعيم بها وكنت منعماً
والله يمنحك النعيم الباقي
م ماعذر من ينعاك إذ لم يرتشف
كأس الردى من دمعة المهراق
د دمع من العين منها مرسل
تهمى بذاك قريحة الآماق
أ إن قصرت يوماً فإن قلوبنا

أسرى لفقدك في أشد وثاق

ل لو كان يفدى الميت بادر كلنا

يفدك بالآجال والأرزاق

ش شرفت ياجغبوب حقباً بالذي

أعلى منارك بالثناء الباقي

ر روت اليك وجوه آمال الورى

عطشاً لورد نواك الدفاق

ي يسعى لأرضك كل جلف مملق

فيثاب بالآداب والأرماق

ف فازت رجال باحتلال رياضه

ورياضه الخلد النعيم الراقي

ر راضي الأنام بعلمه وبحلمه

فتقدموا في حلبة الأسباق

ض ضار إذا ما ربته في دينه

أو رمت نقض العهد والميثاق

ي ياصفة صفوة ياشبل صبراً على

ريب الزمان وخطبة الفراق

أ إن المنايا غاية مادونها

من ناصر كلا ولامن واقي

لا لاتخطئ الأحيا سهام حتوفها

من فاته هذا فذاك يلاقي(1)

إن الحركة السنوسية فجرت طاقات الشعراء، وأضفت على شعراء الحركة معاني في الصدق، والمثل الرفيعة، ومبادئ الدعوة، وكونت أدباً رفيعاً خاصاً بها، يستحق البحث والتنقيب، والدراسة والتحليل، وخصوصاً إذا علمنا أن الشعر لم يكن صفتهم الأولى، وإنما كان أمراً لاحقاً، وشيئاً ثانوياً بالقياس إلى صفتهم الأصيلة، وهي كونهم علماء دعاة، اتجهوا في حياتهم إلى نشر العلم بين ذويهم وتهذيب النفوس، وإحياء الشعور الديني، وإصلاح المجتمع بهذه الوسيلة، ثم كانوا مع هذا يتمتعون بالموهبة الأدبية، على أقدار مختلفة(2).

إن القصائد السابقة تساعد الباحث على تصور الأجواء التي كانت أثر وفاة محمد الشريف رحمه الله، وبذلك يستطيع أن يصل إلى تأثير خبر الوفاة على الإمام المهدي وإخوانه في الحركة.

وبعد أسابيع قليلة من وفاة السيد الشريف أرسل السيد المهدي في طلب العائلة من الجغبوب إلى الكفرة فسافر محمد عابد وأفراد بيت والده مصحوباً بالسيد أحمد الريفي، وأبي سيف مقرب، وبهذا الانتقال لم يبقى من أفراد البيت السنوسي أحد بالجغبوب(3).

وفي عام 1314هـ جاء جلة أعيان برقة، ورؤساء القبائل لزيارة الإمام المهدي ليقدموا لسيادته أحر التعازي في وفاة أخيه(4) ويتدارسوا آخر تطورات الأوضاع الدولية، والمحلية، والإقليمية.

رابعاً: رحلة الامام المهدي الى السودان الغربي، والصدام مع فرنسا ووفاته:

---

(1) انظر: رحلة الحشائشي، ص159،160.

(2) انظر: دراسات وصور، ص326.

(3) انظر: برقة العربية ، ص227.

(4) المصدر السابق نفسه، ص231.

كان الامام المهدي يرسل البعثات الاستكشافية في الصحراء، ويحفر الآبار، ويتفقد الطرق الموصلة الى وسط السودان الغربي، وكانت تلك الاستعدادت تجري على قدم وساق، في جو من الكتمان الشديد، وبعد اربع سنوات من المكوث في الكفره شد رحاله الى زاوية قرو في برقو في السودان الغربي، ليشرف بنفسه على تنظيم المقاومة، واتخاذ الأهبة لمواجهة القوات الفرنسية الزاحفة نحو بحيرة تشاد(1)، وقد غادر المهدي الكفرة في أواخر جماد الثاني عام 1317هـ ورافقه أفراد أسرته، وكبار الأخوان، وشيوخ الزوايا، وأعيان القبائل وكان ذلك في أواخر جماد الثاني عام 1317هـ(2) وكان عدد رفقائه من الرجال 1066 رجل وهم الأخوان وشيوخ القبائل والحاشية الخاصة والخدم(3)، واستغرقت المدة بين الكفرة وقرو السودان الغربي، شهرين تقريباً(4)، وبمجرد وصول الامام المهدي الى قرو وحط رحاله هناك أخذ ينشر دعوته الاسلامية الدينية، وأخذت شعوب تلك المناطق تدخل في دعوة الاسلام طوعاً، وتنضوي تحت زعامة الحركة السنوسية مختارة، وكانت فرنسا تراقب تحركات الحركة السنوسية، وتستعد لمعركة فاصلة معها، وخصوصاً بعد أن استطاعت القضاء على مملكة رابح الزبير وهزمته في معركة لختة ثم تم قتله في عام 1900م وخضعت لهم سلطنته وباتوا يهددون كانم(5) وكان زعيمها قد : (ارسل محمد البراني الى كانم فبني زاوية في بير العلالي، وطفق يجمع جيوشاً من قبائل التبو، والطوارق وأولاد سليمان، والزوية، والمجابرة لمواجهة الزحف الفرنسي)(6).

تقدم الفرنسيون نحو كانم في حملة مجهزة بالاسلحة والمعدات الحديثة، واستعد السنوسيون لملاقاتهم فوضعوا حامية كبيرة في بير العلالي، واشتبكت الحملة في معركة حامية الوطيس مع الاخوان السنوسيين، وكان النصر حليف المدافعين برئاسة الشيخ محمد البراني الساعدي فأرتدت الحملة الفرنسية خائبة بعد أن تركت ميدان المعركة زاخراً بأشلاء الموتى، والجرحى، والمعدات واستشهد عدد غير قليل من بينهم، الشيخ عبدالله بن موسى فريطيس ، ووصل الخبر الى الامام المهدي، فأرسل من عنده نجدة لمعاونة المجاهدين واستأنف الفرنسيون زحفهم مرة أخرى، وكان عدد شهداء المعركة الثانية مائة شهيد، من بينهم كل من الشيوخ؛ غيث سيف النصر، ابوبكر قويطين، يونس بدر، السنوسي خيرالله وشقيقه عبدالله، وغيرهم، وقد بلغ عدد الأموات من الفرنسيين مائتين وثمانين منهم خمسون وعشرون ضابطاً. وفي اليوم التالي من هذه المعركة زحف الفرنسيون بعدد كبير من الجيش تعززه قوات احتياطية، فاشتبكت مع المجاهدين في معركة حامية الوطيس نتج عنها انسحاب المجاهدين، واحتلال القوات المعادية لمركز (علالي)، وفي هذه الاثناء وصلت نجدة من المجاهدين يقودها محمد عقيلة، واحتكت بالفرنسيين في مركز لهم اقاموه خارج (علالي)؛ فألتحمت هناك معركة دامية، اسفرت عن احتلال المقر الفرنسي، والاستيلاء على جميع ماحواه وفر عدد قليل من الفرنسيين الى (علالي) ثم قرر القائد السنوسي الزحف على مركز (علالي) وحاول بعض المجاهدين اقناعه ليكون زحفهم بعد تريث، غير ان القائد صمم على تحرير (علالي) من القوات الفرنسية أو أن يسكن (علالي) غرف الجنة، وتم الهجوم بروح جهادية عالية، واستشهد القائد السنوسي، واضطر المجاهدون تحت وابل الرصاص للإنسحاب بعد أن قتلوا من الجيش

---

(1) انظر: الحركة السنوسية ، ص225، 228.
(2) المصدر السابق نفسه، ص239.
(3) انظر: برقة العربية، ص239.
(4) المصدر السابق نفسه، ص239.
(5) انظر: الحركة السنوسية، ص229.
(6) المصدر السابق نفسه، ص229.

الفرنسي اضعاف مضاعفة، وفي هذه الاثناء وصل الى المجاهدين خبر وفاة الامام المهدي[1]، فخارت العزائم ، وضعفت الهمم وكانت وفاة المهدي بعد أن اشتد المرض عليه، وكان ذلك في يوم الاحد 24 صفر 1320هـ الموافق 2 يونيو 1902م في زاوية قرو. واقترح احمد الريفي نقل جثمان المهدي الى الكفرة فتم ذلك ودفن في زاوية التاج[2].

لقد كان محمد المهدي داعية من الطراز الأول، تجسدت في شخصيته صفات القادة الربانيين، وكان يهتم بأمر المسلمين ، في كل صقع من أصقاع العالم وكان يؤلمه اي خلاف اسلامي او أي مشكلة تقع بين الأفراد، أو بين العائلات، أو بين القبائل، فكان يولي هذه الناحية مجهودات كبيرة في فكره وتفكيره، ويتخذ كل الوسائل لازالة سوء التفاهم بعمله وآرائه وتدبيره، عاملاً على إحلال الصفاء والوئام محل الشقاق والخصام[3] وكان عفيفاً، يحترز من المال العام، فعلى سبيل المثال وصل الى الجغبوب حاكم برقة العثماني الفريق رشيد باشا، وحل بطبيعة الحال ضيفاً مكرماً على الامام المهدي، فعومل هذا الضيف بالاكرام والاحترام والتقدير، ولم يتناول مع محمد المهدي الطعام إلا مرتين اثنتين، ومرد ذلك الى أن موارد الجغبوب التي ينفق منها كانت من الاوقاف الاسلامية، والصدقات، والزكاة الشرعية، والهبات التي خصصها المتبرعون بها لتنفق على أوجه البر والاحسان ثم ما احتسب للمشاريع الاصلاحية والانشاء والتعمير، وللإنفاق على المشاريع، وعلى طلاب العلم، والضيوف، وعابري السبيل، والمعسرين ، وبطبيعة الحال أن دار الضيافة –وهي احد هذه المشاريع- هي التي تقوم باكرام ضيف الجغبوب الكبير، وكان المهدي السنوسي يتحاشى أن يصل إليه شيء من ذلك، وهكذا لايمكنه -على مايظهر- ان يتناول من الاطعمة التي تعد لرشيد باشا، وازاء هذه الحالة اقام مأدبتين من ماله الخاص لضيف الجغبوب المحترم وتناول معه الطعام، لقد كان المهدي السنوسي ينفق من موارد خاصة، مصدرها الزراعة، وتنمية الماشية، بزاويتي القصور ودفنة، ومن هذه الموارد كان مأكله وملبسه[4] لقد اتصف الامام المهدي السنوسي بصفات المؤمن ألا وهي (قوة في دين، وحزم في لين، وايمان في يقين، وقصد في غنى ، وتحمل في فاقة، واحسان في قدرة، وصبر في شدة، لايغلبه الغضب ولاتجمح به الحمية، ولاتفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولاتقصر به نيته، ينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، لايبخل ولايبذر، ولا يسرف، ولايقتر، يغفر اذا ظلم ، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء، والناس منه في رخاء)[5] فرحمة الله على المهدي، لقد اهتز العالم الاسلامي لخبر وفاة المهدي، وكتبت الصحف والمجلات الغربية والشرقية حول وفاة هذا الزعيم الاسلامي، وتولي قيادة الحركة السنوسية بعد وفاة المهدي ابن اخيه احمد الشريف، فقام بتوجيه رسالة الى شيوخ الزوايا نعى فيها عمه المهدي وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وهو العزيز الغفور. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون. وبعد فإنه من عبدربه سبحانه احمد ابن السيد محمد الشريف بن السيد محمد السنوسي الخطابي الادريسي الحسني الى الأجل الأبر الصفي الأنور سيدي الشيخ .... (ويكتب اسم شيخ الزاوية المرسل إليه الكتاب) سلمه الله آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته

---

(1) انظر: المهدي السنوسي، ص73.

(2) انظر: الحركة السنوسية، ص173.

(3) انظر: المهدي السنوسي، ص82.

(4) انظر: المهدي السنوسي، ص79.

(5) المصدر السابق نفسه، ص85،84.

ومرضاته والموجب لهذا السؤال عن الاحوال لا زالت محفوفة بالتكريم، والاجلال. وإن سألتم عنا فإننا ولله الحمد تحت مجاري الأقدار ساكنون، وفي قبضة من يقول للشيء كن فيكون ولنفحات المولى جل وعلا متعرضون، وبما حكم به سبحانه وتعالى راضون، وعن جميع مالا يرضى الخالق بحوله وقوته معرضون، وبما وعدنا به الله ورسوله موقنون، ولاغتلاس المنون مترقبون، سائلين منه تعالى منح مابشر به الصابرون القائلون عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. اجرنا الله وآجركم في مصيبتنا ومصيبتكم بالاستاذ الذي طلما رشد الخلق والى طريق الحق يهدي، سيدنا محمد ابن المهدي ﷺ، وأرضاه وجعل الجنة متقلبه مثواه، ونفعنا بأسراره وأسرار آبائه وجعلنا من المفلحين الذين هم حزب الله من أوليائه وأصفيائه فقد نقله من الدنيا الى الآخرة التي هي خير في منتصف نهار يوم الأحد الثالث والعشرين من صفر الخير من سنة عشرين وثلاثماية وألف، ضاعف الله له الخيرات وضاعف الضعوف ألوف ضعف وسقى بشابيب الرحمة تربته، واسكنه مع الذين أنعم الله عليهم جنته إنه جواد كريم بر رحيم، ومنا جزيل السلام الى جميع الاخوان والمحبين ومن عندنا سلم عليكم صنوناً السيد محمد عابد والسيد محمد ادريس، وكافة الانجال والاخوان والسلام)[1] تاريخ 7 ربيع الأول 1320هـ.

وهكذا انتقل السيد المهدي الى رحمة الله وهو لم يبلغ الستين من عمره، استطاع خلالها أن يتوسع في ميادين الدعوة، مقتفياً في ذلك منهج والده، ومات وهو في طريقه نحو ساحات الوغى، وألهب مشاعر اتباعه، ودفعهم نحو حب الجهاد، وورّث القيادة لجيل آخر استطاع أن يقارع فرنسا، وإيطاليا، وانجلترا بقيادة احمد الشريف.

واختم حياة الامام المهدي بهذه القصيدة الرائعة التي تدل على الطاقات الكامنة في شعبنا المسلم (الليبي) وقد جاءت هذه القصيدة تحمل في كل بيت منها صورة واضحة لسيرة الزعيم الثاني للحركة السنوسية، وبينت اصلاحاته العلمية، والدينية، والعملية، والنظامية وهكذا، فالاسلام دين ودولة ، وسيف ومصحف قال الشاعر الكبير رفيق المهدوي:

السيد (المهدي) اعظم مصلح
بعد الايمة قام بالاصلاح
اصلاحه الدين الصحيح منزه
عن جذبة المتصوف السباح
صان العقائد من خرافات ومن
بدع ومن متناقض الشراح
ماكان إلا بالشريعة عاملاً
بالعلم في نهجى تقي وسماح
متقيلا اخلاق والده الذي
بدأ الجهاد بهمة وكفاح
(ابن السنوسي) الذي آثاره
تغني عن الاطراء والامداح
كالشمس لا تحتاج برهاناً ولا

(1) انظر: مجموعة الشيخ منصور المحجوب نقلاً عن الحركة السنوسية، ص232.

يحتاج مبصرها الى استيضاح
والشمس ان جهل الكفيف ضياءها
عرف الحرارة في الشعاع الضاحي
والمسك يعرف دون رؤيته اذا
سطع الشذا من عرفه الفواح
والفرع ينزع للاصول نجابة
إن الوشيج يجود بالارماح
والنوع يبقى بعد طول تقلب
في حبه فتجيء بالادواح
آل الرسول وان تطاول عهدهم
مازال سر العرق في الاقحاح
كانت طريقته القيام بسنة
نبوية لألاءة الاوضاح
ليست لدروشة المريد وجذبه
بالدف او بالرقص او بصياح
كانت معالمه كسيرة جده
احياء دين وانتشار صلاح
اعمال مجتهد بخالص نية
للخير ، منتصر بغير سلاح
لوكان عن شيء لغير الله في
اعماله ماكللت بنجاح
اذ لايدوم سوى الذي هو نافع
للناس مرتفع عن الارباح
ومن الكرامة للولي نجاحه
في النصح بالاقناع والافصاح
والمرء لايعجبك منه ماسعى
بل مانوى في السعي من اصلاح
فإذا استوى عمل وحسن عقيدة
كان النجاح حليف كل طماح
إن العقيدة لايصح يقينها
إلا بفعل ظاهر وصراح
فاذا أحب الله باطن عبده
ظهرت عليه مواهب الفتاح
واذا صفت لله نية مصلح
مال العباد إليه بالارواح
هذي صفات السيد (المهدي) ولا
والله ما بالغت في الايضاح
فله من الخدمات للاسلام ما
يعلو على متناول الشراح

يكفيه نشر الدين في الآلاف من
اقصى حدود (الشاد) حتى (الواح)
نصر لدين الله بين مجاهل
صعبت على الرواد والسياح
فازوا من الفتح المبين بعزة
الاسلام بعد عبادة الاشباح
وكفاه نشراً للعلوم بناؤه
لمعاقل مثل الحصون فساح
تلك الزوايا القائمات كأنها
للمدلج الساري ضياء صباح
كانت مناراً للعلوم وملجئاً
للمحتمين ومورد الممتاح
لتلاوة القرآن في عرصاتها
كدوي ثول النحل في الاجباح
ولدارس التوحيد في ارجائها
هدى ينير انارة المصباح
ولنهضة العمران كان بذاته
يلقى دروس الحرث للفلاح
ويدرب الفرسان معتمداً على
فن باحدث عدة وسلاح
ويوحد الاهداف بين قبائل
كانت فلولا عداوة وتلاحي
هذي كرامات الامام السيد
المهدي للايمان والاصلاح
للدين والدنيا وللاولى وللاخرى
وللابدان والارواح
لا كالكرامات التي يروونها
كعجائب الفقراء غير صحاح
او كالتصوف عند قوم اظهروا
بلها بلبس الصوف والامساح
فكرامة الاصلاح بالخير الذي
للناس فوق كرامة الصلاح
ماذا اقول ولا اريد زيادة
عن مدح من سبقو من المداح
سبقوا وما بلغوا سمو شواردى
الا مثابة ريشة بجناحي
في مدح من فاق الملوك مكانة
بجلال وصف سميدع جحجاح
كانت تهاديه الملوك فيعتلي
متعففاً برزانة ورجاح
ورعاً وزهداً في حطام عاجل

وتحفظاً من جائز ومباح
بلغ الكمال المستطاع لمنتهى
افق لقرب الانبياء متاح
لا ادعي اني احاول وصفه
باطالة الاطناب والالحاح
لكنني اخصلت مدحي موقناً
بالحق في جد بغير مزاح
واشدت بالذكر الذي لايمترى
في صدقه متبجح او لاحي
لا ابتغي مالاً ولا جاهاً ولا
زلفى تقربني الى مناح
حسبي قد استغنيت بالايمان عن
كل العباد بفالق الاصباح
واردت عند الله في ذاك الجزا
وبحسن ظني في الرسول نجاحي
وبالانتساب الى النبي وآله
ارجو مفازي في غد بفلاح
ومن التفاؤل ان نسبة (مهدوي)
جاءت من (المهدي) عن الشراح
اني اقر بأنني اسرفت في
دنيا المعاصي راكباً لجماحي
مالي امام الله غير سريرة
بيضاء يوم المحشر الفضاح
ولقوله لاتقنطوا من رحمتي
القى الاله بخاطر مرتاح
مالي سوى صدق اليقين مؤملاً
حسن الختام على هدى وصلاح(1)

الفصل الثاني
الزعيم الثالث للحركة السنوسية

(1) انظر: المهدي السنوسي، ص13،12،11.

احمد الشريف السنوسي

هو العالم الجليل، والقائد العظيم، والمجاهد القدير الذي قاد كتائب الجهاد ضد فرنسا في تشاد، وضد ايطاليا في ليبيا، وضد بريطانيا في مصر السيد أحمد الشريف بن محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي الخطابي الادريسي[1].

المبحث الأول

ولادته وتربيته وشيوخه

يتفق معظم المؤرخين على أنه ولد بواحة الجغبوب ليلة الاربعاء بتاريخ 27 شوال سنة 1290هـ الموافق لسنة 1873م[2]، إنكب منذ طفولته على القراءة والتحصيل، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة.

تربى رحمه الله في حجر والده العلامة محمد الشريف وحينما ترعرع وبلغ السادسة من عمره دخل تحت كنف عمه المهدي السنوسي، فأهتم بتربيته وتهذيبه، واشرف عمه على تعلميه وتحفيظه للقرآن الكريم، ولما تم حفظ القرآن الكريم قال له عمه أنت ما أخذت القرآن إلا عني[3].

ومن أشهر العلماء الذين تعلم وأخذ العلم عليهم: محمد الشريف السنوسي، ومحمد المهدي السنوسي، واحمد الريفي، ومحمد مصطفى المدني التلمساني، وعمران بن بركة وهو جده من جهة الأم[4].

ارتحل مع عمه من الجغبوب الى الكفرة عام 1312هـ، واسندت إليه مسؤوليات جسام منذ البلوغ، وكان يشرف على رعاية القافلة المتجهة الى الكفرة والتي تتكون من 2600 شخص، وكان ينفذ أوامر عمه بدقة وعلى خير مايرام، فلم يعرف الركون الى الراحة.

وفي سنة 1317هـ ارتحل مع عمه محمد المهدي الى منطقة قرو بالسودان الأوسط، في مهمة دعوة الناس وتعليمهم الدين الاسلامي، وألف احمد الشريف كتاباً عن هذه الرحلات أسماه (السراج الوهاج في رحلة السيد المهدي من الجغبوب الى التاج) [5].

وشارك مع عمه وأتباعه في مجموعة معارك بالسودان وتشاد ضد الفرنسيين في مناطق مختلفة، مثل (واداي، كلك ، علالي، ون، جنقة الكبرى، جنقة الصغرى، تبستي، بركو، قرو...الخ)[6] واستمر الصراع السنوسي الفرنسي، الى مابعد وفاة محمد المهدي.

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (8،9/2).

(2) انظر: أعلام ليبيا، للزاوي، ص51.

(3) انظر: الفوائد الجلية (9/2).

(4) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، مصطفى هويدي، ص22.

(5) ويسمى ايضاً (الدر الفريد الوهاج في الرحلة من الجغبوب الى التاج).

(6) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة، محمد عزة، ص77.

المبحث الثاني

احمد الشريف يتولى قيادة الحركة

ولما شعر محمد المهدي بدنو أجله، عهد الى ابن أخيه بالقيادة، لما توسم فيه من القدرة على الاضطلاع بأعباء الحركة، والوصاية على الخليفة الشرعي (ادريس)، ولما لمس فيه من صفات قيادية، واستعداد فطري، وخبرة اكتسبها في معاركه ضد فرنسا أهلته لتولي القيادة(1).

وكان اسناد الزعامة الى احمد الشريف قد صادف قبولاً وارتياحاً من جانب جميع الأخوان الذين اجتمعوا بالكفرة يوم 12 ربيع الأول من عام 1220هـ الموافق ليوم 19 يونيو 1902م حيث جرى الاحتفال بانتخاب احمد

(1) انظر: صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا، محمدعيسى، جامعة الكويت الحولية الأولى عام 1980، ص7.

الشريف[1].

استمر احمد الشريف على نهج زعماء الحركة السنوسية، فواصل الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، ونشر الدعوة الاسلامية بكل حكمة في أفريقيا، واتخذ من الكفرة عاصمة للحركة السنوسية وأناب عنه محمد السني لإدارة أمور الجهاد، وشرع احمد الشريف في تشكيل جبهة اسلامية ، ضد الغزو الفرنسي الزاحف من جنوب تشاد الى شرقها وشمالها، فقام بالاتصال بسلطان وداي (داود مرة) سنة 1903م، وأقنعه بسحب اعتراف وداي بالحماية الفرنسية على كانم، وباقومي ، واستجاب السلطان داود لذلك وسحب اعترافه بالحماية الفرنسية[2]، واتصل بالسلطان على دينار (سلطان دارفور) الذي أعلن توحيد جهود المسلمين ضد الغزو الصليبي الأوروبي[3]، لقد رأى احمد الشريف أن التوسع الفرنسي في الصحراء الأفريقية يعتبر تهديداً مباشراً لحركته الاسلامية الدعوية، ولتجارة القوافل التي كانت تدعم بمردوداتها الاقتصادية نظام زواياه في تلك المناطق[4].

لقد كان تجار القوافل التابعين للحركة السنوسية من اعمدة الحركة الاقتصادية، ولنضرب مثلاً على ذلك بالحاج احمد الثني الغدامسي الذي كانت له تجارة عظيمة مع أهل برنو وواداي وغات ومصر وطرابلس وتونس، وكان جميع مايأتي الى جغبوب يأتي على يديه وهو الذي يجلبه الى هناك بأثمان متهاونة، رفقاً بالاخوان ولذلك كان من المقربين من الشيخ محمد المهدي[5].

إن الحركة السنوسية في بداية أمرها لم تكن لها سلطة الحكام الذي يدبرون الشؤون العامة كالعزل والتولية وإقامة الحدود، وجباية الاموال، وتنفيذ الاحكام، بل كانت بداية أمرها، الاهتمام بالدعوة الى الله، وارشاد العباد الى العمل بما يأمر به دينهم الحنيف ويسعون لإصلاح ذات البين، ويتبادلون النصح للحاكم والمحكوم، ويرشدونهم الى تعاليم كتاب الله، وتعليم سنة رسوله، ويحرضونهم على بناية المساجد لاقامة الشعائر الاسلامية فيها، ويقومون هم واتباعهم بعمارة هذه المساجد بتعليم كتاب الله، والصلوات فيها، ويبذلون الجهد لفض المنازعات مابين القبائل والمتخاصمين ويعلمونهم كيفية اخراج زكاة أموالهم، وكيفية عقد انكحتهم ، ويحرضونهم على نبذ العادات المخالفة للشرع، وبدأ جهادهم المنظم لحكومة فرنسا التي بدأت بالاعتداء على دعوتهم وحركتهم وقاوموا فرنسا غيرة على الدين الاسلامي الذي نشرته الحركة ودعاتها في مجاهل أفريقيا[6]، لقد قام الفرنسيون بعد ما دانت لهم تشاد عام 1909م بهدم مراكز الاصلاح والارشاد التابعة للحركة السنوسية، وإلغائها، واستطاع احمد الشريف أن يقنع العثمانيين بضرورة دعمه، والوقوف مع حركته، واسفرت مفاوضاته مع العثمانيين عن ارسال جند من النظاميين الى برقو والتبستي وتأسيس قائمقام في الكفرة، عين بها الشيخ كيلاني الأطيوش من قبيلة المغاربة الرعيضات وهو والد المجاهد الكبير الذي دوخ ايطاليا صالح باش الأطيوش، ورفعت الراية

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص98.

(2) انظر: العلاقات الليبية التشادية، سعيد عبدالرحمن ، مركز دراسات الجهاد، 1983م، ص86.

(3) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص23.

(4) المصدر السابق نفسه، ص23.

(5) انظر: رحلة الحشائشي ، ص171.

(6) انظر: الفوائد الجلية (15/2 الى 22).

العثمانية في (وان) بالقرب من عين كلك، وكان المشرف على حركة الجهاد الشيخ الجليل محمد السني الذي أرسله المهدي الى (أبشه) عاصمة واداي عقب انتقاله من الجغبوب الى الكفرة، وهكذا ظلت المناوشات دائرة بين السنوسيين والفرنسيين واستطاع (الكولونيل لارجو) في ديسمبر عام 1913م أن يلحق بالمجاهدين هزيمة كبيرة في (قرو) حيث جرح ولدا السيد المهدي السني نفسه عبدالله وعبدالعال) ووقعا في الأسر[1]، إن الفرنسيين كانوا يشعرون بالخطر العظيم من قبل الحركة السنوسية وكذلك الدول الأوروبية، وقد نشرت جريدة (دي كولوني) الالمانية كلاماً عن عالم ألماني خبير بأحوال افريقيا عامة والسنوسيين خاصة زعم فيه ان عددهم يبلغ تسعة ملايين وان في وسعهم انفاذ جيش الى مصر والسودان مؤلف من خمسمائة ألف مقاتل، وذكر مجملاً من تاريخهم عربته جرية المؤيد عن جريدة الميموريال وهو: (إن طريقة السنوسية مهمة جداً من حيث انتشارها السياسي في افريقية ومن حيث الكفاح القائم بين الديانتين الاسلامية ، والمسيحية، في هذه القارة وقد أنشئت هذه الطريقة منذ خمسين عاماً تقريباً أي في عام 1855م بواحة الجغبوب، وواضع اساسها هو الشيخ محمد بن علي السنوسي ....ثم خلفه ابنه المهدي وكان وقتئذ فتى فتياً وهو الى اليوم رئيس المذهب الذي أصبح على عهده واسع النطاق منتشراً في الآفاق واشارة منه تكفي الآن لازالة الشحناء والخصومة من بين سلطانين من سلاطين افريقية اذا قام بينهما الشقاق واستحكم الخلاف لأمر من الأمور، ومن الأمور التي لا ريب ولا خلاف فيها أنه اذا جاء يوم أمر فيه بالجهاد وأشار بالحرب الدينية اهتزت لصوته اركان العالم الاسلامي التي تترامى في حدوده في افريقية الى مصر شرقاً والكونغو جنوباً حتى بحيرة تشاد ومراكش غرباً وعليه يكون حزب السنوسي قد صار قوة من القوى السياسية التي ينبغي على كل دولة من دول أوروبا أن تعمل لها حساباً وقد اشتهر سيدي المهدي محمد بالتناهي في التقوى والصلاح ورعاية أمور الدين، والتقشف في المعيشة وهو دائب السعي على توفير اسباب الوئام والاتفاق بين الاقوام والشعوب الأفريقية....)[2].

إن أعداء الاسلام يحاولون أن يرصدوا أي تحرك مفيد للدعوة والمسلمين ، ويعملون ليلاً ونهاراً وسراً واعلاناً على التحذير منه، وتشويهه ووضع العوائق في طريقه مهما كلفهم الثمن، يدفعهم ذلك حقدهم الدفين على الاسلام، والمسلمين.

يقول ادرو ساليفو استناداً الى الوثائق الفرنسية: (....من المهم أن نوضح أن السنوسية لم تكن مجرد حركة متذمرة ومتعصبة، فهي طريقة اصلاحية تهدف الى احياء الدين الاسلامي، وإرجاعه الى أصوله السلفية، كما تهدف الى تحرير العالم الاسلامي من التبعية الاستعمارية التي سقط فيها. والى جانب ذلك الهدف الديني فإن السنوسية لها هدف آخر سياسي في غاية الأهمية، وهو توحيد أفريقيا الاسلامية أولاً وتوحيد العالم الاسلامي بعد ذلك في أمبراطورية اسلامية جديدة، تتمتع بالأبهة والمجد والعظمة ، وخالية من الشوائب التي لحقت بها خلال القرون التي ابتعد فيها العالم الاسلامي عن السنّة النبوية الصحيحة مما أضعفه نتيجة لذلك، وبالاضافة الى الهدف الديني والهدف السياسي هناك أيضاً الهدف الاقتصادي حيث كان (الاخوان) يتنافسون بينهم على أعمال الزراعة

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص100.

(2) انظر: تاريخ الاسلام ، انور الجندي، ص217.

والصناعة الخفيفة والتجارة من أي مكان تمد فيه الزوايا السنوسية أعملها ونشاطها(1)، لقد كان الصراع بين فرنسا والحركة السنوسية في افريقيا على أشده، وتميز السنوسيون في جهادهم بقدرتهم على الكر والفر، وكانت قبائل الصحراء ، والقبائل الليبية تتمحور حول قيادة الحركة السنوسية، وبدأت قبائل توارق النيجر تتجه شرقاً للالتحاق، بحركة الجهاد، ولم تقع في النيجر أي حوادث تذكر حتى بداية عام 1903م عندما بدأ الفرنسيون يزحفون نحو الشمال(2)، واندلعت المعارك الطاحنة التي كان خلفها اتباع الحركة السنوسية ، وكان من أشهر قادة الحركة السنوسية:

أولاً: المجاهد محمد كاوصن:

ولد محمد كاوصن في بلدة (مرقو) حوالي عام 1880م وينتمي الى قبيلة (إيكزكزن) إحدى القبائل الشريفة في سلطنة والليمدان وإليها تنتهي رئاستها، قاد حركة الجهاد ضد فرنسا في النيجر في الحرب العالمية الأولى وأبلى بلاءً عظيماً، وقد عاش هذا القائد أحداث الجهاد منذ اصطدام توارق شمال النيجر ضد فرنسا عام 1901م ، وهاجر ضمن قبائل التوارق نحو الشرق ، حيث استقر (بقورو) وانضم للطريقة السنوسية وكان ضمن المجاهدين في هجومهم على (وشنكال) في نوفمبر في عين (كلكا)، وكان من ضمن المستولين على الموقع الفرنسي التابع لسرية الهجانة في كانم بقيادة الملازم (موتوت).

وقد أعجب به احمد الشريف واسند إليه قيادة (عين إيدي) ، وانطلق مجاهداً، فأغار على بيسكرى عام 1910م، وضغطت عليه القوات الفرنسية، فلجأ الى دار فور حيث (سلطنة علي دينار) ثم رجع الى (أوتياكا) وألتحق بالشيخ محمد السني في سبتمبر عام 1911م ثم سافر لاى يروكو ووادي ووضع نفسه تحت قيادة القائمقام العثماني في (عين كلكا) اكتوبر 1911م، وفي 23 مايو 1913م شارك كاوصن في معركة أم العظام ضد فرنسا ولم يتمكن المجاهدون من النصر واستشهد القائد عبدالله الطوير الزوي اثناء المعركة(3) وبعدها انتقل كاوصن الى فزان ووصل واو ودخل تحت قيادة محمد العابد السنوسي مندوب احمد الشريف في فزان، وشارك في جهاد أهل الجنوب ضد ايطاليا ثم رجع على راس مجموعة من المجاهدين للاستيلاء على شمال النيجر وطرد الفرنسيين منها، وراسل كاوصن سلاطين التوارق واللميدان، والآيير، ومشائخ قبيلته يطلب منهم إعلان الجهاد المقدس ضد الكفار، ويعدهم بالنصر ويبلغهم أن الألمان سيلاقونهم في نيجيريا(4).

يقول ساليفو:

(ولكن كاوصن كان قدبدأ فعلاً في مراسلة مختلف زعماء التوارق في آيبير وخاصة سلطان (أقدز) و(تاقامه) صديقه المتواطئ معه عن طريق مراسلات سرية منتظمة)(5).

ويقول ساليفو:

(ومن ناحية أخرى قام تاقامه بالاتصال مع عدد من زعماء القبائل طالباً مساعدتهم في المعركة المرتقبة التي تستعد السنوسية لخوضها مع الكفار، فلبت القبائل: أيكزكزن، إفدين، كل أغاروس، كل فروان، نداء تاقامه على الفور، كما ردت قبائل المشكره تكريكريت والليمدن في منطقة طاوه بالموافقة على نداء سلطان أقدز، فجاءت هذه القبائل واستقرت في المدينة مع العائلات والمواشي...)(6).

---

(1) انظر: الثورة السنوسية، ترجمة عبدالرحمن عبداللطيف، ص12.

(2) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، محمد القشاط، ص115.

(3) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص157.

(4) المصدر السابق نفسه، ص157.

(5) انظر: الثورة السنوسية، ص68.

(6) انظر: الثورة السنوسية، ص70.

وفي سرية تامة انطلقت كتائب المجاهدين التي يقودها محمد كاوصن القائد السنوسي باتجاه أقدز في أواخر فصل الخريف من عام 1916م ، متجنبين حر الصحراء وحاجة المسافرين للماء، وفي مساء ليلة 12-13 ديسمبر كان المجاهدون يطوقون أقدز وقد قبضوا في تلك الليلة على مجموعة من المشبوهين ومن لهم علاقة بالفرنسيين، مثل مترجم المركز الفرنسي، وتاجر تونسي يدّعى بأنه يتعامل مع الفرنسيين في التجارة، كما تم القبض على شخص أمريكي تابع لجمعيات تنصيرية(1).

قسم المجاهدون قواتهم الى مجموعتين:

1-المجموعة الأولى بقيادة محمد كاوصن.

2- المجموعة الثانية بقيادة أغالي من قبيلة أيكزكزن.

كانت كتائب المجاهدين تتكون من مجموعة كبيرة من الليبيين وحوالي 40 شخصاً من الشعانبه جزائريين يراسهم مولاي قدور وهو جندي سابق مع فرنسا، فر من جيشهم وألتحق بالمجاهدين، ومجموعة من أهالي توات (الجزائر) يرأسهم بوخريض، والتحق بالمجاهدين ، مجموعة من سكان الجنوب التونسي(2).

وبدأ المجاهدون في قصف المركز الفرنسي صباح يوم 13 ديسمبر لإجباره على التسليم، وفي 18 ديسمبر سقطت أربعون قذيفة على المركز وألحقت به أضراراً بالغة، وكان محمد كاوصن يدير المعركة بمهارة فائقة، وقدرة رائعة، ويشرف على سير المعركة ، واستطاع المجاهدون أن يستولوا على المدينة، وتحصلوا على غنائم ولم يبقى إلا المركز المحاصر الذي تخندق الفرنسيون داخله حيث تموينهم، وسلاحهم ، وذخائرهم، وبدأ المجاهدون يرسلون الدوريات الى المناطق المجاورة ، والى تقاطع الطرق المؤدية الى أقدز، وفي يوم 26 ديسمبر 1916م اصطدمت قوة من المجاهدين، بمجموعة فرنسية بقيادة الملازم سودان قادمة من زندر وأبادتها وقتلت الملازم سودان.

علم المجاهدون بقدوم قوة فرنسية تحمي قافلة الملح القادمة من بلما؛ فخصص كاوصن قسماً من جماعته لحصار المركز، وانسحب بمن معه لملاقاة القافلة، ونصب لها كميناً في منطقة (شين بتوراق) يوم 27 ديسمبر 1916م(3).

يقول النقيب (ساباتي) بتاريخ 28 ديسمبر عام 1916م: (إن إطلاق النار قد سُمع من بعيد في حوالي الساعة 17 من جهة الشرق، وبما أن الوقت متأخر فإنني لم أعين مجموعة للقيام بالاستطلاع في تلك الجهة، وكان ذلك خسارة للفرنسيين لأنه كان معركة (شين تبوراق) الشهيرة التي لاتنسى)(4).

وقد استطاع المجاهدون تحقيق نصر ساحق ضد القوة الفرنسية وكان حصار معركة شين تبوراق : (60 ستين من رجال الهجانة التابعين للفصيل المتنقل قد لقوا حتفهم ؛ فلقى الملازم الأول (ديفو) والطبيب العسكري (رينود) والعريف (مريل) ، والعريف (قازلان) نفس المصير)(5).

كما استولى المجاهدون على ستة أسرى، وستة من سكان المنطقة المجندين مع الفرنسيين وأعدموهم.

يقول كافيو:

(ولكن من الناحية المعنوية فإن الهيبة التي أحرزها، كاوصن من هذه الضربة كانت واضحة، فانتشرت أخبار الانتصار بسرعة في أحياء التوارق ، فزاد من تشجيع السنوسيين وأتباعهم وأصدقائهم ورفع معنوياتهم، فحسم موقف المترددين فقرروا الانضمام للمعسكر الأقوي ، وفي ذلك الوقت على كل حال كان الأقوى في نظر الأهالي كاوصن، وقد توافد التوارق الى معسكر كاوصن للانضمام إليه، ومن أجل الحصول على الشرعية للمشاركة في

---

(1) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص159.

(2)انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص159.

(3) المصدر السابق نفسه، ص160.

(4) انظر: الثورة السنوسية، ص82.

(5) المصدر السابق نفسه، ص85.

الغنائم)[1].

ويقول ساليفو:

(وفي 28 ديسمبر في أثناء الليل زمجرت الطبول المعلنة للاحتفالات في مدينة أقدز، وكان الوطنيون يحتفلون بانتصارهم الساحق ضد الرجال البيض الكفار)[2].

وكانت رسائل كاوصن تصل الى السلاطين في مناطق التوارق تدعوهم للانضمام للجهاد ضد الكفار، وكانت في هذه الاثناء مجموعات من المجاهدين الليبيين تهاجم أزوار بشمال تشاد، وأخرى تهاجم جادو، كما أن مجموعات أولاد سليمان في شمال تينبكتو توجهت للمساهمة في حصار أقدز بقيادة الخليفة ولد محمد، وهكذا تشتت كل جهود الفرنسيين.

يقول ساليفو:

(وهكذا إذن لم يكن أيّ فصيل من الهجّانة في كلِّ أنحاء أقليم النيجر مستعداً للذهاب إلى أقذر، فما العمل؟ هل يطلب من فصائل السودان التدخل، وعلى الأخص من فصائل كيدال وتينبكتو التي كانت قريبة أكثر من غيرها.

ولكن وبدون شك فإنَّ القدر قد ساعد جماعة كاوصن لأنه في الواقع إذا كانت فصائل الهجّانة مشغولة هنا في أي مكان من النيجر فإن هجّانة كيدال قد انطلقوا لتوهم في مطاردة غزوة عبر الصحراء)[3].

ويقول ساليفو نقلاً عن المصادر الفرنسية:

(فلا فائدة أيضاً من النظر إلى إقليم الجنوب الجزائري، فقد تمّ إخلاء حصن (بولينياك)، وهاجم السنوسيون حصن (موتيلانسكي)[4].

(كان الموقف الأوروبي هو الذي استهدفته مسألة (كاوصن) وهدَّدته في إفريقيا الوسطى، ألم يكن كاوصن لديه مشروع التوغل في بلاد الهوسا، وحينئذٍ تضامن الإنجليز والفرنسيون الذين كانوا قبل سنوات يتنافسون على هذه الأراضي التي لايفصل بينها إلا خطٌ وهمي يمرّ من ساي - بارُّو - فحاولّوا نسيان منازعتهم القديمة لمواجهة عدوهم المشترك)[5].

وهكذا توحدت جهود فرنسا وبريطانيا، وعملاء المنطقة على محاربة المجاهدين، وعلى رأسهم كاوصن[6]، ولقد، اندلعت معارك ضارية بين القوات الأوروبية، وقوات المجاهدين وكانت الغلبة للقوة التي ملكها الأوروبيون، وقد فصل الدكتور محمد القشاط تلك المعارك[7] لقد أتعب كاوصن الفرنسيين، وقد أبلى بلاء حسناً،وكانت وفاته في ليبيا،حيث تعرض لكمين من بعض القبائل التي كانت تكن له الكراهة والبغض نتيجة لسوء تفاهم بينهم، فعندما مرّ بحطية أم العظام في جنوب ليبيا بمنطقة فزان هاجمه مجموعة من الرجال، فأمر مجموعته بعدم إطلاق النار قائلاً: (هؤلاء لابدّ مسلمون جهلونا، فالفرنسيون بعيدون من هنا وكذلك الطليان) وتقدم ليوضح لهم فقبضوا عليه، وضربه رجل اسمه العياط بالسوط فقال كاوصن مخاطباً العياط:

(أنا كاوصن لا أضرب بالسوط اضربني بالرصاص) فأخذوه حيث أمروه بحفر قبره بيده وقتلوه بعد أن صلَّى ركعتين في 5 يناير 1919م).

---

(1) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص161.

(2) انظر: الثورة السنوسية، ص86.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص91.

(4) انظر: الثورة السنوسية، ص91.

(5) المصدر السابق نفسه، ص92.

(6) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص165.

(7) المصدر السابق نفسه، ص165 الى 180.

وهكذا انتهت حياة هذا المجاهد العظيم على يد أحمد العياط الذي قتل عام 1924م على يد أحد المجاهدين بالحمادة الحمراء وهو يقاتل مع الطليان[1].

أما بقية المجموعة من مجاهدي الصحراء فإنهم حين سمعوا بخبر كاوصن وظهرت لهم الحقيقة رجعوا إلى النيجر، حيث انسحبوا ليلاً، وأخذوا معهم زنادات المدافع، وتابعتهم قوات خليفة الزاوي التابعة للأتراك الذين رغبوا مابين عامي 1916م-1918م في القضاء على نفوذ السنوسية في فزان والذي كان يقوده محمد عابد السنوسي.

ووجدتهم قوات الزاوي اثنين منهم مغمى عليهما من العطش فاسعفاهما وأرجعاهما إلى حيث دفنوا زنادات المدافع وقتلاهما، ومع الأسف الشديد، والحزن العميق كان أحد أولئك القتلى السلطان المجاهد الخورير سلطان والليمدن الذي لم يستطع مواصلة السير من العطش، وسلّم ولده الصغير محمد لأحد رفاقه وسقط هناك.

واستمر عبدالرحمن تاقامة يقود المجموعة المنهكة، والقليلة الزاد، والذخيرة، راجعاً إلى الصحراء متخذاً من جبالها درعاً له[2].

إن تلك الفتنة التي حدثت بين خليفة الزاوي، ومحمد عابد السنوسي ساهمت في إجهاض حركة الجهاد في الصحراء الكبرى[3] وإني أعرضت صفحاً عن تفصيلها، وأسبابها أما عبدالرحمن تاقامة، فقد كان على علاقة وثيقة بالحركة السنوسية، ولذلك استجاب لنداء الجهاد المقدس ضدّ فرنسا، عندما وصله من زعامة الحركة، وساند حركة محمد كاوصن، وكان يموّن ويموّل المجاهدين طوال حصار أقدز في النيجر، والذي استمر قرابة الثلاثة أشهر، وعندما فك الحصار المجاهدون انسحب معهم، وقاتل فرنسا بضراوة، إلى أن وصل فزّان حيث استقبلهم خليفة الزاوي حاكم مرزق محارباً، ولما قتل كاوصن انسحب عبدالرحمن تاقامة عائداً إلى الصحراء.

كان الفرنسيون يتابعون الأحداث:

يقول ساليفو:

(كان الفرنسيون يتابعون تطورات الوضع السياسي في فزّان عن كثب، وكانوا يعلمون أنّ كاوصن قد قُتل، ولكن تاقامة مازال حياً ممّا سبب لهم نوعاً من القلق، وفي الحقيقة كانت شعبية سلطان آيير الأسبق مازالت عميقة، وكان الفرنسيون يعلمون أيضاً أنَّ تاقامة يستطيع أن يجمع حوله من جديد عدداً من الأتباع ويهدّد بوجه خاص تخوم المناطق الصحراوية في النيجر)[4].

ولذلك شرع الفرنسيون بالتصدي له محاولين أن لايسترد أنفاسه، لأنّ مجموعات من مشايخ القبائل في النيجر بدأت تعلن العصيان بعد أن علمت بوصول المجاهد عبدالرحمن تاقامة، بل بعضهم قام بإرسال جمالاً لإنقاذ مجموعات عبدالرحمن من العطش الذي أنهكهم[5].

يقول ساليفو:

(وكان الفرنسيون قد أخذوا على عاتقهم وبكلّ ثمن منع تاقامة من التوجّه إلى الكفرة أي إلى ذلك المركز الروحي (التخريبي) الذي لعب دوراً كبيراً وهامّاً في النضال من أجل زعزعة استقرار المسيحين في إفريقيا)[6].

وقد أرسل الفرنسيون فرقة لمصادمة تاقامة الذي وصل إلى جبال تيبستي وشرع الفرنسيون في سجن

---

(1) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص176.

(2) المصدر السابق نفسه، ص177.

(3) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص175.

(4) انظر: الثورة السنوسية ، ص158،157،156،155.

(5) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص177.

(6) انظر: الثورة السنوسية، ص157.

المواطنين، وتعذيبهم وأخذ أولادهم ونساءهم رهائن، واتخذوا منهم مرشدين للطرقات لمتابعة مجموعات تاقامة الجهادية التي توزعت في الجبال وتقسمّت إلى مجموعات صغيرة لنقص الجمال والتموين، وفي يوم 8 مايو 1919م استطاع الفرنسيون بواسطة المرشدين أن يطوقوا المجموعة الصغيرة، وفاجأوا المجاهدين بإطلاق النار من قريب، فسقطت تلك المجموعة شهداء في ساحة الجهاد وكان عددهم عشرة وأسر عبدالرحمن تاقامة وزوجته بعد أن نفذت ذخيرته، ثم أودع السجن في زندر، ومنها إلى أقدز (النيجر) حيث شهرّ به، وكان مكبلاً بالحديد في رجليه ويديه وعنقه ويحرسه ستة من الجنود، وفي ليلة 29-30 إبريل 1920م اقتحم آمر أقدز النقيب الفرنسي "فيتاني" وخنق ذلك الأسد المكبل في قيوده لتصعد روحه مع الشهداء، وأصحاب الجنان، بإذن ربها، وادّعت السلطات الفرنسية بأن عبدالرحمن انتحر، ليغطوا بذلك على فعلتهم الشنيعة، وبذلك أسدل الستار على حياة هذا المسلم المجاهد الذي خاض حروباً طاحنة، ومعارك ضارية، وجهاداً مريراً ضد النفوذ المسيحي الفرنسي في الصحراء الكبرى، فعليه من الله المغفرة، والرحمة والرضوان، وأعلى الله ذكره في المصلحين(1).

ونرجع الى القائد العظيم محمد كاوصن لنلقي الأضواء على بعض رسائله التي كان يحرّض بها الزعماء في منطقة الصحراء الكبرى لينضووا تحت راية الجهاد التي كانت تحملها الحركة السنوسية.

رسالة من كاوصن إلى أعمامه

أقدز في 10 مارس 1917م

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سيادة العزيز الكريم الكامل، إلى عمنا الحاج موسى، وعمّنا " أدمير " وإلى جميع قبيلة (إيكزكزن) وكلّ من في حمايتهم السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وعلى كلّ أحبابكم وأصدقائكم سلاماً تاماً يعمكم جميعاً أنتم وبلادكم.

إن سألتم عنّا فنحن على خير، ولاينقصنا ولانهتمّ إلا بكم، ونرجو من الله أن نلتقي معكم قريباً، والله سميع مجيب الدعوات، ونطلب من الله تعالى أن يجمع شملنا بجاه النبي الحبيب.

ونحيطكم علماً بأنّ مايجري في الوقت الحاضر ليس إلا خيراً وأنّ الله سبحانه وتعالى والزعماء قد طردوا الفرنسيين في بلاد " أزقير " وأنّ المجاهدين قد استولوا على مراكزهم.

إنّ المسلمين جميعاً قد قاموا إلى الجهاد، وإن الشعانبة(2) الذين كانوا مع أعداء الله قد انقسموا، فهرب بعضهم وذهب إلى المناطق الرملية قرب (غدامس)، وكذلك الذي يسترونه في رسالة أخينا المختار بن محمد بأنَّ قوات كبيرة تتوجه الآن إلى الإقليم الذي يحتله الفرنسيون أعداء الله ورسوله، واعلموا أنّ الحكومة التركية والألمان ينتظروننا في (كانو) حيث سبقونا، ولاتشكوا في ذلك، وكونوا رجالاً وانتظروا.

إنّ كل البلاد التي ستفتح بين البحر ومصر ستُسلّم إلى الحكومة السنوسية، وتلك هي النصيحة التي أوجهها لكم تمسَّكوا بها إنّ الله العلي القدير قال لنبيه ﷺ : (إنك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء).

والسلام. إنّها رسالة قادمة ممّن يدعون الله من أجلكم وعنهم كاوصن بن محمد(3).

كتبت في 6 ذي الحجة 1334 أكتوبر 1916م،

ومختوم بختم يحمل العبارة التالية

خادم الحكومة السنوسية

---

(1) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص178.

(2) من القبائل الجزائرية الكبيرة.

(3) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص244.

حاكم وادي فزّان

كاوصن 1334هـ

ومن رسائل محمد كاوصن إلى قبيلته يخبرهم بقوله:

(وإننا نخبركم بأنَّنا قد أرسلنا من طرف سيدنا الأكبر السيد محمد العابد الشريف بارك الله فيه وباركم، فأمرنا بإنهاض الناس وتحريضهم على القتال في سبيل الله والطريق المستقيم وعلى كلمة الدين ...)(1).

ويقول في فقرة أخرى من الرسالة:

(وكل مانريده نحن هو أن يتبع الناس جميعاً الطريق المستقيم لأننا نعمل وفقاً لإرادة الله، ونطيع أوامر السيد العابد، لأن عهده قد بدأ بدون أدنى شك وبكل يقين، وليس هناك سلطة أخرى غير سلطته، لأنّ العالم قد قسم فأخذ كلّ واحد نصيبيه -وذلك بمشيئة الله - وأنتم من الجزء الذي يقع في نصيب السيد محمد العابد. يا أيها الناس فكروا جيداً، إننا مبعوثون من عنده لنهديكم إلى الصراط المستقيم ونقوم بإدارة بلادكم، فلتبق هذه الكلمات في ذهنكم وتقبَّلوا تحيات خادم الطريقة المجيدة الشريفة الصحيحة الطريقة السنوسية...)(2).

ثانياً: المجاهد محمد عبدالله السني :

ومن قيادات الحركة السنوسية التي قادت حركة الجهاد ضد فرنسا في تشاد ولد بمزدة سنة 1268هـ الموافق 1851م، من أسرة تنتمي للعباس بن عبدالمطلب، جاء جدها الأول من المدينة المنورة ونزل بواد قرب بلدة سنار بالسودان، فسمي الوادي باسمه (وادي مدني).

انتقل والده إلى مكة حيث درس الفقه وعلوم الدين على يد الشيخ أحمد بن إدريس حيث التقى هناك بالشيخ محمد بن علي السنوسي، والذي عاد برفقته إلى ليبيا واشتركا في تأسيس الزوايا لتعليم القرآن، وعلوم الدين، حيث شرع الشيخ السنوسي بتكوين زواياه بالجبل الأخضر، وفي المناطق الشرقية من ليبيا، وبدأ الشيخ عبدالله السني في تأسيس زواياه في غرب ليبيا حيث أسس زوايا في غدامس، ومزدة، والحرابة، ومصراته وغيرها.

ولما توفي الشيخ عبدالله سنة 1296هـ تولى ابنه إدارة الزوايا وتأسيس زوايا أخرى حيث أسس زاوية غريان، والقلعة، والعمامرة، والرحيبات وكان رجلاً مباركاً سعى إلى إخماد الكثير من الفتن بين القبائل، وفي عام 1313هـ عاد أخوه عبدالسلام من الكفرة بعد أن أنهى تحصيله العلمي، فترك له أمر الزوايا وذهب إلى الكفرة لملاقاة الشيخ محمد المهدي السنوسي، الذي تولى أمر الدعوة بعد وفاة والده.

وعند وصوله إلى هناك أمره شيخه بالتوجه لنشر الدين الإسلامي، وصد التغلغل التبشيري المسيحي في بلاد السودان (تشاد الحالية والنيجر).

سافر إلى هناك عام 1896م وأسس زاوية (قرو) وعدة زوايا أخرى وأستقر (بكانم) حيث تتواجد القبائل العربية الليبية، أولاد سليمان وغيرها، وأرسل في إحضار جزء من أسرته حيث لحق به أبناه عبدالله، وعبدالعالي، وبقيت الأسرة في مزده، واستمر في جهاده في الصحراء أكثر من عشر سنوات، لقد شارك في الجهاد ضد فرنسا واصطدم بقواتها وساهم بنفسه وماله في حركة الجهاد في زمن المهدي السنوسي، وأحمد الشريف(3).

وكانت له أشعار رائعة في مدح الإمام الثاني للحركة السنوسية، ومنها قوله:

هو المرتجى للدين ينصر حزبه

---

(1) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص247.

(2) المصدر السابق نفسه، ص248.

(3) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص219،218.

فتعضده الأنصار والنصر والنصل

تجر بحوراً من بني العرب ترتمي

بأمواج آفات هي الضرب والقتل

إذا صففت تحت العقاب جنوده

تخال جبالاً فوقها شعل شعل

وإن زحفوا يوم اللقاء حسبتهم

سيول خيول برقها يبرق يعلو

كأن مثار النقع في حومة الوغى

غيوم بها برق الصوارم ينهل

إمام الهدى نافي الردى قاهر العدا

فدونك عجل قد تطاولنا الذل

تجد من بني الإسلام أخلص عصبة

جحاجح أبطال متى قلت لايألوا

هم القوم إن قالوا فثق بمقالهم

فلاشك عندي ان سيعقبه الفعل

وإن عطفوا بعد الفراغ الى الحمى

رأيت وجوه الحق بالبشر تنهل(1)

ثم ينتقل بعد هذه الإشادة بالمجاهدين، إلى تقريع الفرنسيين الذين نعتهم بـ(الشياطين) لأنهم ناصبوا الدعوة الإسلامية العداء، واصلوا أهل البلاد الاصلاء نار حامية، فنراه يتولاهم بالوعيد والتعنيف حيث يقول:

رويدكم أهل الجحيم فإنه

سيبدؤكم منه الذي كان من قبل

فينسى فرنسيساً بتونسه أنسه

ويحرز كفراً بالجزائر قد حلوا

فتطهر أرض طالما قد تنجست

فأفعالهم سيل الدماء لها غسل(2)

وشارك هذا الشيخ الجليل في الجهاد ضد ايطاليا، استطاع ابنه المهدي تفجير ثورة 1914م - 1915م في فزان ضد إيطاليا واستولى على قلعة (القاهرة بسبها).

واستمر ابنا محمد عبدالله السني يقودان الجهاد ضد ايطاليا حيث تولى المهدي قيادة الجهاد في فزان، وأحمد قيادته في منطقة الجبل الغربي إلى أن ضعفت المقاومة وانتقل المجاهدون إلى فزان، وفي أوباري قدم الشيخ محمد بن عبدالله السني إلى الأسرة حيث التقى بها بعد غياب دام ثلاثين سنة، ولكن الإيطاليين طوقوهم في أوباري حوالي عام 1930م، وحكم على الشيخ وأبنائه بالإعدام، ولكن عفواً عاماً شملهم، فوضعوا جميعاً تحت الإقامة الجبرية بمزده بعد أن صودرت ممتلكاتهم وأحرقت مكتبة مزدة(3). وفي عام 1932م، توفي محمد عبدالله السني -رحمه الله- ويعتبر هذا العالم والمجاهد الكبير من شعراء الحركة السنوسية، وقد تعرض الأستاذ محمد مسعود جبران لهذا الجانب على قلة ماوصل إليه من شعره وقال: (في الحق إن شعره - على قلته- استطاع أن يرسم لنا إلى حدما شخصيته، ويصور لنا جوانب من أخلاقه ومثله التي كان يؤمن بها، في الاعتزاز بالدين،

(1) انظر: مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات الجهاد ، عدد(1) ، ص93.

(2) المصدر السابق نفسه، عدد(1) ، ص93.

(3) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص219.

والذود عن العرين وفي شوقه وحنينه للمدارج التي تربى بها، والبوادي التي كبر بين أحضانها، ويبين عن العهود التي وثقت صلاته بالعلماء والمجاهدين ...)(1).

ومن قصائده التي يصف فيها مقاومته الصحراء ونصبها وعنتها قوله:

يامن لهم همم نأى مقصودها

مجرى المطي إلى المرام يذودها

متحيراً من عز مشرقه الذرا

عنسا عياهل في رضاك يقودها

ورمى بها الدهناء يرقل مذئباً

يطوي بنص اليعملات بعيدها

ويفل بالعزم المجد مجاهلاً

بيت القطا أغوارها ونجودها(2)

إن هذا العلم الشامخ، والبحر الزاخر، والشاعر الموهوب، والداعية المتفاني، والمجاهد الشجاع كان من القادة التابعين لقيادة الحركة السنوسية، ومن الذين أفنوا حياتهم وجهادهم في هذا الطريق المبارك، ساهمت الحركة السنوسية في تربية بعض القيادات الميدانية التي شاركت في دفع حركة الجهاد ضد فرنسا ومن أشهرهم:

ثالثاً: عبدالله فضيل الطوير الزوي:

تولى قيادة الزوايا السنوسية في شمال تشاد، وكان على رأس المجاهدين الذين تصدّوا للغزو الإستعماري للمنطقة، وخاض عدّة معارك موفّقة، وسقط من زملائه العشرات من المجاهدين، وسقط في معركة العلالي وحدها 1902/12/5م مائة شهيد من الليبيين كان من بينهم ستون من قبيلة زوية وحدها، قبيلة عبدالله الطوير، وفي معركة أم العظام شمال تشاد سقط عبدالله شهيداً -عليه رحمة الله- في عام 1906م مع مجموعة من المجاهدين عليهم رحمة الله جميعاً.

رابعاً: البراني الساعدي:

هو من كبار العلماء المتفقهين في الشريعة، من قبيلة زوية أسس زاوية شرقي السلوم، بأرض مصر عرفت باسمه إلى الآن (سيدي البراني) ثم انتقل إلى الجنوب، حيث قاد الجهاد في الصحراء الكبرى، ضد الغزو الفرنسي، ومن كبار قادة المجاهدين في مناطق كانم وشمال تشاد، دخل إلى الصحراء الكبرى من الكفرة في عام 1318هـ، واستطاع أن يقود دوراً جهادياً، عُرف في المنطقة باسمه (دور البراني)، وألحق بالفرنسيين عدّة هزائم منكرة في بئر العلالي، وقد اعترف الفرنسيون له بالبراعة، وإجادة التنظيم، واستطاع أن يصدهم في (عين كلكا)، التي تولى تنظيم المجاهدين بها، واستشهد عام 1907م في معاركه ضد فرنسا(3).

خامساً: غيث عبدالجليل سيف النصر:

هو شيخ قبيلة أولاد سليمان الليبية والمتواجدة في منطقة كانم، اصطدم مع الفرنسيين ساعة وصولهم للمنطقة

(1) انظر: مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول يناير 1984، ص71 الى 101.

(2) المصدر السابق نفسه، ص90.

(3) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص222، 223.

1899م، ونشبت بينه وبينهم معارك طاحنة، قاد غيث الجهاد ضدّ الفرنسيين، وحطم التقدم الفرنسي في بئر العلالي في معركة 1899/11/22م، وسحق القوة الزاحفة، كما نشبت معركة أخرى يوم 4 يناير 1900م بقيادة غيث ضد الفرنسيين قُتِل فيها خليفة حاجي(1).

يقول سعيد الحنديري:

(كما سعى الفرنسيون إلى الوصول مع غيث إلى اتفاق لإنهاء المقاومة في كانم خاصة، وأن الوضع أصبح مشجعاً للفرنسيين بعد مقتل حاجي حليف غيث، لكنّ الأخير رفض اللقاء بالفرنسيين وكوّن دوراً من قبائل القذاذفة، ورفله، والمغاربة، مع بعض القرعان، والتوارق، تقدّرها المصادر الفرنسية بخمسة آلاف رجل، لقد استشهد غيث عبدالجليل في معركة بئر العلالي في يوم 1901/11/9م(2).

سادساً: محمد بو عقيلة الزوي:

من أفراد قبيلة زوية التي لعبت دوراً مهمّاً في الحرب الصحراوية ضدّ القوات الفرنسية ونظراً لنشاطه وشجاعته، وحسن تدبيره عيَّنه أحمد الشريف قائداً لحصن علالي بدلاً من البراني الساعدي الذي عُيِّن في الشمال(3).

(لقد كان بو عقيلة ذكياً بارعاً في فنون القيادة، والحرب، فشهد له أعداؤه بذلك. يقول فرندي على سبيل المثال: (كان بو عقيلات جنديّاً عظيماً قادراً على تدارك المواقف في الوقت المناسب)(4).

لقد قاد هذا القائد قبائل التوارق، أولاد سليمان، والقذاذفة، والمغاربة، وورفله، وزوية في جهاده ضد فرنسا، واستشهد في معاركه ضد فرنسا في 1902/12/5م(5).

سابعاً: صالح بو كريم الزوي:

تولى تنظيم حركة الجهاد بشمال تشاد، وكانت معه، قبائل المجابرة، وورفلة، وأولاد سليمان، والقرعان، والقذاذفة.

وكان أحمد الشريف قد نجح في اقناع سلطان ودّاي بسحب اعترافه بفرنسا واحتلاله لمنطقة كانم، وباقرمي وأعلن الجهاد ضد فرنسا في مناطق تيبستي 1903-1909م وساند صالح بوكريم سلطان تيبستي داود ضد قائد الفلاتة ميتونة حليف فرنسا، واستطاعوا الانتصار عليه والقبض عليه وإعدامه بتهمة الخيانة العظمى، ومناصرة العدو الكافر ضد المسلمين، وكان ذلك في معركة ألتكو وقاد معركة بسكرة ضد الفرنسيين وقد سقط فيها عدة شهداء، وساهم صالح في قيادة معارك 1910م- 1911م-1912م-1913م ضد الفرنسيين(6).

ولما أعلن أحمد الشريف الجهاد ضد إيطاليا ورجوع قوات المجاهدين إلى الشمال كان صالح بوكريم من ضمنهم.

ثامناً: كيلاني الأطيوشي المغربي:

هو شيخ قبائل المغاربة، ساهم في تمويل الجهاد ضد فرنسا في المناطق الشمالية من تشاد، وكانت قبيلته من القبائل المتميزة في حركة الجهاد ضد فرنسا عيَّنه الأتراك قائمقاماً على الكفرة عند انسحابهم من منطقة الجنوب،

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص227.

(2) انظر: العلاقات الليبية التشادية، ص81 الى 84.

(3) انظر: جهاد الليبيين، ص233.

(4) المصدر السابق نفسه، ص233.

(5) المصدر السابق نفسه، ص234.

(6) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا، ص235.

وأصبح المشرف الإداري على امتداد الصحراء الكبرى الشرقية، وتمويل حركة الجهاد الليبي فيها، ولقد توفى الكيلاني بالعطش عندما رحل باتجاه أجدابية ليشارك في صد الطليان(1).

تاسعاً: عابدين الكنتي:

هو عابدين بن محمد الكنتي، أحد شيوخ قبيلة كنته في منطقة تينبكتو، والذي ورث المشيخة عن والده الذي ينحدر من أسرة عربية يصل نسبها إلى عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقيا ومؤسس القيروان، وقد تلقّى عن الشيخ محمد المهدي الانتساب إلى الطريقة السنوسية، وأصبح مقدم السنوسية في منطقة تبكتو، وصحراء مالي الشمالية، ولهذا أعلن الجهاد ضد فرنسا في صحراء مالي، وشمال موريتانيا، والساقية الحمراء، إلى جنوب المغرب بوادي نون عند أخواله قبيلة (تكنه)، وجنوب الجزائر لدى توارق الهقّار الذي يقدِّرونه لنسبه الشريف، ولعلمه وتضلّعه في الدين، واستمر في جهاده مابين 1892م إلى 1917م، يهاجم القوات الفرنسية في مناطق صحراء مالي، وجنوب الجزائر متحالفاً مع الخليفة ولد محمد، ومتصلاً بالليبيين في جنوب الجزائر وبمركز الحركة السنوسية في الكفرة، واستمر عابدين يقود كتائب الجهاد ضد فرنسا في جنوب المغرب، وشمال موريتانيا، وجنوب الجزائر، وشمال مالي، وشمال النيجر. لقد قال العقيد الفرنسي كلوب عند مغادرته تيبكتو في عام 1899م (الموت وحده الذي سينقذنا من عابدين)(2).

توفي عابدين مجاهداً في جنوب المغرب في أثناء الحرب العالمية الثانية، لقد استمر يجاهد في الصحراء الكبرى قرابة نصف قرن دون أن يهادن أو يرمي السلاح لقد كان هذا المجاهد من مالي، وينتسب للحركة السنوسية(3).

هؤلاء من أشهر القادة السنوسيين الذين قادوا حركة الجهاد ضد فرنسا.

إن الغزو الإيطالي جعل القيادة السنوسية تنقل ثقلها نحو الشمال، وإن كانت حركة الجهاد ضد فرنسا استمرت بقيادة القادة السنوسيين إلى مابعد الحرب العالمية الثانية، وفي فترة زعامة أحمد الشريف كان يشرف بنفسه على حركة الجهاد ضد فرنسا، وكان يحث التجار على السفر إلى السودان بتجارتهم سيما الأسلحة، ويقول لهم إنها من أربح التجارة، وكان يكاتب أعيان برقة ويطلب منهم أن يرسلوا الأسلحة، وفي مكاتبته عام 1328هـ طلب منهم يبعثوا بألف وخمسمائة بندقية ثمنها من جيبه الخاص وأرسلها إلى المجاهدين في السودان وقد وردت عنه هذه الكلمة: (ليس عندي صديق أعز ممن يساعدني بالسلاح)(4).

المبحث الثالث

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص236.

(2) انظر: جهاد الليبيين، ص239 الى 241.

(3) المصدر السابق نفسه، ص242.

(4) انظر: برقة العربية أمس واليوم، ص245.

الغزو الإيطالي

تمهيد:

في خلال فترة 1882-1896م تزايدت النشاطات التبشيرية الإيطالية في ولاية طرابلس، وخاصة في مجال التعليم، وأقبل بعض الضباط العثمانيين على إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس، فأصدر الوالي كمال باشا 1893-1908م قراراً في 21يوليو 1898م منع بموجبه أبناء ضباط الجيش العثماني من الانتساب إلى هذه المدارس وضرورة تحويل ابنائهم إلى المدارس الحكومية العثمانية، ومما جاء في القرار على لسان السلطان قوله: (لقد علمت أن الضباط يرسلون أولادهم إلى المدارس الأجنبية، وحيث أن الحكومة قد فتحت العديد من المدارس التي تسير على المنهج السليم، لذلك لم يبق عذر ولامبرر لإرسال أبناء الضباط إلى المدارس الأجنبية ويمنع هذا رسمياً(1).

استمرت ايطاليا بمحاولاتها الرامية لتأكيد مظاهر نفوذها في ولاية طرابلس وساهمت صحافتها في ذلك عن طريق مجاهرتها بالدعوة إلى احتلال الولاية، والتقليل من شأن العثمانيين، والطرابلسيين، برغم عدم أهليتهم لحكم الولاية وإدارتها(2)، فاجتمع من أهل الولاية جمع غفير، وأرسل نحو خمسين من أعيانهم رسالة بالتلغراف إلى استانبول يظهرون فيها إستياءهم من لهجة الصحف الإيطالية، ويبدون فيها استعداداتهم للدفاع عن وطنهم تحت راية الخلافة العثمانية، ومما جاء في الرسالة: (أن أهالي طرابلس الذين يتباهون بارتباطهم بمقام الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية الذي هو أعظم من حياتهم وأنهم لاينثنون عن الدفاع في هذا السبيل، ولو انثنت عنه الحكومة العثمانية نفسها..، وعلى كل حال فإن رجالنا وأولادنا قد عاهدوا الله والشرف والذمة على أن يريقوا، وبكل سرور آخر نقطة من دمائهم قبل أن يدنس وطنهم أعداء السلطة العثمانية(3).

وهذا الخطاب يدل على مدى ارتباط المسلمين في ليبيا بالخلافة الإسلامية وعلى أصالتهم في مكافحة وجهاد عدوهم وعلى حبهم للموت في سبيل الله وصد كل عدو يفكر في الاعتداء على أراضيهم والنيل من مقدساتهم ولازالت هذه المعاني تجري في دماء الأحفاد الذين ورثوها من الأجداد من أصالة وديانة وشرف قال تعالى: , ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم - عينت الدولة العثمانية، رجب باشا (1904-1908) والياً على طرابلس، وكان من أشد الناس وطأة على سياسة إيطاليا، وعهده كان متميزاً بالنشاط والصلاح (ووقف للسياسة الإيطالية في كل طريق، وماسلكت السياسة الإيطالية سبيلاً إلاّ وجدت رجب باشا، واقفاً لها بالمرصاد)(4).

ومع هذا لم تتوقف المساعي الإيطالية للتغلغل في طرابلس وبرقة، وكانت معظم البعثات الإيطالية التي قدمت إليها في تلك الفترة، قد قامت بزيارتها بناء على مبادرة من الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري التي كانت مدينة ميلانو مركزاً لها، وبإيعاز من رئيسها (كامبيريو) مدير مبعثات كثيرة منها بعثت (مانفريد كامبيريو)، وجوزيبِّبي هايمان في سنة 1881م ويبيترو عام 1882م،1883م بنيشة في عام 1895م؟ فينا بيّادىديني، و (بيدويتى في سنة 1901م، و (هابنهير)، و (دي سانكتيس) في سنة 1910م وغيرهم كثير، وبعض هذه البعثات أحدثت ضجة واسعة، إذ أن أعضائها قد سجنوا من قبل الأتراك الذين لم يطلقوا سراحهم إلا في نوفمبر 1912م(5).

قام أول هؤلاء المبعوثين (كامبيريو) في سنة 1880م برحلة إلى طرابلس وزار خلالها الخمس ومسلاته، وعند عودته إلى ميلانو طلب من جمعية الإستكشاف الإيطالية إرسال جواسيس إلى برقة لإقامة مراكز تجارية

---

(1) انظر: التعليم في ليبيا خلال القرن التاسع عشر، عمر بن اسماعيل ، ص301.

(2) انظر: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ص14.

(3) المصدر السابق نفسه، ص14، 15.

(4) انظر: ليبيا قبل الاحتلال الايطالي، احمد الدجاني، ص165.

(5) انظر: الحوليات الليبية، شارم فيرو، ص792.

في بنغازي، ودرنه كنقط انطلاق، وقامت البعثات الإيطالية بالتجسس على أوضاع ليبيا الإقتصادية، والزراعية، وقامت بدراسة قرى بنغازي وتوكره، والمرج، ودرنة، وشحات، وطلميثة، وطبرق، وأتيحت لهم فرصة الإطلاع على أحوال ليبيا وعادات الشعب، وطريقة حياتهم، ثم عادوا إلى إيطاليا وقد رفعوا أبحاثهم إلى السلطات الحاكمة، وألقوا المحاضرات، والخطب الرنانة لتشجيع حكوماتهم، وشعبهم على إحتلال ليبيا[1]، لقد تمكنت إيطاليا من فتح بنك روما في طرابلس وأنشئت فروعه في ليبيا، وبنت المصانع، والمدارس، ودرست الأوضاع بعناية، وأرصدت الأموال لذلك.

يرى الباحث أنهم استمروا أكثر من ثلاثين سنة وهم يجمعون المعلومات ويرسلون الجواسيس ويخططون لغزو البلاد، ويتوغلون في المجتمع بالمؤسسات التجارية، والمدارس العلمية .. الخ لغزو ديار المسلمين، وهتك أعراضهم، وتدمير بلادهم، وقتل أشرافهم، وسبي نساءهم قال تعالى:, ولايزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم ان استطاعوا- (سورة البقرة، آية).

وفي سنة 1900م قامت شركة (روباتينو) للملاحة بمد خطاً بحرياً منتظماً مع مدينة طرابلس وفي ديسمبر من نفس السنة أبرم بين فرنسا وإيطاليا إتفاق، ثم التأكيد عليه مجدداً في مايو سنة 1902م وهو عبارة عن بروتوكول يقضي بعدم تدخل متبادل بين الدولتين، وبموجبه أعلنت إيطاليا أنها لن تكون لها أي مطامع استعمارية في مراكش، وأعلنت في مقابل ذلك أنه لن تكون لها هي الأخرى أية مطامع استعمارية في طرابلس وفي سنة 1907م فتح مصرف روما فروعا له في طرابلس، فاستثمرت بها رؤوس أموال وأنشئت مصالح إيطالية، كما تم تطوير الخطوط المحلية معها، والمدارس الإيطالية فيها، وأخذت الحكومة تشجع وتدعم مشاريع مواطنيها الذين كانوا يصطدمون باستمرار بالعقبات التي تواجههم في طريقهم[2].

كانت ايطاليا عازمة على احتلال ليبيا، وبذلت في سبيل ذلك جهداً كبيراً على مستوى الولاية نفسها، بتعزيز مظاهر نفوذها أو على المستوى الدولي بالحصول على موافقة أغلب الدول الأوروبية على ذلك إلا أن شدة تمسك الدولة العثمانية بالولاية في زمن السلطان عبدالحميد الثاني، وقوة نفوذ الحركة السنوسية في دواخل ليبيا، وحسن التنسيق القائم بين الطرفين ، كل ذلك أدى الى تأجيل إيطاليا تنفيذ مشروعها الاستعماري العدواني الغاشم عام 1911م.

<u>أولاً : الهجوم الايطالي على ليبيا:</u>

كانت الدولة العثمانية تعاني اضطراباً خطيراً في أوضاعها الداخلية والخارجية بسبب الانقلاب الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي ضد السلطان عبدالحميد سنة 1908م ، وكان ذلك الانقلاب المشؤوم مدفوعاً من قبل اليهود، والماسونية، والدول الأوروبية ، وكان السطان محمد رشاد ألعوبة في يد جمعية الاتحاد والترقي ، ولم يكن السلطان محمد رشاد بأوفر حظاً من سابقيه، لأن النظم التقدمية الخيالية التي تبنتها جمعية الاتحاد والترقي قيدته، كذلك فإن قادة الانقلاب غالوا في نزعتهم القومية وأفرطوا في سياسة التتريك التي نادوا بها[3]، وساهموا في ضياع ليبيا يقول الاستاذ محمود الشاذلي: (لعب (قره صو) أحد قادة الاتحاد والترقي في ايامها الأخيرة (1909-1918م) دوراً رئيسياً في احتلال إيطاليا لليبيا وكان يشغل وظيفة مفتش إعاشة، واضطر نتيجة لخيانته أن يهرب الى إيطاليا ويحصل على حق المواطنة الايطالية واستقر في تريستا حيث مات عام 1934م)[4].

وأما متر سالم اليهودي الماسوني، فيتحدث عن دوره الجنرال جواد رفعت أتلخان في كتابه (أسرار الماسونية، ترجمة : نورالدين رضا الواعظ، سليمان أمين القابلي) : (أن طرابلس الغرب (ليبيا حالياً) التي تعتبر موطن أخلص أبناء الدولة العثمانية، قد وقعت في مخالب الايطاليين بمؤامرة خبيثة، دبرها اليهودي الماسوني (متر

---

(1) انظر: العدوان الحرب بين ايطاليا وتركيا، محمد بازمة، ص80.

(2) انظر: حوليات ليبيا، ص793.

(3) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر، محمود عامر، ص48.

(4) انظر : المسألة الشرقية، ص202.

سالم) الحائز على الدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية، ورسما الخطط اللازمة ودفعت الخزينة الايطالية الملايين من الليرات الذهبية الى اليهودي (متر سالم) لقاء إقناعه الدولة العثمانية بضرورة سحب الأسلحة والعتاد من طرابلس الغرب الى استانبول بحجة التغيير والاصلاح وبمساعي الماسونيين أيضاً سيقت قطعات الجيش الى اليمن، وهكذا سلمت البلاد الطرابلسية (ليبيا) لقمة سائغة للطليان...)(1)، وكانت وزارة إبراهيم حقي الاتحادية متواطئة مع إيطاليا الذي ربطتهم به المال، فضاع كل امل أن تنال ولاية طرابلس الغرب شيئاً من عناية الدولة واهتمامها بها، لقد قامت حكومة السلطان عبدالحميد الثاني بإتخاذ الأهبة لرد أي اعتداء على الولاية، وارسل إليها السلطان قائداً من خيرة قواده، هو رجب باشا الذي : (أطلقت يده في شؤون الولاية الادارية والعسكرية، فمرن أهلها على الأصول الحربية وفرق على شبابها وشيوخها البنادق ومرنهم على استعمالها ، وملئ المستودعات العسكرية بالذخائر، حتى أصبح عدد الجيش المرابط في طرابلس حوالي خمسة عشر الفاً وهذا عدا الفرق غير النظامية، (قول أوغلى، من الأهلين العرب، وهؤلاء بلغوا الأربعين أو الخمسين الفاً ومهمتهم معاونة الجيش النظامي ، فقد ابطل الاتحاديون هذه الاستعدادات وشرعوا ينـزعون البنادق من الأفراد بدعوى أن الأهلين قد يقومون في وجه الحكومة إذا طلب منهم تأدية الضرائب والتكاليف الأميرية، وانتهزت وزارة حقي باشا فرصة استفحال أمر الثورة في اليمن، فسحبت معظم جيشها النظامي من طرابلس الغرب لاستخدامه في اخماد هذه الثورة؛ على أنها لم تكتف بذلك، بل أهملت كل الاهمال الفرق الاهلية، فنقصت قوة الدفاع الطرابلسية الى أقل من خمسة آلاف مقاتل فقط؛ ومع أن أهالي البلاد طلبوا الانتظام في سلك الجندية بعد إعلان الدستور العثماني ، فقد أصم الاتحاديون آذانهم ولم يجيبوا الأهلين الى ماطلبوه إلا قبيل وقوع الاعتداء الايطالي لفترة قصيرة، ولم تبدأ الاجراءات اللازمة لتجنيدهم إلا بعدقيام الحرب ذاتها، وزيادة على ذلك فقد نقلت الحكومة العثمانية حوالي أربعين ألف بندقية كانت الدولة قد درجت على حفظها بالبلاد حتى يستخدمها الأهلون عند الطوارئ، ثم لم تفعل شيئاً من أجل إصلاح الاستحكامات ومراكز الدفاع بالبلاد أو تمدها بالمدافع والذخيرة اللازمة للسهر على سلامتها(2)، واستغلت إيطاليا نشوب الازمة المراكشية ، وعمدت الى توقيت البدء بالعمل العسكري ضد ليبيا ، فوجهت انذاراً الى الحكومة العثمانية تضمن التالي:

1. تذكير إيطاليا المستمر للباب العالي بالضرورة القصوى لوضع حد لتلك الفوضى والاهمال اللذين تركت فيها طرابلس وبرقة من قبل الحكم العثماني، وهو وضع ترى إيطاليا ضرورة تعديله وفقاً لمقتضيات المدنية والمصلحة الحيوية لإيطاليا بحكم قرب سواحلها من أراضي الولاية.
2. إن مساندة الحكومة الايطالية الدائمة للامبراطورية العثمانية في كثير من المسائل السياسية حتى في الفترة الأخيرة قوبلت بتجاهل رغبات إيطاليا في ولاية طرابلس وبمعارضة أنشطة الايطاليين فيها.
3. رفض الحكومة الايطالية لاقتراح استانبول بإجراء مفاوضات تمنح بمقتضاها إيطاليا امتيازات اقتصادية في الولاية (وتحتفظ لاستانبول شرفها ومصالحها العليا) لأنها تعتقد بأن تجارب الماضي أوضحت عدم جدوى مثل هذه المفاوضات التي قد تطرح أموراً تصبح محل نزاع أو احتكاك جديد.
4. الادعاء بأن قناصل إيطاليا في طرابلس وبرقة تصور (خطورة الحركة السائدة ضد الإيطاليين والتي خلقها فيما بعد ضباط وهيئات أخرى من السلطات المحلية) ، وهي خطورة ليست قاصرة على الإيطاليين وحدهم بل على جميع الأجانب مما دفعهم لمغادرة البلاد.
5. إن الحكومة العثمانية ترسل الناقلات العسكرية لتزيد من تأزم الموقف في البلاد، الأمر الذي يدفع إيطاليا لإتخاذ التدابير اللازمة ضد هذا العمل.
6. قررت الحكومة الايطالية ، الإقدام على احتلال طرابلس عسكرياً (لأن ذلك الحل الوحيد الذي يمكن أن تقبله إيطاليا).
7. تطلب الحكومة الايطالية إصدار الأوامر للممثلين والسلطات العثمانية في الولاية بعدم مقاومة الغزو،

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص201.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص115.

ومن الممكن الاتفاق على تنفيذه دون اية عراقيل وستتخذ بعده القرارات اللازمة لتسوية الحالة التي ستنتج عنه(1)، قام السفير الايطالي بتسليم مذكرة الانذار لرئيس الحكومة العثمانية حقي باشا الذي دعا وزارته للانعقاد وبحث الأمر معها ثم عرض الموقف على السلطات، وتضمن الرد العثماني إلقاء مسؤولية التخلف الذي شهدته الولاية على حكومات العهد السابق، ونفى وجود أي عراقيل تحول دون الفعاليات الايطالية في الولاية، وحرصت الحكومة العثمانية على تلبية الطلبات بصورة دائمة، وان الاحتجاجات المقدمة إليها من قبل سفارة دولة إيطاليا نفذت بالكامل، وأعطيت تعليمات مشددة لولاتها العاملين في الولاية، وبينت الحكومة التركية أنه لامانع لديها من العمل على تقديم امتيازات اقتصادية واسعة لدولة إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب(2)، ومع هذا كله، فقد أدعت الحكومة الايطالية أن رد الحكومة العثماني تأخر، فأعلنت الحرب على ليبيا، علماً بأن بوارجها الحربية تحاصر الشواطئ الطرابلسية منذ منتصف شهر أيلول (سبتمبر) أي قبل ارسال الانذار الى الحكومة العثمانية بثلاثة عشر يوماً، ولهذا كلفت بارجاتها بقصف السراي الحمراء الكائنة في مدينة طرابلس(3)، وكانت الاساطيل البحرية، تقصف في مدينة طرابلس.

ثانياً: الجهاد في طرابلس وفزان:

رغم ضآلة وضعف الامكانات العسكرية للولاية، فقد تبنت مدفعيتا القلعتين (السلطنة والحميدية) الرد على القصف لتغطية انسحاب الحامية العثمانية والمجاهدين الى الداخل، وبصعوبة بالغة استمرت مدفعية الولاية تناوش الايطاليين حتى الثالث من شهر تشرين الأول، وتحسباً من تعريض الجاليات الايطالية للأذى وعدم تعرض قواتهم لأي خطر مفاجئ، تأخر الايطاليون في عملية الانزال البري حتى الخامس من الشهر نفسه.

واصدر قائد الحملة الجنرال (كار لوكانيفا) بياناً باللغة العربية يخاطب سكان طرابلس جاء فيه: (ماذا يصدكم عن القدوم إلينا؟ أما يهمكم رعي مواشيكم وتعاطي تجارتكم آمنين؟ نحن اصحاب دين من اهل الكتاب واحرار، وأعلموا أن دولة إيطاليا المعظمة قد اصبحت لكم بمقام الوالد بعد أن أخذت أمكم وهي طرابلس الغرب، فاقدموا إلينا بلا خوف، وبكمال الأمان ونحن نؤكد أنه ليس من يؤذيكم ومامن يسيء إليكم أو يضركم بأدنى شيء فإن المال لا يذكر، واعلموا أن كل من يأتي إلينا ببارودته مع المهمات نحسن إليه بعشرين فرنكاً مع كيس قمح أو شعير كيفما شاء ، أما رؤساوكم الدينيون والسياسيون فإن الحكومة الايطالية تقبلهم وتؤيدهم بالصفة التي كانوا عليها قبلاً، بل يعين لهم رواتب ومعاشات وناهيكم أن الكلام واحد والله سبحانه وتعالى كريم، فاطلبوا إليه عز وجل أن يفتح عيون عقولكم لتعرفوا الحق وهو يخلصكم)(4).

ولم يكتف الجنرال كارلو كانيفابه، بل أصدر عدة بيانات منها:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على كافة الانبياء والمرسلين وصلى الله عليهم وسلم أجمعين.

يأمر ملك ايطاليا المعظم فكتور عموئيل الثالث نصره الله وزاد مجده أنا الجنرال كارلوس كافينا قائد العساكر الايطالية الموكل إليه محو الحكومة التركية من طرابلس، وبرقة والمقاطعات التابعة لها بناءً عليه أعلن للشعوب باجمعهم القاطنين في المقطاعات المنوه عنها من شاطئ البحر الى آخره والحدود الداخلية الذين يملكون بيوتاً في المدن وبساتين وحقولاً ومراعي حول المدن نفسها أو بعيداً عنها مايلي: إن العساكر الخاضعة لأمري لم يرسلها جلالة ملك إيطاليا حماه الله لإضعاف واستعباد سكان طرابلس، وبرقة وفزان والبلاد الاخرى التابعة لها التي لاتوجد الآن تحت سيادة الاتراك بل لتعيد إليهم حقوقهم وتقتص من المعتدين عليهم، وتجعلهم أحراراً يحكمون أنفسهم وتحميهم من كل من يعتدي عليهم سواء كان من الاتراك أو أي شخص كان يريد استرقاقهم، وعليه فأنتم

(1) انظر: الغزو الايطالي الى ليبيا للبوري، ص283،282.

(2) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر، محمود عامر، ص50.

(3) انظر: الحوليات الليبية، شارل فيرو، ص51.

(4) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر، محمود عامر، ص52.

ياسكان طرابلس وبرقة وفزان والبلاد الاخرى التابعة لها من الآن سيحكمكم رؤساء منكم موكل إليهم ان يقضوا بينكم بالعدل والرأفة عملاً بقوله تعالى : ,وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل- وستكون هذه الاحكام تحت حماية ورعاية ملك ايطاليا السامي حرسه الله، واعلموا ان ستبقى الشرائع الدينية والمدنية محترمة وتحترم الاشخاص والاملاك والنساء والحقوق وجميع الامتيازات المختصة بأماكن العبادة والبر لان غاية أعمال الرؤساء يجب أن تكون واحدة وهي تحسين حالتكم والعمل على استتباب راحتكم ويجب ان يكون ذلك مطابقاً للشريعة الغراء، والسنة المحمدية السمحاء وسيقضي بينكم بالعدل طبقاً للشريعة الغراء وحسب اوامرها بواسطة قضاة اشتهروا بثقافتهم في الشرع ذوي استقامة وسيرة حميدة، كما أنه لانغض الطرف عمن يظلم من الرؤساء ، ولا نغفر غشاً او خداعاً من أحد من القضاة، فالكتاب والسنة فقط تقضي عليكم، واعلموا جيداً أنه لاتؤخذ منكم ضرائب لتصرف خارجاً عن بلادكم ، والضرائب التي لاتوجد الآن عليكم، ننظر فيها وتنقضي أو تلغى كما يقتضي العدل، واعلموا جيداً أنه لايدعي أحد منكم للخدمة العسكرية، بالرغم عن ارادته وفقط يقبل بها أولئك الذين يرغبون الانضمام تحت اللواء الايطالي باختيارهم لأجل حماية النفوس والاملاك، ولكي يتكفلوا للبلاد السلم والنجاح وأما الآخرون، فيبقون في بيوتهم منعكفين على العمل في الحقول ورعاية المواشي أو معطاة التجارة، الصناعة، والحرف الضرورية، لقيام الحياة، وعلى هذا، فكل أمرئ يمكنه الصلاة في معبده حسب تعليم دينه يلزمكم أن تتضرعوا لله عز وجل أن يرفع مجد الشعب الايطالي، ومجد ملكه لأنه أخذكم تحت ظل حمايته والايطاليون يرمون أن يكون اسمهم مهاباً من جميع أعدائكم وأما منكم فقط، فيكون محبوباً ومباركاً.

وبناءً عليه وحسبما خولني جلالة ملك إيطاليا العادل المنصور وحكومته اعلنتكم بما تقدم، وسيجرى مفعوله من هذا اليوم من شهر شوال سنة 1329هـ، ليبقى كأساس للعلاقات المستقبلية التي ستوجه بين الحامية، والمجتمعين ، وبين الايطاليين وسكان هذه البلاد، والتي واثق بأنكم تقبلون هذا المنشور بسرور قلبي ، لأنه سيكون قانوناً يجب أن يحفظ بأمانة، واستقامة ضمير، وشهامة من كلا الطرفين، واذا وجد من لا يحترم الشرائع ولا يعتبر الاشخاص او يمس حرمة النساء، او يخترق حرمة الملك، او يقاوم، أو يثور على ارادة العناية الالهية التي ارسلت ايطاليا الى هذه البلاد وباسمها صدرت لي هذه الاوامر، قبلها ممن يمتلك حق الامر فسيكون الانتقام منه عظيماً، وسأحافظ على تنفيذها بالقوة الموكلة لعهدتي لنبراس العدل والحق ، فياسكان طرابلس، وبرقة والمقاطعات التابعة لها اذكروا ا، الله قد قال في كتابه العزيز: ,لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين-، وقد جاء أيضاً : ,وإن جنحوا للسلم فأجنح لها وتوكل على الله-، وجاء أيضاً: ,ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون- أي الذين يصلحون الأرض، ويمنعون منها الفساد، ينشروا فيها العدل والعمران، وجاء أيضا: ,وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم-(1) أي لاتفسدوا في الأرض إن توليتم أمور الناس وتقاتلوا بعضكم بعضاً، إن الذين يفعلون ذلك يلعنهم الله ويصمهم ويعمي أبصارهم ويستبدلهم بغيرهم وجاء أيضاً : ,قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير-، وجاء أيضاً: ,ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الظالمون-، فأرادة الله ومشيئته سبحانه وتعالى قضتا أن تحتل إيطاليا هذه البلاد لأنه لايجري في ملكه إلا مايرى فهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير، فمن أراد أن يظهر في الكون غير مأظهر مالك الملك رب العالمين المنفرد بتصرفاته في ملكه لاشريك له فيه، فقد جمع الجهل بأنواعه وكان من الممترين، وبناءً عليه يلزم كل مؤمن أن يرضى ويسلم بما تعلقت به الارادة الربانية، وأبرزته القدرة الالهية فالملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء، فايطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها المعظم، ويخفق فوقها العلم المثلث "ابيض وأحمر وأخضر" إشارة الى المحبة والايمان(2).

إن للأسف الشديد كان كاتب هذا المقال ، شيخ من العلماء المحسوبين على الازهر الشريف، وكتب ذلك مقابل

(1)انظر: مجلة المنار، محمد رشيد رضا، ج12، م14، ص636. وكذلك جهاد الابطال، ص52.

(2) المصدر السابق نفسه، ج12، ص637.

عرض من الدنيا زائل، ولقد تأثر بهذا المنشور ممن لاعقيدة واضحة في ذهنه، وممن لايعرف ضروريات ديننا الاسلامي العظيم، وغاب عنه حقيقة الصراع بين عقيدة التوحيد الصافية النقية، وبين عقائد النصرانية الفاسدة ، بأنواعها المتعددة.

لقد لجأت ايطاليا الى المكر والخداع، وبثت الفرقة بين أهالي ليبيا ، والأتراك المساندين لهم، ودعت الى الانفصال عن العثمانيين عن طريق المنشورات ، وكانت الطائرات الايطالية تلقيها على المعسكرات العربية، سارع أهالي ليبيا لاثبات ولائهم للدولة وأرسلوا برقية للحكومة في الاستانة نقلتها بالنص جريدة صباح التركية، جاء فيها:

(نحن العرب أبناء هذا الوطن العثماني المقدس نفديه بالمهج ولاننفصل عنه، ولو أراد هو الانفصال عنا، وإنا لمدينون في حياتنا القومية واتحادنا للجنود العثمانيين وضباطهم البواسل، على ان مانبذله وما سنبذله ايضاً من المهج والمال في الذب عن حوضنا لم نبذله طوعاً لأوامر اخواننا الجنود، بل رغبة بالاحتفاظ بكياننا وإننا نجل هذه الرغبة، لأنها كانت سبباً في شد أواصر الاخوة بيننا وبين إخواننا العثمانيين، فلهذا نعلن لحكومة الاستانة وسائر اخواننا العثمانيين أننا مستعدون لبيع أرواحنا وأرواح أبنائنا على بساط هذه السهول ، والرمال المحرقة دفاعاً عن بلادكم التي هي بلادنا لأننا متأهبون للموت حتى لايبقى منا فرد، والله لايهدي كيد الخائنين)(1).

ولقد فاخرت جريدة طنين التركية بهذه البطولات التي تتفجر من العرب في حرب طرابلس، مشيرة الى أن: (أخواننا العرب فعلوا المعجزات، فبيضوا صفحة تاريخنا ، وعجز ايطاليا في الحال وفي الاستقبال بات أمراً محققاً، ... وبعد ما حالف النصر العرب الذين أبلوا بلاء الحسن ، ... فلتعلم أوروبا هذا والسلام)(2).

إن السلطان عبدالحميد الثاني كان يدرك مدى الولاء الذي يحمله العرب في طرابلس للدولة العثمانية، وفي مقدمتهم السيد أحمد الشريف السنوسي، لهذا كان متفائلاً جداً في تصريحه الصحفي الذي أدلى به لمجلة نور اندسون الألمانية ، وأكد فيه أن الايطاليين سيجدون مقاومة عنيفة من قبل السنوسيين واتباعهم، وستكون خسائرهم فادحة وحساباتهم خاطئة، لأن العرب هناك لن يسلموا طرابلس بسهولة، وأن الدولة قد أمنت لهم مايكفيهم من البنادق والمدافع لكي يقووا على المقاومة والدفاع عن وطنهم(3)، وهذا القول هو ما أكده السفير البريطاني في الاستانة السير جيرارد لوثر في التقرير السنوي لسنة 1912م الذي بعثه لوزير خارجيته في 17 ابريل 1913م(4).

ثالثاً: العنف الايطالي والمقاومة:

كانت بيانات الجنرال كارلو كانيفا تدعو الشعب الليبي الى التزام الهدوء، وكانت مليئة بالكذب والنفاق والتضليل والمجزرة التي ارتكبها في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني بحق سكان المنشيئة في مدينة طرابلس والتي ذبح فيها من 4-7 آلاف نسمة من بينهم الطفل، والعجوز ونفى تسعمائة شاب ليبي ، وهتك الاعراض بدون سبب، لخير دليل على ممارسة الطليان المختلفة الصنوف اللاأخلاقية ، إزاء تلك الوحشية البغيضة ، فقد قاوم الشعب المسلم الليبي تلك الوحشية بصمود سجل في صفحات التاريخ بماء الذهب الصافي.

ومما فجر الروح الجهادية لدى أهالي ليبيا، عجز إيطاليا عن احترام شعور الأهالي ومعتقداتهم ، واعطوا لهذه الحرب صبغة دينية واضحة ، فقد بارك القسيس والبابا الحملة قبل سفرها من إيطاليا، وكان من أول ماقامت به بعد نزولها في مدينة طرابلس أن قامت صلوات الشكر لله على إحتلال المدينة، وعلى وضع الصليب مكان

---

(1) انظر: جريدة المقطم عدد 6941 في 9 صفر 1330هـ.

(2)انظر: جريدة المقطم، عدد 6980 في 25 ربيع الأول 1330هـ.

(3) انظر: جريدة الاهرام عدد 10613 في 21 صفر 1331هـ.

(4) انظر: حروب البلقان، عايض الروقي، ص102.

الهلال، وكان العمل في حد ذاته كافياً لإثارة كل مسلم في البلاد[1]، وكان النشيد الذي يردده الجنود الغزاة: (أماه صلي ولا تبكي، بل أضحكي وتأملي ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني، وأنا ذاهب الى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ولا حارب الديانة الاسلامية.. سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ، ليس للمجد من لم يمت لإيطاليا، تحمسي أيتها الوالدة، وإن سالك أحد عن عدم حدادك عليّ، فأجيبيه، مات في سبيل محاربة الاسلام)[2].

وصدق الله العظيم القائل: ,ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم- (سورة البقرة، آية).

لقد تحرك نواب البلاد وزعمائها من ضواحي طرابلس نحو معسكرات الجهاد، واشتركوا في العمليات ونادوا على الاهالي بضرورة الخروج معهم، قام بأهم دور في هذه الحشود والاستعداد فرحات باشا نائب طرابلس، وسليمان الباروني نائب الجبل، وسيف النصر من زعماء سرت.

كان فرحات بك له نفوذ كبير في موطنه (الزاوية) وكان يقضي عطلته في الواحة وقت نشوب الحرب، فعرض خدماته على القائد العثماني، وكتب في نفس الوقت الى المشايخ في الواحات محرضاً أياهم على القيام والالتفاف حول راية السلطان والدفاع عن البلاد، ورغماً من الدعاية المضادة التي كان يقوم بها بعض الشيوخ الموالين للايطاليين في العاصمة، فإن نداءات، فرحات بك قد نجحت وارتفع العلم العثماني في كل مكان ، وكان فرحات بك أول متطوعاً انضم الى العثمانيين مع عدد من المتطوعين من الزاوية، وزوارة، والعجيلات وكان وصوله سبباً في تقوية الروح المعنوية لدعم الحامية العثمانية.

التي كان يقودها نشأت بك[3]، وتمركزت قوات المجاهدين في العزيزية للقيام بمهمة الدفاع[4].

أما سليمان بك الباروني نائب الجبل فقد كان يتمتع بعصبية أهل الجبل الغربي القوية مع حب الأهالي له، وكان يقضي عطلته في فساطوا وقت نزول ايطاليا في طرابلس وانسحاب الحامية العثمانية الى الداخل. وقد اتصل كذلك بالقائد العثماني ووصل بعد ذلك الى العزيزية على رأس خمسين من مشايخ الجبل، وتفاهم مع نشأت بك ووعده بأن يواصل المتطوعون الحرب. وقد عاد الى الجبل ودعا المشايخ المحليين واستنفرهم للحرب من اجل الاسلام ودولة الخلافة، ووجد نفسه على رأس الف من رجال القبائل، وأسرع بهذه القوة الى ميدان الحرب، ولم يترك القوات العثمانية منذ ذلك اليوم، ونتيجة لهذه المجهودات التي قاما بها هذين الزعيمين في طرابلس أخذت جماعات الليبين تصل الى معسكرات الجهاد من نالوت وغريان..وغيرها وصلت الى عشرات الآلاف من المجاهدين[5].

رابعاً: أحمد الشريف يوجه اتباع الحركة للجهاد:

بعد وصول خبر احتلال إيطاليا لطرابلس، وقصفها لبقية المدن الليبية بأساطيلها، قام احمد الشريف بجمع السادة، والشيوخ والعلماء والقادة، وعرض عليهم الأمر واستشارهم ، وخرج الأمر بتوجيه الشيوخ وعلماء الحركة بقيادة المجاهدين في كافة ساحات الوغى وقال أحمد الشريف: (والله نحاربهم ولو وحدي بعصاتي هذه)[6]، كانت القوة الايمانية الدافعة تحرك احمد الشريف ، نحو الجهاد، ولذلك رفض الخنوع والاستسلام للمحتل النصراني مهما كانت قوته وجبروته وعزته، ووصلت أوامر احمد الشريف الى رؤساء الزوايا والشيوخ، والاعيان التابعين للحركة في طرابلس وما حولها، يأمرهم بأن لا يتهاونوا وأن يستميتوا في قتال العدو المهاجم

---

(1) انظر: المغرب الكبير (767/3).

(2) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر ، ص47.

(3) انظر: المغرب الكبير (769/3).

(4) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص123.

(5) انظر: المغرب الكبير (770/3).

(6) انظر: الفوائد الجلية (23/1).

ومن هؤلاء الشيوخ:

- مصطفى احمد الهوني رئيس زاوية هون.
- حامد بركات الشريف رئيس زاوية سوكنة.
- محمد علي الأشهب رئيس زاوية (واو) فزان.
- السني رئيس زاوية مزدة.
- عبدالوهاب العيساوي رئيس زاوية طرابلس.
- محمد علي بن الشفيع رئيس زاوية سرت.

وكتب الى زعماء القبائل المبرزين كالشيخ سيف النصر زعيم قبائل أولاد سليمان، وأورفله، وغيرهم.

وقام الشيخ محمد الاشهب بتنظيم معسكر من القبائل الفزانية، والتوارق، ورياح والعرب المقيمين باقليم فزان، وانضم آمود وكوسا من زعماء التوارق الى معسكر محمد الأشهب، وقام المغاربة بتأسيس معسكر بالنوفليه وكان زعيمه

عبدالله بن ادريس ، وساعدة صالح الأطيوش، وقام أولاد سليمان، وأورفلة، والقذاذفة، بتأسيس معسكر، تزعمه في بداية الأمر سيف النصر نفسه، ثم ابنه احمد بك، ومعسكر من قبائل أولاد أبي سيف يتولى قيادته الشيخ السني، وأبوبكر قرزه[1].

وبذلك أصبحت المعسكرات بالمنطقة الغربية أربع تابعة للسنوسية قامت بدعم اخوانهم ، والمشاركة معهم في الجهاد ضد ايطاليا، وقام الليبيون عموماً بتنظيم المعسكرات بضواحي طرابلس، وغريان والخمس ومصراته كان صدور الدعوة الى الجهاد من زعيم الحركة السنوسية أحمد الشريف بمثابة الشرارة التي أوقدت النار في طول البلاد، وعرضها، فخف المجاهدون من أقاصي طرابلس وفزان، ثم من النيجر، وتشاد، لمؤازرة اخوانهم المجاهدين في الجبل، والغرب وهي الجهات التي ظل زعماؤها حريصين على استقلالهم ولا يريدون منذ ظهور الحركة السنوسية الانضواء تحت لوائها؛ ومع هذا، فقد كان أحمد الشريف صاحب نفس عظيمة همته في الجهاد، والتغلب على العوائق التي تحيل دون وحدة الصف الاسلامي في بلادنا[2]، يقول الشيخ الطاهر الزاوي عن أحمد الشريف: (فالسيد احمد الشريف صقله العلم، وهذبته العبادة، فعفت نفسه، وكبرت همته، ..وأخلص عمله لله فتولى الله توفيقه، وأطلق ألسنة الناس بمدحه والثناء عليه)[3].

لقد تدفق أتباع الحركة السنوسية كالسيل الجارف على ميدان القتال في طرابلس، وفي منتصف يناير 1912م قال السيد أحمد الشريف كلمته لأهل طرابلس وجميع العرب، فأصدر نداءه المشهور يحث فيه الطرابلسيين والبرقاويين، وأهل ليبيا على الجهاد ضد العدو المعتدي ويعلن فيه نبأ اعتزامه النزول بنفسه الى الميدان على رأس قوة من المجاهدين كبيرة. وقد نقش نداء أحمد الشريف على راية من الحرير حملها المجاهدون في طرابلس من مكان الى آخر بين القبائل الضاربة في الجنوب خصوصاً، فكان من أثر هذا النداء (النداء) أن تدفقت جموع المجاهدين على المعسكرات العثمانية في العزيزية وغريان، وعلى مراكز العرب في (سنيات بني آدم)؛ فكان المعسكر في (السنيات) بعد ذلك يعج بجموع المجاهدين من الزاوية والعجيلات ، وزنزور، ومصراته، وصرمان، وأولاد يوسف، واورفله، وغريان، والجبل، والعزيزية، وأولاد سليمان، ومجاهدي فزان والتوارق. ثم ولم يكتف احمد الشريف بذلك بل أعد نجدة خاصة لتعزيز قوات المجاهدين في العزيزية، وفي 25 مارس 1912م وصلت نجدات احمد الشريف الى العزيزية مسلحة بالبنادق والحراب والسيوف، وتحمل معها نبأ تحرك نجدات اخرى، لاتزال تجد السير في طريقها الى معسكر المجاهدين، وكان يوم وصولها يوماً مشهوداً في تاريخ الجهاد في طرابلس.

وقد اعترف السلطان العثماني نفسه بهذه الجهود التي قام بها أحمد الشريف السنوسي، فأهداه في هذا الشهر

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص292.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص126.

(3) انظر: جهاد الابطال، ص187.

نفسه (مارس 1912م) سيفاً ونيشاناً مرصعاً بالجواهر مكافأة وتقديراً لجهود أحمد الشريف.
بيد ان جهود الحركة السنوسية كانت أكثر وضوحاً وأعمق أثراً في سير الجهاد ضد إيطاليا في برقة وهذا ما سنأتي على بيانه بإذن الله تعالى(1).

لقد اصبح العدو في حيص وبيص، ولم يتمكن من احتلال الدواخل بعد الثغور التي احتلها الاسطول، واضطرت ايطاليا الى إعادة حساباتها ، ولكي لاتظهر إيطاليا أمام المجتمع الأوروبي السياسي منهكة، وأن قواتها غير قادرة على اخضاع ليبيا لسيطرتها، ولإخفاء فشلها لجأت الى إصدار بيان تعلن فيه ضم ليبيا إليها وهدفت من ذلك البيان عدة أمور منها:

- إقناع الدول الأوروبية بأن إيطاليا قد ملكت زمام الأمر في ولاية طرابلس.
- وضع الامبراطورية العثمانية أمام الأمر الواقع، وإجبارها على الاعتراف بسيادتها على ليبيا.
- إيقاف المعارك الحربية لأنها ستصبح غير قانونية، أو شرعية في مواجهة الدولة الايطالية صاحبة السيادة الجديدة(2).

إن قرار الضم الذي أعلنته إيطاليا ، جعل الدولة العثمانية تعلن احتجاجها عليه، وعدت ذلك خرقاً صريحاً، للقانون الدولي، وقد استندت الدولة العثمانية الى نجاح المقاومة الجهادية، وعجز القوات الايطالية عن تحقيق أي نصر(3).

وابرق السلطان في 2 اكتوبر الى ملك انكلترا وإمبراطور ألمانيا وحكومات أوروبا ، ورئيس الجمهورية الفرنسية، وبقية الملوك والقياصرة يطلب منهما فض النزاع القائم، وحقن دماء البشر، ولكن بدون جدوى، فقد اعتذرت كل هذه الحكومات عن التدخل(4) وبذلك تكون الحملة الدبلوماسية المكثفة التي قامت بها الدولة العثمانية قد فشلت.

فقد تخلت الدول الأوروبية كلها عن الدولة العثمانية، بدءً بفرنسا التي أصدرت بياناً أعلنت فيه حيادها وعدم قدرتها على التوسط لإنهاء الحرب في الوقت الراهن، وسارت روسيا على نفس النهج، أما بريطانيا فرغم حساسية موقفها ، لاسيما، أمام رعاياها في العالم الاسلامي ، فإنه لم يطل ترددها لتعلن هي الأخرى ما أسمته بالحياد، ولكنه ليس حياداً بالمعنى الصحيح إذ أنها أرغمت مصر على الحياد، وهذا فيه مساعدة لحكومة ايطاليا المعتدية(5).

لم يتمكن الايطاليون التقدم شبراً إلا بدفع ثمن باهظ، وبعد جهد جهيد ، وتحمل الخسائر الفادحة، والضربات القاسية، ومعاناة الشدائد والأهوال تمكنوا بفضل قواتهم العديدة، والأسلحة الفتاكة ، ومعاونة الأذناب من الاستيلاء على بعض أماكن في دواخل البلاد، كالخمس ، ومصراته وزليتن وورفله، وترهونه، وزواره، ثم تمكنت القوات الايطالية من الوصول الى هون ثم فزان، واستسلم بهذه المحلات المستضعفون من الرجال والنساء والولدان الذين لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وأما الباقون فقد انسحبوا الى أماكن أخرى أمامية لمواصلة القتال، وقد استعمل الايطاليون كافة الأساليب الوحشية في المواقع التي احتلوها خصوصاً في مدينة طرابلس(6).

ولقد خلد التاريخ المعاصر أسماء المعارك التي قام بها الاجداد ضد ايطاليا في المنطقة الغربية من ليبيا من أهمها؛ معركة طرابلس بتاريخ 8، 9، 10/ 1911م وكذلك في تاريخ 21، 22 يناير 1912م، معارك الخمس

---

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص127،126.

(2) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر، ص53.

(3) المصدر السابق نفسه، ص54،53.

(4) انظر: السنوسية دين ودولة، ص118.

(5) انظر: حروب البلقان ، ص75.

(6) انظر: برقة العربية ، ص293،292.

بتاريخ 17-21 اكتوبر ، 1 ابريل 1912م معركة الهاني شارع الشط، معركة الهاني ابومليانة، معركة الهاني سيدي المصري، معركة قرقارش، معركة ابي كماش، معركة لبدة، معركة تاجوراء(1)....الخ وكانت مابين عام 1911م الى عام 1912م ولاشك أن هذه المعارك تحتاج الى دراسة تفصيلية، ولعل أحد ابناء هذا البلد الطيب يقوم بذلك.

خامساً: جهاد قبائل المغاربة البطولي:

استمر العدو الايطالي في زحفه حتى وصل سرت وهناك توقف سيره، وأرسل دعاته لاستعمال الحيل والدسائس كي يستميل بها قبائل المغاربة التابعة لزاوية النوفلية السنوسية مستغلاً فرصة حاجة تلك القبائل للمؤنة، والملابس، فكاتب القائد الايطالي الذي احتل سرت شيوخ قبائل الرعيضات (المغاربة) موعداً إياهم أن قواته لاتخرج من سرت وعليهم أن يأتوا السوق لشراء مايحتاجون إليه على شرط أن لايعتدي كلا الطرفين على الآخر، فاغتنم الأهالي هذه الفرصة في شيء من الحذر واليقظة ، وأرسلوا الى اخوانهم بجدابية أن يأتوا بقوافلهم الى هذه السوق، فيشترون المأكوت والملابس، وأراد المغاربة أن يحققوا هدفين:

1. إخراج الزعيم سيف النصر، وأبنائه عبدالجليل ومحمد وسليمان وأخوانهم جميعاً، وقد وقعوا في الأسر بعد احتلال الطليان لواحات هون وتم اعتقلالهم بزوراه، فكانت احدى شروط المغاربة الاتيان بهم، وقد جاء بهم الطليان الى سرت استغلالاً لنفوذهم وربما يتمكن بواسطتهم من أي عمل كان ولكنهم خلصوا منه وألتحقوا بمعسكر المجاهدين المغاربة.
2. استفاد المغاربة من السوق في سرت، واشتروا كميات ضخمة من المؤن استفادت منها قبائل برقة الغربية.

وأراد الطليان الغدر والخيانة والوثوب على غرة، وهاجم العدو زاوية النوفلية ، واشتبك مع المغاربة في قتال عنيف اسفر عن احتلالها بعد خسارة عظيمة وكان من بين الشهداء يومئذ الشيخ السنوسي الاطيوش، ومن بين الجرحى عبدالله بن ادريس وقد أبلى كل منهما بلاءً حسناً ثم ألتحمت المعركة الثانية بين الفريقين بموقع الخدة وتلتها معركة العويجة وتوالت المعارك ليلاً ونهاراً، وكل فريق من المتحاربين نال نصيبه من الكر والفر والربح والخسارة، فكانت هذه المعارك مدعاة لإثارة روح الهمة والنشاط والأمل بين المجاهدين في الجهات الاخرى، وجعلت أولئك الذين قدر لهم أن يكونوا تحت الطليان يتأهبون للقيام من جديد سيما قبائل أولاد أبو سيف، ففي هذه الأثناء كتبت هذه القبائل ومن حولها الى أحمد الشريف يطلبون منه ايفاد نائباً عنه - يلتفون حوله وينظم صفوفهم، فعين أحمد الشريف أخيه صفي الدين السنوسي نائباً عنه لربط المعسكرات السنوسية بطرابلس والاشراف عليها، كما عين أخيه محمد عابد السنوسي نائباً عنه بمنطقة فزان(2).

سادساً: المجاهد الكبير القائد الشهير صفي الدين السنوسي:

توجه صفي الدين في يوم 13 جمادى الأول عام 1333هـ، وترك اجدابية ليتولى القيادة في الجهات الغربية، فكان لتعيينه فرحة عظيمة لدى القبائل المنضوية تحت لواء الحركة السنوسية، وهي ترى زعمائها يقودون الجيوش بانفسهم، ويتولون الاعمال، ويخوضون ميادين القتال، واستقبلت القبائل في المنطقة الغربية صفي الدين لتشد من أزره وتقوي عزمه، وكان على رأس المستقبلين عبدالله بن ادريس، ثم توجه الى معسكر المجاهدين وكان في استقباله صالح باشا الاطيوش، وتولى الاشراف على أمور المعسكر والمجاهدين، ورتب الأعمال، ثم غادر معسكر المغاربة متجهاً الى معسكر حمد بك سيف النصر، وفي معيته، كل من الشيوخ، صالح البسكري، ومصطفى منينه، ورويفع بن ادريس، وعبدالعزيزصهد، وبعد وصول صفي الدين، علمت إيطاليا بوصول نائب احمد الشريف الى جهات سرت من طرابلس، فاستعدت بحملة عظيمة لملاقاته وصده عن مواصلة سيره ، إن لم تتمكن من القبض عليه، فعملت كل ماتستطيع عمله من تجهيز هذه الحملة، وتزويدها، بأقوى الاسلحة، فاندلعت

(1) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر، ص60،59، ويمكن الرجوع الى جهاد الابطال ففيه تفصيل لبعض المعارك.

(2) انظر: برقة العربية ، ص294.

معركة عظيمة بين القوات السنوسية والايطالية بموقع (أبي هادي) وكان صفي الدين في مقدمة المجاهدين مصحوباً بابطال الجهاد منهم؛ حمد بك سيف النصر، وعبدالله بن ادريس، وصالح باشا الاطيوش، وأحمد التواتي، وغيرهم من البواسل واستمرت المعركة بشدة وعنف عدة ساعات انجلت عن خسارة الايطاليين خسارة فادحة في الأرواح والعتاد ، ولم يبقى من جيش ايطاليا إلا النزر اليسير ، وقد وصف الشعراء هذه المعركة ، ومن بين هؤلاء الشعراء عبدالله ادريس، وقد جمعت قصيدته أسماء بعض المعارك التي حصلت وقتذاك قبل معركة أبي هادي فقد قال:

سطع الضياء بكوكب الإقبال
بالفتح والتعظيم والإجـــلال
والدين جدد بعد ضعف واحتمى
والكفر في محو وفي اضمحلال
والنور (لاح ببرقة) وكأنه
بدر مضى في سماء عـــــــال
والنصر من رب البرية لم يزل
يحمي الحمى ويزيد في الاقبال
هنئت يابطل الخلافة بالذي
تبغيه من نصر على الجهـــال
فلك البشارة قد أتت من أول
بالفوز والفتح المبين العـــال

الى أن يقول:

ذاك الذي نصر الشريعة أحمد
نجل الرسول وصفوة الابطال
لازال في الاسلام حضامانعاً
يحمي الديار من العدو الجالي

الى أن يقول:

لما رآءه مصمماً ومحارباً
والصلح لايبغيه بالأموال
قال الفرار وليس لي من حيلة
وتبدلت أحواله في الحال
من (ساحة الفزان) ولى راجعاً
في خزية ومذلة ووبال
من (مرزق) ولي و (سوكنة) التي
هي موضع الارزاق والأموال
نكب العدو وقال مالي حيلة
أخذت جميع مدافعي وبغالي
ياحسرة إني تركت مدائني
ورأيت مالم يخطر ببـــــالي

ماكنت أحسب أن (برقة) هكذا

فيها رجال الحرب أي رجال

إن (المغاربة) الذين هم بها

جاءوا بيوم في ربيع تـــــال

وكذا الذين (بخشة) ورفاقهم

نالوا الثناء بهمة وقتـــــال

نالوا الفخار بجمعهم في (خدة)

للقا العدو الماكر المحتـــــال

الى أن يقول:

يوم (العويجة) انذر الطليان

أن الشعب شعب كريهة ونزال

فتعددت أمواتهم وتمزقت

أشلاؤهم في الحل والترحـــــال

من بعده ركبوا (البحار) وأقفلوا

متخاذلين تخاذل الأنـــــذال

الى أن يقول:

أما (العواقير) الكرام (ببرقة)

قد خلدوا الآثار للأجيال

وكذا (البراعصة) الذين هم هم

قد ايدوا الأقوال بالأفعال

أبنا (عبيد) في الجهاد كأنهم

أسد اتت لحماية الأشبال(1)

كانت تلك الانتصارات التي حققها السنوسيون، محل الاعجاب والتقدير من ابناء ليبيا المخلصين، ولذلك اتصل كثير من القادة والشيوخ بصفي الدين ، وكان رمضان السويحلي على رأس أولئك الأبطال المغاوير، ولذلك اتصل بصفي الدين السنوسي واتفق معه على أن يعمل جهد المستطاع للاتصال بهم دائماً، وعمل على دعم المجاهدين السنوسيين بالمؤن، والبضائع من سوق (مصراته)، وشارك مع صفي الدين السنوسي سراً في معركة (أبي هادي) وأبلى هو ورفقائه بلاءً حسناً، وأصيب أخوه حمد بجراح(2).

اشتدت الضربات القوية على القوات الايطالية، وخشيت على سمعتها العسكرية وأخذت تعد العدة من جديد للقضاء على المعسكر السنوسي.

وقام الشيخ صالح الاطيوش بتجنيد أهالي (الخشه) ، من المغاربة واتباعهم، كما قام عمر سيف النصر بتجنيد قبائل أولاد سليمان واتباعهم، وقام عبدالجليل سيف النصر بتجنيد قبائل القذاذفة، وقام محمد علي الشفيع بتجنيد قبائل الفرجان، والهماملة ومعدان، استعداداً لمعركة اخرى عرفت في التاريخ باسم معركة القرضابية.

---

(1) انظر: برقة العربية، ص297،296.

(2) انظر: برقة العربية، ص297.

سابعاً: معركة القرضابية:

جمع الطليان قوات كبيرة وأرغموا سكان السواحل، التي يحتلونها بالانضمام الى قواتهم، وكان على رأسهم رمضان السويحلي زعيم مصراته، فالتقوا بالمجاهدين عند القرضابية، أو قصر بوهادي، وكان رمضان السويحلي على مايبدو قد اتفق مع السنوسيين على أن يندس بقواته مع الجيش الايطالي الذي كان يقوده الكلونيل (ماني) يقول الشيخ الطاهر الزاوي: (وقد تواترت الأخبار عمن لهم صلة برمضان بأنه كان يعتزم الانقلاب على الجيش الإيطالي إن لم يوافق المجاهدون على الصلح، وقد صرح رمضان بهذا للشيخ محمد بن حسن حينما قال له -والجيش على أهبة الخروج من مصراته- كيف تحارب اخوانك المسلمين؟ فقال له رمضان : أنا ذاهب لدعوتهم الى الصلح، فإن امتنعوا فسأنقلب معهم على الطليان ، واعتزام رمضان الانقلاب على الطليان لايشك فيه إلا مكابر)(1).

وبدأت المفاوضات بين الجيش الايطالي والسنوسي، من أجل الصلح، وقام العقيد مياني بإرسال وفد من زعماء العرب يتكون من اربعين فارساً، ولما وصل الوفد الى الجيش السنوسي رفض الرجوع ، وكان ذلك في 11 جمادى الثاني سنة 1333هـ ورجع بعض الافراد الى القوات الايطالية.

خدعة حربية من المجاهد الكبير صفي الدين:

أمر صفي الدين حمد بك سيف النصر بأن يعلن جهاراً بأنه سيغزو ورفلة، وسرعان ما وصل الخبر الى العدو بواسطة الاشخاص الذين عادوا من المعسكر ، وبعض الجواسيس ، فاتفق رأي القائد الايطالي وأركان حربه أن يرجع عبدالنبي بالخير بقواته للدفاع عن ورفلة قبل أن يصلها سيف النصر وبذلك خسر القائد الايطالي هذا القسم من قواته وقائده عبدالنبي ، وقبل اندلاع المعركة اعلن صفي الدين بأن الليبيين الذين مع الجيش الايطالي هم مع المجاهدين وسوف ينقلبون على القوات المعتدية، وارتفعت الروح المعنوية لدى المجاهدين السنوسيين، وعندما سمع (مياني الخبر) جرد الليبيين من السلاح وكلفهم بنقل المؤن فقط، ووضع الاعيان بسيارات خاصة، وبذلك خسرت القوات العربية، اضافة الى جيش وروفله وتقدمت قوات احمد سيف النصر يقتفي أثرها خلسة، فكان يختفي بالنهار ويقتفوا أثرها ليلاً وكان من المؤكد عند الطليان أن أحمد سيف النصر ذهب بقواته ليغزو ورفله وقدر الله تعالى وصول قوات جهادية الى المعسكر السنوسي بعث بها صالح باشا الاطيوش من جهة الخشة، كما وصل عبدالجليل سيف النصر وأخيه عمر بنجدات أخرى، واشتبك الفريقان في معركة طاحنة يوم 14 جمادى الثانية 1333هـ، وقد سيطر بادئ الأمر الطليان حتى كادوا أن يحوزوا الراية السنوسية، وعندها باغتهم احمد سيف النصر من الخلف واشتدت المعركة حول العلم السنوسي، فأنقذ بعد أن استشهد الكثير من المجاهدين حول البيرق السنوسي(2)، واستطاع رمضان السويحلي في تلك اللحظات الحرجة أن يصل الى جنوده من مصراته وأصدر أوامره بإطلاق النار على الطليان، فأطلقوها عليهم من الخلف، فكانت بداية النهاية، فحاص الجيش في بعضه حيصة الحمر، ورجعت اولاه على أخراه، واختلطت خيله برجله، وارتكس بعضه في ذلك الجيش ولم ينج منه إلا 500 جندي(3)، ونجا العقيد اميانى الى سرت مجروحاً مع من بقي من جيشه ، وبقي في مكان المعركة كل ماكان مع الجيش من معدات الحرب وعتادها: من إبل وخيل، وبنادق ، ومدافع، ورشاشات(4)، ومن بين ماغنمه المجاهدون صحيحاً اثنى عشر مدفعاً من مدافع الميدان، وعشرين مدفعاً رشاشاً ، وسبع سيارات ، وعشرون ألف بندقية، وقسماً عظيماً من الذخيرة وقسم المستشفى العسكري بجميع معداته، وجميع المؤن(5).

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص153.

(2) انظر: برقة العربية، ص300.

(3) انظر: جهاد الابطال، ص155.

(4) المصدر السابق نفسه، ص155.

(5) انظر: برقة العربية، ص300.

وكان أفظع مايقع عليه نظر الانسان تلك الأكوام من الجثث البشرية، وبمجرد وصول إمياني الى سرت جرد جميع العرب من الاسلحة وعقد مجلساً عسكرياً وحكم بالاعدام على كثير من السكان ومن أبناء العرب الذين ألتجأوا الى سرت وفي مقدمتهم من الاعيان والرؤساء ، والحاج محمد القاضي من مسلاته، والحاج محمد بن مسعود من قماطة، وحسونة بن سلطان، وأبوبكر النعاس، وأحمد بن عبدالرحمن من ترهونة، وقتل من غيرهم نحو سبعمائة، وأصدر أمراً بالقتل العام، فصار الجند يقتلون الناس في الشوارع وعلى أبواب البيوت، ويربطون العشرة والعشرين في حبل واحد ثم يقتلونهم، ورمى كثير من الناس بأنفسهم في البحر فراراً من التمثيل بهم، فكان منظراً مريعاً، وبعثوا الى روما نحو ألف أسير أكثرهم من السكان والحمالين الذين استأجروا جمالهم[1]، وبدأت قوات المجاهدين في تطهير البلاد من الأنجاس المعتدين، وتركت الحاميات الايطالية، حصونها بسهولة وهامت على وجهها عبر التلال والسهول المحرقة الجافة، وحررت مزدة، والقصبات، وسرعان ماوصل المجاهدون الى بن غشير، على بعد 15 ميلاً من طرابلس، وصدرت الأوامر للايطاليين بالانسحاب الكامل الى الساحل وقضي على حامية ترهونة كلها أثناء هروبها الى البحر، واستسلم ألف إيطالي في بني وليد بدون مقاومة، وانسحبت حامية غريان الى العزيزية ، ثم اجبرت على الانسحاب بسرعة الى طرابلس وأخليت مصراته وزوارة[2].

لقد كانت القيادة الفعلية لمعركة القرضابية للسيد المجاهد الشهير صفي الدين السنوسي والقادة السنوسيين الذين معه وقد ساندهم مساندة فعّالة المجاهد رمضان السويحلي بجنوده وانضم معهم في الوقت المناسب.

وقد تفجرت ملكات الشعراء بسبب انتصار المجاهدين في القرضابية، فهذا الشاعر محمد عبدالله معتوق المصراتي يصف شجاعة المجاهدين في القرضابية ويمدح رمضان السويحلي على موقفه البطولي في المعركة فقال :

وقفت وقفة ابطال وشُجعان
تجابه الغزو في صبر وإيمـــــــــان
يوم الخليج وماسددت من خطط
كانت دماراً لمن عن أرضنا جـــــان
لما وضعتم حشود الخصم في قفص
مابين بحر وصحراء ونيران
حمى الوطيس وطيس الحرب ملتهباً
والنار تلفح من قاص ومـــــن دان
وللعزائم من آلامها خَورُ
يستوي عزائم الابطال وشجعــــان
خاضوا المعارك في صبر وفي جلد
وقاوموا في حماس كل طغيـــــــان
سدوا المنافذ عن أعداء أمتهم
فصيروهم حيارى شبه قطعـــــــان
البحر يحجزهم والنار تلفحهم
والخصم يطحنهم في غير إمعـــــان

(1) انظر: جهاد الابطال، ص156.

(2) انظر: جهاد الابطال، ص157 الى 171.

خرت جحافلهم في مأزق خطر

لم يبق منهم سوى اشباح إنســـان

ناموا على جثث الأموات يدفعهم

حبّ الحياة الى خزي وخـــــذلان

عادوا (لمصراته) والحقد يدفعهم

شنوا عليها هجوما غير إنســـان

كم أحرقوا من ضعاف من ملاجئهم

ويوم ماطوس عنها خير برهــــان

كم علقوا من بريٌ فوق مشنقة

وقتلوا من شهيد فوق كثبـــــان

وفي السجون رجال مالهم

والشعب يرزح من ظلم وعدوان

كذلك ترايخ يامن له جهلوا

وذاك تاريخ ليث الحرب رمضان(1)

لقد حقق المجاهدون انتصاراً عظيماً على ايطاليا ولولا الشقاق، والخلاف، والنزاع الذي وقع بين رمضان السويحلي وصفي الدين السنوسي لأصبح الجهاد أمراً آخر، ولهزم الايطاليون عن بكرة أبيهم ، وأسباب الصراع المذكور تحتاج الى تقصي وبحث يصعب على مثلي الوصول إليه، ولهذا أعرضت عنه صفحاً، أن الخوض في هذه النزاعات يخالف النهج الذي سرت عليه (من توسيع النقاط البيضاء في تاريخنا وتضييق النقاط السوداء)، ولقد تعرض بعض المؤرخين لهذا الخلاف منهم، الطاهر الزاوي، ومحمد مسعود فشيكة، ومحمد الطيب الاشهب، وبعد اشتداد الخلاف والنزاع بين رمضان وصفي الدين، اصدر الوكيل العام للسيد احمد الشريف (سمو الامير) إدريس السنوسي أمراً الى صفي الدين بالعودة من طرابلس الى برقة وأن يترك الأمر بعد تطهير اكثر البلاد من الطليان أطفاءً للفتن وحقناً للدماء(2).

وأما بالنسبة لجهاد الجنوب في فزان والجفرة والنواحي الغربية من فزان، فقد تولى قيادتها محمد عابد السنوسي نائب احمد الشريف، وقد اتخذ مركزه بزاوية (واو) ويتبع هذه القيادة ثلاث معسكرات احدهما يراسه وكيل محمد عابد وكبير مستشاريه الشيخ محمد الاشهب، أما المعسكر الثالث بالجهات الغربية الشمالية من فزان يراسه الشيخ السني، ويشرف على الادارة العامة محمد علي الاشهب، فاشتركت هذه المعسكرات في المعارك الدموية مع الطليان بالجفرة وفزان وقد كانت هذه الجهات بيد العدو(3)، واهتم احمد الشريف بأمر فزان واتخذ

---

(1) انظر: رمضان السويحلي، محمد فوشيكه، ص91،90،89.

(2) انظر: برقة العربية، ص302.

(3) المصدر السابق نفسه، ص303.

من (زلة) قاعدة للإغارة على إمدادات الايطاليين بفزان وحدث أول هجوم في 26 اغسطس عندما أبيد طابور كان يسير عبر حمادة، وكانت تلك الحادثة بداية النهاية لاحتلال فزان الذي دام قليلاً وبإنقطاع ، الامدادات عن القوات الايطالية في فزان احاطت بها القوات الاسلامية الليبية المجاهدة، وشاركت في تلك المعارك قوات المجاهدين من قبائل التبو والطوارق، واستطاعت قوات المجاهدين أن تقضي على حامية (ادرى) و(أبارى) وفتحت قلعة سبها، وسقطت مرزق، ولجأت قوات الايطاليين في غات الى جنوب الجزائر وطلبت حماية الفرنسيين، ثم تراجعت القوات الايطالية الى سوكنة ثم مصراته، وتخلوا عن غدامس، وغريان، وأعلنت طرابلس حالة الطوارئ[1]، وكان من أعيان فزان الذي قاد الجهاد المقدس ضد إيطاليا المجاهد الكبير محمد بن عبدالله البوسيفي ، ونازل أهل فزان القوات الايطالية في ثلاث معارك مشهورة في (الشبب) و(أشكدة) و(المحروقة) واستشهد فيها محمد بن عبدالله البوسيفي رحمه الله تعالى[2].

وقاد سالم بن عبدالنبي الزنتاني حرب عصابات ناجحة في ولاية فزان، واثخن في أعداء الله، وهاجم القاهرة وهي ربوة عالية في سبها يوجد بها حصناً، وسياجاً من المدافع والاسلاك الشائكة وأصبحت تلك القلعة منيعة جداً، واستطاع سالم عبدالنبي فتحها بقواته عام 1914م، لقد أبلى أهل الجنوب من مسلمي ليبيا بلاءً حسناً في جهادهم البطولي ضد إيطاليا ، مما يدل على آصالتهم، وحبهم لدينهم وبغضهم لكل محتل عنيد.

ونتيجة للفتنة التي ذكرتها أمر السيد محمد ادريس محمد عابد أن ينتقل بقواته نحو الكفره[3].

المبحث الرابع

الجهاد في برقة

في 24 من شهر شوال 1329هـ الموافق 19 أكتوبر 1911م وقف الاسطول الايطالي بميناء بنغازي الآمنة العزلاء وقذفها بوابل من قنابله في غير شفقة ولا رحمة وفي 22 من الشهر وقف بميدان درنه، وبعد التمهيد بقذف القنابل انزل بها قوة عسكرية وسرعان ما طير الخبر الى الشيخ المجاهد احمد الشريف بالكفرة، فامر بالوقوف في وجه المعتدي ، والاستعداد لقتاله والتضحية في سبيل الوطن بالنفس والنفيس، وكتب الى رؤساء الزوايا في برقة وطرابلس والى شيوخ وأعيان القبائل يأمرهم بالدفاع ويحثهم على الجهاد، وكاتب الملوك ، والأمراء وزعماء العالم الاسلامي طالباً منهم الوقوف مع إخوانهم المسلمين في ليبيا ضد العدوان الصليبي الغاشم ، وفي شهر رجب سنة 1330هـ/1913م تحول من الكفره الى الجغبوب ليكون قريباً من ساحة الوغى.

استطاع الايطاليون احتلال كبريات مدن ليبيا الساحلية، كطرابلس ودرنة وطبرق، وكانت الحامية العثمانية في بنغازي تحت قيادة القمندان شكري بك في منتهى الضعف فلا تستطيع أن تحمي نفسها فضلاً عن كونها تدافع عن البلاد التي كان احتلالها في رأي المحتلين والاوساط السياسية في أوروبا أمراً مفروغاً منه.

أخذ متصرف بنغازي فؤاد مراد بك يعقد اجتماعات مجلس الادارة ويتشاور معهم وكان وقتئذاك رئيس الزاوية السنوسية ببنغازي هو أحمد العيساوي، فطلب منه المتصرف أن يحضر جميع الاجتماعات التي تعقد.

لقد جاهد أسود مدينة بنغازي شيباً وشباباً عن مدينتهم دفاعاً مجيداً، فأظهروا من البطولة والشجاعة النادرة،

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا جون رأيت ، ص127،128.

(2) انظر: قادة فتح بلاد المغرب، محمود خطاب (290/2).

(3) انظر: برقة العربية، ص303.

ماجعلهم محل التقدير من كل المسلمين، وسجلوا صفحات مجيدة خالدة بماء الذهب في سجل التاريخ، وقد ساهمت القبائل القريبة من مدينة بنغازي في الجهاد، وأول من وصل منها قبيلة العواقير ومن معهم، وقام أهالي بنغازي بأكرام المجاهدين، رغم وجود الامتعة والزاد الكافي، فأكرموهم غاية الاكرام، وفتحت الحكومة العثمانية مخازن الاسلحة وكانت جلها بنادق لاتزيد عن أربعة آلاف بندقية وشرع المجاهدون في مهاجمة العدو الغاشم وكلفوه خسائر في الأرواح واستشهد الكثير من ابناء المسلمين وتعرف هذه المعركة بواقعة (جليانه) ثم بعد يومين من ذلك انقض المجاهدون على الايطاليين بموقع الصابري وقاتلوهم قتالاً عنيفاً، وغنموا منهم اسلحة كثيرة، وبعد ذلك بيومين كانت واقعة السلاوي الشهيرة، وكان يقود المجاهدين الشيخ عبدالله الاشهب ، فأظهر شجاعة فائقة، وقدرة نادرة ، ورأياً سديداً في توجيه قوات المجاهدين، وتحميسهم للجهاد، وحقق المجاهدون انتصاراً رائعاً، وغنموا جميع ماكان مع الايطاليين في الميدان من المؤن، والعتاد الحربي، وكان عدد الشهداء كثيراً، وبعد واقعة السلاوي ألتحم المجاهدون في معركة حامية الوطيس مع العدو بقرب البركة بالموقع المعروف بـ (هوى الزرده) فأستشهد فيه الكثير من المجاهدين ومن بين الشهداء مائة وخمسون شهيداً من قبيلة واحدة هي عائلة إبراهيم العواقير عدا شهداء أهل مدينة بنغازي وبقية القبائل الاخرى، ولقد أظهر سكان مدينة بنغازي من أصناف البطولة، والكرم الفياض، والصبر العجيب ، والثبات النادر، والشجاعة العظيمة ما أثار إعجاب اخوانهم من القبائل(1).

وبدأت النجدات العسكرية تتوافد الى مدينة بنغازي بتحريك شيوخ الحركة السنوسية، فوصلت كتيبة قبيلة العرفا، وعددها ثلاثمائة مسلح يقودها الشيخ عمران السكوري، وتلتها بقية النجدات التي جاء بها زعماء القبائل، وشيوخ الزوايا من كل حدب وصوب:

- الشيخ عبدالله الأشهب وكيل رئيس زاوية مسوس، ورؤساء قبائل العواقير.
- الشيخ محمد علي عبدالمولى رئيس زاوية أم شخنب، ورؤساء قبائل ابراهيم العواقير.
- الشيخ الحسن الغماري رئيس زاوية دريانة وقومه من العواقير.
- الشيخ التواتي الكليلي رئيس زاوية طلميثة وقومه من الدرسا.
- الشيخ محمد علي المحجوب، رئيس زاوية الطيلمون مع مطاوع العواقير.
- الشيخ محمد الزروالي رئيس زاوية القطفية ومعه قومه من شوامخ المغاربة.
- الشيخ محمد علي الغماري رئيس زاوية اسقفة وقومه من البراعصة والدرسة.
- الشيخ محمد ابو نجوى رئيس زاوية ميراد مسعود وقومه من الدرسا.
- الشيخ عمر المختار رئيس زاوية القصور وقومه من العبيد.

كانت النجدات مؤلفة من قبائل العرفا، والدرسا، والبراعصة، والعواقير، والمغاربة، والعريبات، وزوية، والقبايل، والمسامير، والجرارة، والفواخر. ومن هذه القبائل، او منتمياً لها أو مجاوراً أو مرتبطاً بها قد وصلت في اسرع مايمكن بقيادة زعماء وشيوخ القبائل، وشيوخ الزوايا وهؤلاء السادة جمعوا الجموع تلبية لنداء القائد الاعلى للحركة السنوسية ، وتقرر أن يكون موقع معسكرهم ومقر قيادتهم في بنينه شرق بنغازي أكثر من عشرين كيلومتر ، فقد صح فيهم قول الشاعر:

تلاميذ لايعدون أمراً أراده

بواد وأشراف تبيد الاعاديا

كتائب أمثال الجبال رزانة

وان حملت خلت الهضاب جواريا

---

(1) انظر: برقة العربية، ص257،258.

أولئك أقوام على الموت بايعوا

مبايعة أضحى بها الصبر راضيا(1)

وشرع المجاهدون في مهاجمة معاقل الايطاليين بشدة، وعنف يقول الأمير شكيب ارسلان: (وفي 12 مارس جرت وقعة الفويهات الشهيرة وكان سببها أن 200 عربي دخلوا بين استحاكمي الفويهات والبركة، فثار في وجوهم الطليان واشتدت الحرب واحاط الطليان بهذه المائتي مجاهد من العرب.. فلبث هؤلاء العرب يقاتلون مستميتين الى الظلام وعند ذلك نجا منهم ولحقوا بالمعسكر العربي بعد قتال استمر طول النهار، ويقال أنه نجا 80 رجلاً من المائتين.

وأما الطليان فقتل وجرح منهم ألف وخمسائة مقاتل منهم 28 ضابطاً برتب مختلفة، وجنرال برتبة لواء واصيب بالجنون عدة ضباط من هول تلك المعركة، وكانت هذه المعركة قد شقت كثيراً على العرب، وقامت النوادب تندب اولئك الابطال التي حالت مدافع الطليان دون إمكان نجدتهم، وبينما العرب في مأتم على قتلاهم ، وردت برقية من انور باشا القائد العام في درنة الى عزيز علي المصري قائد المجاهدين بنغازي عن برقة من الاستانة عن برقية من برلين عن برقية من رومة تفيد أن وقعة الفويهات هذه كانت من أشد المصائب على الطليان خسروا فيها ألفا وخمسائة مقاتل ومنهم ضباط كثيرون قتلى وجرحى ومنهم من أصابهم الجنون من هول ذلك اليوم)(2).

وفي شهر ابريل سنة 1912م خرجت حملة إيطالية بعدتها وعديدها مزودة بجميع أنواع السلاح وهاجمت معسكر بنينه، فأندلعت بين الفريقين معركة عظيمة، استمرت ساعات متتالية، تمكن العدو فيها من احتلال موقع المعسكر انسحب المجاهدون ثم باكر هذه المعركة ألتحم المجاهدون مع القوات الايطالية في معركة بموقع حلق الريح ولم يكن الفوز لأحد من الفريقين، رغم كثرة الأموات من الطرفين ، ومن شهداء تلك المعركة الشيخ موسى قرق عمدة قبيلة العمارنة، والشيخ جبريل العبيدي ثم عقب ذلك ألتحم الفريقان في معركة بموقع (حوش العكب) وذلك يوم 17 رمضان سنة 1330هـ، وكانت القوات الايطالية زاحفة نحو سلوق ولكنها فشلت في تحقيق هدفها، ومن بين شهداء هذه المعركة ابي زيد بن محمد الكزة، ومن بين الجرحى الشيخ عبدالحميد العبار، والشيخ يونس بن مصطفى أبي شنيف(3).

واستمر القتال في جميع انحاء برقة من بنغازي الى طبرق، وقد تمكن الطليان من احتلال بعض المراكز في الدواخل وبعد حصول معارك كثيرة وفي مواقع مختلفة ارسل الجنرال اميليو قائد القوات الايطالية الى شيوخ القبائل يطلب منهم ارسال مندوبين للدخول معهم في المفاوضات، وعندما وصل الوفد الايطالي الذي يحمل الكتاب الى المشايخ وصل السيد احمد الشريف الى موقع رويفع بن ثابت الانصاري المعروف بسيدي رافع، فكان رد شيوخ القبائل على الجنرال الايطالي، كالآتي:

حضرة...

وبعد نخبركم حضرتكم أننا أتصلنا بأعيان بنغازي واطلعنا على شروطكم المسطورة الواردة معهم من حضرتكم وقد أخبروا براحتهم مع دولتكم قبل وصول الأعيان جاءنا رسول من طرف الاستاذ الفاضل سيدنا

---

(1) انظر: برقة العربية، ص260.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص140.

(3) انظر: برقة العربية، ص266.

احمد الشريف يخبرنا انه وصل الى الجبل الأخضر بموقع سيدي رافع ويأمرنا بالحضور عنده بناءً عليه لايمكن الآن حضور أحد منا صحبة أعيان بنغازي حتى نتصل بشيخنا وأستاذنا. إن شيخنا المؤمي إليه نزل بساحتنا وطلب منا الحضور فلا يمكن التأخر عنه، وبعد الاجتماع به سيصدر من طرفه العالي كل مايلزم وبه يكون العمل وهانحن أخذنا كتابكم لعرضه عليه 15 جمادى الثانية سنة 1331هـ.

وكان الموقعون على هذا الكتاب الشيوخ الآتية أسماءهم:

عبدالسلام الكزة، إبراهيم المصراتي، عمر الاوجلي، علي الأوجلي، محمد الكاسح، خليل مصطفى، مفتاح ابو خزيم، علي محجوب، مصطفى خليل، ابوبكر القذافي ، مفتاح حسين ، جاد الله ابوزيد، حبيب الله اللواطي، رويله ابولطيف، مطرود ابو شنيف اللواطي، المبروك اللواطي، المبروك عمر(1).

أما جبهة الجبل الاخضر فقد كانت الكتائب السنوسية يقودها كل من :

- الشيخ محمد الدردفي رئيس زاوية شحات مع رؤساء ومشايخ قبائل الحاسة.
- الشيخ محمد الحسين الحلافي رئيس زاوية المخيلي.
- الشيخ صالح بن اسماعيل رئيس زاوية الفائدية مع رؤساء ومشايخ عائلة فائد.
- الشيخ محمد العربي رئيس زاوية القصرين مع رؤساء ومشايخ قبائل البراعصة.
- الشيخ عبدالقادر فركاش رئيس زاوية بشارة مع رؤساء قبائل العبيدات.
- الشيخ عبدالله ابو سيف رئيس زاوية مارة مع رؤساء قبيلة العبيدات.
- الشيخ الغماري رئيس الزاوية البيضاء مع رؤساء قبيلة البراعصة.
- الشيخ محمد الغزالي رئيس زاوية ترت مع رؤساء قبيلة العبيدات.
- الشيخ الحبيب بن جلول رئيس زاوية المرازيق مع رؤساء قبيلة العبيدات.
- الشيخ المرتضى فركاش رئيس زاوية أم الرزم مع رؤساء قبيلة العبيدات.
- الشيخ محمد العيساوي رئيس زاوية الحنية مع رؤساء قبيلة الدرسا.
- الشيخ السنوسي الغماري رئيس الزاوية الحمامة مع رؤساء قبيلة البراعصة والدرسا.
- الشيخ جاد الله الجبالي رئيس زاوية العرقوب مع رؤساء قبيلة البراعصة والدرسا.
- الشيخ محمد ابو فارس رئيس زاوية أم حفين مع رؤساء قبيلة العبيدات.
- الشيخ محمد بن عمور رئيس زاوية قفنطة مع رؤساء قبيلة البراعصة.
- الشيخ عبدالله سعد فركاش رئيس زاوية مرتوبة مع رؤساء قبيلة العبيدات.

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص268،267.

لبت هذه القبائل من السعادي والمرابطين نداء شيخ المجاهدين احمد الشريف وحضرت لقتال العدو تحت قيادة رؤساء زواياها وزعماءها وشيوخها الأسود.

وبالنسبة لمنطقة طبرق جمع شيوخ الزوايا، وزعماء العشائر القوات التي تأسس بها معسكر طبرق:

- الشيخ محمد الشارف رئيس زاوية أم الجرفات مع رؤساء قبائل حبون.
- الشيخ محمد عبدالله رئيس زاوية أم ركبه مع رؤساء قبائل القطعان والشواعر.
- الشيخ مرتضى الغرياني رئيس زاوية جنزور مع رؤساء قبائل العبيدات والمنافا.
- الشيخ صالح الشريف رئيس زاوية المرصص مع رؤساء قبائل العبيدات.

فتم تأسيس أربع معسكرات هي معسكر بنغازي ومعسكر الجبل، ومعسكر درنة، ومعسكر طبرق في وقت قياسي(1).

صممت الدولة العثمانية على المقاومة حفاظاً لماء الوجه، امام الرأي العام الاسلامي، فارسلت نخبة من ضباطها وقوادها المشهورين، لتقوية روح المقاومة والدفاع وتدريب المجاهدين وتعليمهم كيفية استعمال الاسلحة الحديثة والمعدات، وبدأت المساعدات المادية والمعنوية تتوافد على المجاهدين، وكان من ابرز القادة الاتراك الذين ارسلتهم الحكومة العثمانية كل من ، الرائد انور بك، ومصطفى كمال ، فتحي اوفيار، وخليل بك عم انور بك، فؤاد بولجاقاش باشي، سليمان العسكري، وعزيز علي مصري، أدهم باشا الحلبي(2).

أولاً : القائد التركي أنور باشا:

أرسلت تركيا أنور بك (باشا بعد) قائداً عاماً، ببرقة ، فوصل إليها من تركيا عن طريق مصر، ونزل بمنطقة درنة، فاتخذ منها مركزاً لقيادته، واتصل برؤساء الزوايا، وزعماء القبائل، وشرع في ترتيب المعسكرات إدارياً، وعسكرياً، تحت اشراف قادة المناطق، ومجالس من شيوخ الحركة السنوسية، وشيوخ القبائل الليبية، ووزعت القبائل نفسها على معسكرات الجهاد، وتكفلت كل قبيلة بالمؤن والخيل والسلاح، والرجال ، ويتناوب رجال كل قبيلة على المعسكرات بين كل خمسة أشهر أو ستة أشهر ونزل احمد الشريف الى الجغبوب مواصلاً دعمه الكبير لحركة الجهاد بكل مايستطيع. يقول أمين سعيد في كتابه الاستعمار الفرنسي والايطالي في بلاد العرب تحت عنوان السنوسيون في الميدان: (وأسرع السنوسيون في مقاطعة برقة عاصمتهم وسكانها من أتباعهم ومريديهم لتأييد الدولة وشد أزرها، يتقدمهم شيخهم الأكبر السيد أحمد الشريف وجاء شيوخ الزوايا للجهاد يقودون رجالهم فأبلوا البلاء الحسن في الكر والفر، وجددوا عهد المفاخر العربية، وأدهشوا العالم بما أبدوه من بسالة وشجاعة ... فقد اصلى السنوسيون نار هذه الحرب في برقة من الأول الى الآخر فكانوا رجالها وقوادها وكانوا آخر من جلا بعد أن فقدوا الجانب الأكبر من أقطابهم وشيوخهم)(3).

ومع مجيئ انور باشا لقيادة عمليات المجاهدين ضد ايطاليا في شرق ليبيا أصبحت الجبهة الشرقية، البرقاوية تشن هجومات مكثفة على الايطاليين ، وكان علاقة احمد الشريف بأنور بك علاقة قوية ومحترمة وكانت الرسائل لا تنقطع بينهما، ففي شهر ابريل سنة 1912م بعث احمد الشريف برسالة الى أنور بك، يظهر فيها تأييده

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص261.

(2) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر، محمود عامر، ص69، 71،70.

(3) انظر: برقة العربية، ص62.

للدولة العثمانية ، ويشكر أنور كثيراً لجهاده وقتاله للطليان ويعد بالنصر المبين من عند الله تعالى[1] ويذكر أنور بك في مذكراته أن رسالة وصلته في أوائل شهر يوليو من السيد أحمد الشريف يشكره فيها على جهوده وجهاده، ويحثه على المزيد، ويدعو الله لنصرة الاسلام وقهر أعدائه الايطاليين[2]، لقد بذل أنور باشا مجهوداً عسكرياً، وأخلص في حربه ضد إيطاليا وأحبه الشعب الليبي لنشاطه، وشجاعته النادرة، فكان محل تقدير الشيوخ وأعجابهم، وأحب أنور باشا المجاهدين الليبيين وأظهر أعجاباً بهم في مذكراته حيث يقول: (القبائل العربية ترسل لي مقاتليها ، ويأتون على شكل جماعات صغيرة، كل واحد يحمل سلاحاً قديماً على كتفه، رابطاً رصاصاته في حزامه وفي يديه بضع كيلوات من الدقيق، وبين القادمين مسنون بيض اللحى، وصبيان لم يبلغوا سن الخامسة عشرة. ان أعمارهم لاتمنعهم من مواجهة الموت مع رفاقهم جنباً الى جنب، لهم ايمان راسخ بأن أقدارهم مرسومة بارادة الله، فمهما يكن لن تتغير ، فاذا حان الاجل لن يتخلص منه أي مخلوق. ولهم قول مأثور رائع:

(إذا أراد الرب فلا مناص من الشهادة؛ فالشجاع يموت مرة واحدة، أما الجبان فيموت كل يوم مائة مرة)[3].

ويتحدث عن تشكيلات المجاهدين ودور المرأة في الجهاد فيقول: (.....وعلى الاغلب يكون هناك جمل واحد من نصيب كل عشرة مقاتلين، وعليه يحملون الخيمة التي يشتركون فيها، وترافقهم امرأتان من العشيرة تعملان على أعداد الخبز وخياطة الملابس، وتنظيف السلاح)[4]، ويتحدث عن اشتباك وقع بينهم وبين الايطاليين استمر لمدة تسع ساعات، حقق المجاهدون فيه نصراً عظيماً وكان من بين الجرحى مجاهدة اصيبت بقذيفة في صدرها رغم ذلك رفضت البقاء بالمستشفى وعادت الى الجبهة لتلهب معنويات المجاهدين[5].

ولقد تأثر أنور باشا بالمجاهدين وقال عنهم: مثال رائع وفريد للتفاني بدون قيد أو شرط[6]. وقال : تلاشت ذكرياتي عن حياتي الماضية، وأصبحت في طي النسيان، وأشعر كأنني لم أعاشر احداً غير العرب، ولم أشاهد، مكاناً غير الصحراء، رغم مااقضيه من ايام محرومة من كل شيء فإن هذه الحياة تولد لدي احاسيس غريبة، هذه الحياة تتخلها حوادث تسعدني كسعادة الطفل في العيد[7].

ولقد اعترف انور باشا بتأثير احمد الشريف على سير الحرب ضد ايطاليا فقال: (.... رسائله تشكل بصورة واضحة اهمية كبيرة بالنسبة لي كرمز للصداقة، ولأنه الشخص الوحيد الذي يتمتع بتأثير سلبي أو ايجابي في هذه الحرب....)[8].

ويتحدث بإعجاب عن شجاعة قبيلة الحسا وموقفها الصلب من الايطاليين فيقول: (استلمت اليوم الانباء الاولية من درنة، خسارة الايطاليين تفوق توقعاتي بلغت (800) قتيل وجريح، عثر الايطاليون على الجرحى الذين تخلينا عنهم والبالغ عددهم (21) ، اكثريتهم من رجال قبيلة الحسا، من ابناء جبل برقة، فقد أرسل الايطاليون رسولاً ليبلغهم : الموافقة على اطلاق سراح الجرحى اذا تخلى ابناء حسا عن الاشتراك في القتال، وكان رد القبيلة كالآتي: إنكم أتيتم لتدمير بلادنا، سنبقى أمناء لاوامر الله والسلطان، اتحدنا لنحاربكم، اعتبرنا الاسرى موتى منذ فترة وبكيناهم، ولكن كل ذلك مضى، وسواء اطلقتم سراحهم أم لا فسنحاربكم حتى آخر رجل، نوصيكم

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص33.

(2) المصدر السابق نفسه، ص33.

(3) انظر: مذكرات الضباط الأتراك، ص61،60.

(4) المصدر السابق نفسه، ص61.

(5) المصدر السابق نفسه، ص63.

(6) انظر: مذكرات الضباط الأتراك، ص75.

(7) المصدر السابق نفسه، ص77.

(8) المصدر السابق نفسه، ص81.

بمعاملة الاسرى بالحسنى ولاتنسو مافي أيدينا من رجالكم. أشعر بالفخر لكوني قائداً لمثل هؤلاء الرجال، ولأنني أحارب معهم في صف واحد...)[1].

ويتحدث بفخر عن المجاهدين فيقول: (جنودي شجعان مستمرون في تأدية واجباتهم ، هناك عائلة لم يبق من أفرادها غير الأب، قتل أولاده الاحد عشر، وصهره ؛ عندما قدمت له التعازي قال لي: إنني فخور وسعيد؛ لأنهم قتلوا في المعركة من أجل الوطن والدين)[2] لقد تأثر الضباط الاتراك لما رأو من شجاعة اجدادنا ، فهذا الضابط العثماني أمين بك الذي يبلغ من العمر ثلاثاً وعشرين عاماً يتحدث في رسائله الى زوجته عن مارآه في ليبيا نقتطف منها حديثه عن الشيخ لطيف بن طويلة فيقول: كان خطيبا بارعاً ، ومجاهداً قتل أولاده في طبرق وذكر في رسائله بعض خطبه التي كان يلقيها على المجاهدين فبين أن الشيخ أكد بالحاح على ان الحرب ليست سياسية بقدر ماهي دينية، وفي هذه الحرب لاتجابه امم بعضها البعض وإنما هي أديان تجابه أدياناً، وأن العرب يجب ألا يدافعوا عن ارضهم فحسب، وإنما أيضاً عن عقيدتهم وتقاليدهم... وأقسم على القتال حتى لايبقى في ليبيا أي ايطالي أو اوروبي وقال : (ياإلهي اننا نتعرض للغزو من جانب اهل الظلم والبغي فلنشرب كأس الانتقام ببطء حتى نطفئ غليل ظمئنا...)[3] (...أيها المسكين ، أيها المسكين إنه لمن الأفضل لك أن تسكن خيمة ممزقة حيث يسود الايمان من أن تقطن قصراً تحرسه أسلحة الشيطان. إن حيل الشيطان ضعيفة هذا مايعلمنا أياه القرآن الكريم....)[4] (...أنني أريد شهداء وليس جنوداً إن الخطر والموت في انتظارنا ، إنني أريد مذنبين ولا اريد أولياء، فالرجل النقي نقاوة رمل البحر لن يكون محبوباً، وإذا ماكنتم مذنبين فلتذهبوا معي وتقاتلوا ، ولتخلصوا أنفسكم من الذنوب، إننا ثوار ويجب ان نكون كذلك إذا ماقام العدو على العبث بما أوصانا الله به اننا ندين بالولاء لله وليس للدولة، ولاتقعدوا طويلاً مع القاعدين ولتأتوا اليّ إن الله سريع الحساب، واكرر قولي لكم إن عشرة من المؤمنين سيغلبون مائة من الكفار)[5].

وفي رسالة مؤرخة في 22 سبتمبر 1911م يتحدث امين بك عن اخبار طبرق وعن صديقه حبيب الذي اخبره كيف جرى اجتياح المواقع الايطالية وتخريب عدد من الرشاشات، وكيف أن حبيب حمل رشاشاً الى المعسكر العثماني ثم يمضي قائلاً: (ومما يؤسفني ان الشيخ لطيف بن طويلة وثلاثة من أبنائه المتمرسين في حمل السلاح قد لقوا الشهادة على مقربة من طبرق لقد فقدنا فيه واعظاً ميدانياً مامن احد كان يستطيع أن يتقاعس عن الحرب، عندما يسمع كلماته النارية، وحتى أولئك الذين اعيتهم الحرب، واريد ان ابلغك هنا احدى خطبه النارية الأخيرة التي حضرتها متخفياً بالزي العربي، وقد نقلتها بالكتابة المختزلة، وربما (ياغولدانا) نحتاج في يوم من الايام ان نثير حماس ابنائنا بمثل هذه الكلمات...وقد تحدث الشيخ لطيف واعظاً وهو يلبس رداء الخطيب. ولقد كان مثل اسد تلحف بجلد جمل وقال: أيها المقاتلون في سبيل الرحمن الواحد الاحد لاتحتاجون الآن الى السلاح، واذا ما اعتقدتم انكم تحققون الفتح فلتبقوا حيث انتم إن هذه الحرب ليست حربكم واذا ماكنتم تبغون طرد الايطاليين فقط فلتذهبوا الى بيوتكم إنما يتوجب عليكم هو طرد الشيطان ودولته من بلادنا، وأن تعيدوها الى رحمة الواحد القهار... ولكن يجدر بكم ألا تتوقعوا ليالي ملاحاً وأياماً لطيفة، انكم الآن خدم عقيدتنا ، انها نار حامية في النهار، ومسيرات طويلة في الليل، إنه الجوع والعطش، كل هذا ينتظركم ، على أن المجد والشرف ينتظرانكم أيضاً. فلتودعوا خيمتكم، وإذا ماأراد الله فلن ترو ذويكم ثانية، ....ولاتخافوا شيئاً.

إن المعركة حسب مشيئة الله ، انها ستغسل ذنوبكم بالدم، وإذا ماوضعت الشهادة يوم الحساب سينظر الى

---

(1) انظر: مذكرات الضباط الاتراك، ص94.

(2) المصدر السابق نفسه، ص98.

(3) انظر: الشهيد، العدد الخامس مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ص196.

(4) انظر: الشهيد، العدد الخامس مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ص196.

(5) المصدر السابق نفسه، ص196.

ماقمتم به من إعمال، عندئذ ستكون الجنة بانتظاركم، ... فلتأتوا معي باسم الله)(1).

يقول الضابط التركي امين بك : إن وقع صوت الشيخ في نهاية الخطبة كان مثل وقع البوق ، لقد كانت عيون ألف من العرب (المجاهدين) تتوقد حماساً وهي تنظر إليه وقد وقفوا جميعاً في صف الجهاد(2).

يقول عن المجاهدين : إن جرأة هؤلاء الناس لا يعلى عليها ، وأما دوافعهم الى الاستهانة بالموت فهي ذات أساس فلسفي: (أرغب أن أموت في الحرب شاباً على أن أموت على فراشي شيخاً فما من مجد في الموت الناجم عن مرض الشيخوخة)(3).

هكذا كان تأثر الضباط الاتراك بالمجاهدين الليبيين الذين حركتهم عقيدتهم، وحبهم لدينهم، وحرصهم على الشهادة في سبيل الله تعالى.

ولقد تفاعل العالم الاسلامي مع أخبار الانتصارات التي حققها المجاهدون ، فأنشدوا القصائد الجميلة ؛ فمنها قول الشاعر:

حيا الإله ببرقة الابطال
خذلوا العدو وأوسعوه نكالاً
أسد اذا دعت الوغى أبناءها
نفروا خفافاً للوغى وثقــالاً
الناهضون المقعدون بعزمهم
الضاربون الهام والاوصـــالا
شوس إذا حمى الوطيس تدافعوا
باليأس حزماً والرماح طوالا
دولا السلام على السلام تحية
إن كان تأويل السلام نـــزالا
في أي دين أو كتاب منزل
فيه أتى قتل النفوس حـــلالا
والصلح خير تصلح الدنيا به
وبه عباد الله تنعم بـــــالا
لم تقتصد (روما) بخطتها ولم
تترك لعقد الصلح ثم مجـــالا
وطغت وعاثت في البلاد بظلمها
ولكل حال اوجدت أشكالا
هل منصف والحق أبلج واضح
والعدل يملك للزمان عقالا
إن كان بالظلم اتساع ممالك
فالظلم يهدم كل ملك طالا

الى أن يقول :

من كل وضاح الجبين مجاهد
نور اليقين بوجهه يتـــلالا

---

(1) انظر: الشهيد، العدد الخامس، ص198،197.

(2) المصدر السابق نفسه، ص198.

(3)انظر: الشهيد، العدد الخامس مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ص200.

عرب إذا دفعوا الجياد لغارة

هزوا العباب وخفخفوا الاوشالا

هذي طرابلس وفعل سيوفها

ضرب العدى لاتعرف الاقوالا

هرع الطموع لضمها جهلاً بها

هيهات قد طلب الطموع محالا

أبني طرابلس حفظتم ملككم

يوم النزالا وصغتم الأعمـــال

بيضتم وجه الحمى وملأتم

عين العباد مهابة وجـــــلالا

الى أن يقول:

قد خلد التاريخ فعالكم

إن الزمان يخلد الافعـــــال

من مبلغ عنا الانام جميعهم

ومخبر الايام والاجيـــــالا

إن السلامة في سلامة موطن

نقف النفوس عليه والامــولا

وإذا أراد الله بين عباده

اصلاح حال غير الاحـــوال

ويقول:

(إيطاليا) عشقت فانحلها الهوى

والعشق يجعل من يحب خيالا

عشقت (طرابلساً) وكم من عاشق

يقضى عليه ولا ينال وصــالا

جاءت باسطولا وخالت أنها

تجني به نفعاً فجر وبـــــالا

جهلت وماعرفت بأن حروبها

جلبت عليها الحنق والإذلالا[1]

أما الشاعر حمزة الفقي الجهيني يقول:

يا أرض برقة عن رجالك خبري
ماذا جرى للظالم المتجبـــــــــــر؟
أخذوا بثارك أم رضوا بمذلة
عار على الشيخ (السنوسي) وأنور
قالت سلوا زرق الأسنة والضبا
ينبي المهند والقضيب السمهـــري
أسد إذا حمى الوطيس رايتهم
مابين مرتجز وبين مكبـــــــــــر
فكأنما الاعداء أعيان الفلا
صكت مسامعها بزأرة قســـــور

الى أن يقول:

ماذا رأيت من الحروب وشرها
ياجيش رومة لاتمن وخـــــبر
حقاً ذهبت وقد رجعت بنكبة
وعلمت ماعقبى الظلوم المغتر
وبليت من عرب بكل سميدع
يسعى الهيجاء بنفس غضنفر
عصر التمدن أنت أم عصر الشقا
لا كنت يامنهوم بين الاعصر
صيرت موج البحر ناراً والهوى
وجعلت أهلك في لظى متسعر
ياأمة بالبغي أغضبت الورى
كفي عن المظلوم لاتتهوري[2]

ومما قال الاستاذ معروف الرصافي عن ملحمة الجهاد في ليبيا:

ويا أهل (بنغازي) سلام فقد قضت
صوارمكم حق المواطن في الذب
حميتم حمى الاوطان بالموت دونها
وذاك بما فيكم لهن من الحـــب
ومن مبلغ عنا (السنوسي) أنه
يمد لهذا الصدع منه يد الرأب
فإنا لنرجوا أن يقود الى الوغى
طلائع من خيل ومن ابل نجــــــب

---

(1) انظر: برقة العربية، ص334،333.

(2) انظر: برقة العربية، ص341.

فيحمي بلاد المسلمين من الردى

وينهض كشافاً لهم غمة الخطـــــب

فإن حشا الاسلام أصبح دامياً

الى الله يشكوا قلبه شدة الكـــرب

فقم أيها الشيخ (السنوسي) مدركاً

جنود بني (عثمان) في الجبل الغرب

وكن أنت بين الجند قطب رحى الوغى

وهل من رحى ألا تدور على قطب(1)

ثانياً : تفاعل العالم الاسلامي:

أبلى الشعب الليبي بلاءً حسناً في جهاده ضد القوات الايطالية الصليبية الغازية، وبدد أحلام القادة العسكريين السياسيين، الذين زعموا أن مدة الاحتلال لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، وقد قدرها القائد السياسي الكبير البريطاني (كتشنر) بثلاثة اشهر، لقد طارت أخبار المعارك في بنغازي، وطرابلس، ودرنة الى العالم أجمع، ورأت حكومة الاتراك أن الشعب الليبي، جدير بالمساعدة وجاد في جهاده وكفاحه ضد العدو، ولذلك قامت بإرسال مجموعة من القادة العسكريين ، ليجسوا النبض ويرسلوا التقارير، فوصلت بحوث ودراسات أنور باشا مع زملائه (بإيمانهم بأن هذا الشعب يعتمد عليه في الحروب ، ورفعت التقارير الى الاستانة، فأخذت الامدادات ترد منها، وبدأت وفود المتطوعين من مصر والعالم الاسلامي تترى لمساعدة اخوانهم المسلمين في ليبيا، ووصلت البعثات الطبية من تركيا، ومصر، فقامت بدورها خير قيام، ومراسلين من الصحف الاسلامية والعالمية وكان الأمير عمر طوسون في مصر، ووالدة الخديوي (أم المحسنين) وخلفهم مسلمو مصر قد وقفوا بما يملكون لدعم الشعب الليبي مادياً ومعنوياً، ووصل الأمير شكيب ارسلان على رأس بعثة طبية كان عدد جمالها التي تحمل الاثقال من المؤن والأدوية 650 جملاً يصحبه خمس أشخص من أخص رجاله، قد تطوعوا للجهاد ببرقة وهم ؛ شبلي عبدالصمد، عجاج عبدالصمد، عباس عبدالخالق ، شاهين عبدالخالق، يوسف احمد فياض.

وقام أنور باشا باختيار مجموعات من الشباب الليبي وارسلهم الى استانبول لتعليمهم النظم السياسية والعسكرية الجديدة وقد احسن بما صنع، ليشرفوا على قيادة الجيش الوطني الذي نهض في إعداده وتدافع المجاهدون المسلمون من كل مكان الى ميدان القتال عن طيب خاطر، وجاد المسلمون الخيرون بأموالهم، وأعز ماملكت أيديهم، وفاضت قرائح الشعراء، وأقلام الكتّاب بما أوحته ضمائرهم ، وقامت الصحف وفي طليعتها المؤيد الغراء بدورها وكانت حلقة الاتصال بين جهاد الليبيين والعالم الخارجي، وكانت المساعدات تأتي من العالم الاسلامي الى مصر الى اللجان المختصة والتي اشرف عليها علي يوسف، وعمر طوسون وترسل الى المجاهدين، وكانت والدة الخديوي (ام المحسنين) تنفق الاموال ، والمؤن، والملابس، والأدوية، والقوافل المحملة للمجاهدين وعندما قابلت الوفد الذي استلم هذه الاشياء قالت : (انني لم أفعل شيئاً يذكر في جانب مايقوم به أولئك المجاهدون في سبيل الله والوطن وإنني قلقة لأنني لم أسمع منذ أيام خبراً عن ميدان القتال)(2)، وكانت المساعدات تأتي من أهل الشام، الى بلاد مصر ثم تدخل الى ليبيا، وكان الليبيون الذين هاجروا الى مصر من عشرات السنين قد وقفوا وقفة رجل واحد بالمال(3) والرجال ، وكان أحمد الباسل من وجهاء مصر سنداً قوياً لحركة الجهاد في ليبيا قد كتب للسيد السنوسي الأشهب رداً على رسالة وصلت إليه: (إني وما أملك تحت

---

(1) انظر: برقة العربية، ص330.

(2) انظر: برقة العربية، ص348.

(3) نفس المصدر السابق، ص348 وتجد تفصيلاً عن المساعدات .

تصرفكم ولمساعدتكم وإنكم قمتم بما يرفع شأن العروبة في جميع أنحاء الدنيا، وإنكم لن تغلبوا وفيكم الغازي العظيم سيد مجاهدي القرن الرابع عشر السيد احمد الشريف؛ فقفوا موقف البطولة لان العالم العربي يتطلع لاعمالكم ويرقبها على البعد ....).

لقد كانت قبائل الفوائد، والجوازي في مصر نعم العون لحركة الجهاد في برقة.

وتفاعل العالم الاسلامي جله، فقد اجتمع أعيان ووجهاء وشباب مسلموا الجزيرة موريس الواقعة شرق مدغشقر، ورفعوا احتجاجهم الى نظارة الخارجية البريطانية ضد الاعتداء الايطالي على طرابلس الغرب (ليبيا) ونضموا مظاهرة عظيمة ثم ارسلوا الى رئيس اللجنة العليا بخمسة عشر ألف روبية لمساعدة المجاهدين ، وفي يوم 20 ذي الحجة سنة 1320هـ دعا جلالة ملك أفغانستان، حبيب الله خان جميع وجوه ممكلته ورجال حكومته وأعيانها وتجارها دعاهم لإجتماع عظيم وعرض عليهم القضية الطرابلسية ومايعانيه المسلمون في طرابلس الغرب من الظلم والعدوان ودعاهم الى الانفاق لجمع أموال لهم وفتح كتاب اسماه كتاب (إغاثة يتامى وشهداء ومجروحي مجاهدي طرابلس الغرب) وقال لهم افتحوا كيس همتكم وبلوا قلوبكم بماء الشفقة الاخوية اعينوا يتامى وآيامى أولئك المجاهدين الذين جادوا بأرواحهم لاجل حفظ وطنهم وشرف ملتهم اعينوهم على الأقل بلفائف يشدون بها جروحهم لا تنظرون الى قلة ماتعطونه من المال وكثرته، اعطوا ماتتمكنون من إعطائه واثبتوا أسماءكم هذا الكتاب إن الله لايضيع أجر من أحسن عملا) وقد تبرع سيادته بمبلغ عشرين إلف روبية ، وكان يقول وكله حماس الا ليتني قريب منهم أمدهم بالفعل لا بالقول، ألا ليتني طائر أطير لمساعدة أخواني المسلمين(1)، ومن بين المتبرعين مسلمي أندونسيا ، ومسلمي الهند، وحاكم قطر الشيخ قاسم محمد فقد تبرع للمجاهدين بعشرين ألف روبية، وأهل البحرين، وجاء الى ميدان القتال كل من محمد حلمي، وعبدالمعطي صالح ضابط مصري، عارف بك والي البصرة سابقاً، نشأت بك أحد كبار رجالات تركيا المشهورين، محمد طاهر أفندي مصري، وغيرهم كثير(2).

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء كثيرة ساهمت في دعم حركة الجهاد من تونس، وتشاد، والنيجر، ومالي، والسودان، ومصر، والجزائر، والشام، وتركيا وغيرها ويمكن الرجوع الى المقال الذي كتبه محمد الاسطى بعنوان صدى حركة الجهاد الليبي في العالم الاسلامي وهو من منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي فيه معلومات جيدة عن اسماء من ساهم في الدعم الجهادي(3).

إن الذين كتبوا عن الجهاد وقالوا بأن الليبيين جاهدوا الايطاليين وحدهم دون أن يتلقوا أية عون او مساعدة، افتروا على الواقع الذي حدث وزيفوا الحقائق وهضموا حقوق اخوانهم ، فهذا الجنرال الايطالي غرسياني يعترف بذلك ويقول إن مساعدة مصر للمجاهدين اجبرته على أن يأخذ الاحتياطات اللازمة في مراقبة الحدود الشرقية(4).

ثالثاً: معاهدة أوشي وانسحاب الاتراك:

واجهت القوات الايطالية في ليبيا مقاومة عنيفة، والتحم المجاهدون بالأتراك، وشكلوا قوة عسكرية ضاربة، وأدركت إيطاليا عجزها عن اتمام احتلال بقية الولاية، ولذلك قررت أن تهاجم الدولة العثمانية في مراكزها الضعيفة، وتوجهت لهذا السبب نحو الجزر الاثنى عشر التي كانت تؤلف الولاية المعروفة باسم (مجموعة جزر بحر إيجة -الدردنيل-) ، ففي الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 1330هـ الموافق 4 مايو سنة 1912م، قامت اساطيل ايطاليا بإحتلال الجزر، ثم قامت بتهديد مدخل الدردنيل، وقصفت ميناء بيروت على ساحل الشام وكأنها بذلك تدعو الى توسيع رقعة الحرب، وهذا مأثار الدول الأوروبية خاصة بريطانيا العظمى صاحبة الإشراف

---

(1) انظر: مجلة المنار، ج12 م2 ، ص940 الى 943 لمحمد رشيد.

(2) انظر: برقة العربية، ص249.

(3) انظر: الشهيد ، العدد الخامس، 1984م، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين الايطالين ص103.

(4) انظر: برقة العربية، ص230.

المباشر على الحركة البحرية المتوجهة الى البحر الأسود وقناة السويس(1).
وقد أقامت ايطاليا ادارة لهذه الجزر، وأصدرت بها طوابع بريد ايطالية، واستبدلت بالبحارة الذين قاموا بعملية الاحتلال حاميات ايطالية من الجنود وحملة البنادق الصغيرة، كما استبدلت الأعلام العثمانية أعلاماً إيطالية، حينذاك سارعت الحكومة العثمانية الى إجراء بعض التحصينات لسواحل آسيا الصغرى خوفاً من هجوم ايطالي جديد على تلك السواحل(2).
في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدولة العثمانية استقالت وزارة الاتحاديين في أواخر شهر رجب 1330هـ، المصادف لشهر يوليو 1912م لتتولى الحكم وزارة أطلق عليها اسم (الوزارة الكبرى) وقد ألفها احمد مختار باشا الغازي(3)، وقد استلمت هذه الوزارة الحكم في وقت كانت الحالة السياسية في الدولة العثمانية قد بلغت من الحرج حداً لايمكن لهذه الوزارة أن تخرج منه دون تضحية كبيرة عليها، وهو ما تحقق في معاهدة الصلح مع إيطاليا بعد ذلك ببضعة أشهر حاولت الوزارة الاتحادية التي كان يرأسها سعيد باشا أن تفتح أبواب المفاوضات مع إيطاليا عن طريق بعض الدول الأوروبية، وقد لعب بعض رجال الأعمال اليهود المؤيدين لجمعية الاتحاد والترقي دوراً بارزاً في بدء هذه المفاوضات(4)، وكانت محاولات الصلح تجري في طي الكتمان ، بينما تعلن الحكومة شديد تمسكها بوحدة الدولة العثمانية وعدم التفريط في ولاية طرابلس وبنغازي.
ولقد بين وزير خارجية بريطانيا لسفير دولته في الاستانة مدى معارضة الحكومة الايطالية للمقترحات التي طرحها وزير الخارجية العثماني في حكومة الاتحاديين، واقترح الوزير البريطاني بدوره مشروع سلام، يحول دون إراقة ماء الوجه للسياسة التركية كما قال، ويتلخص مشروعه هذا في أن تعترف الدولة العثمانية بسيادة إيطاليا على الأمور المدنية مقابل إعتراف إيطاليا بالسيادة الروحية للسلطان، والسماح للمسلمين بممارسة عباداتهم الدينية بحرية تامة، والبقاء على قوانينهم وعاداتهم، وعلى أن تدفع إيطاليا مبالغ سنوية عن طريق شيخ الاسلام اعترافاً بالخلافة الروحية(5).
وقد حاولت كل من حكومة النمسا - المجر، والحكومة الفرنسية أن تقوما بدور الوساطة لإيقاف الحرب بين كل من الدولة العثمانية وإيطاليا، غير أن مساعيهما لم تلق نجاحاً يذكر في كلا الدولتين(6)، وأمام الازمات الخانقة التي تمر بها الدولة العثمانية رأت حكومة مختار باشا الغازي أن تصل بالمفاوضات مع إيطاليا الى نتيجة حاسمة، فأوفدت وزير الزراعة العثماني وزودته بصلاحيات واسعة وقد وصل المسؤول العثماني الى لوزان في 16 شوال سنة 1330هـ الموافق 27 سبتمبر 1912م، ومع وصوله أخذت المباحثات تدخل في دور حاسم ويتفق الطرفان على الخطوط العريضة لتوقيع الصلح بينهما(7).
كانت العقبة التي لاتلتقي فيها آراء الطرفين المتفاوضين هي الاعتراف العثماني بإلحاق طرابلس بإيطاليا، وانتقال جزر الدوديكانيز الى إيطاليا، فالعثمانيون لا يستطيعون الإعلان صراحة عن إلحاق طرابلس بإيطاليا لأن ذلك يؤثر على مكانتهم في العالم الاسلامي والعربي، أما جزر الدوديكانيز أمراً عسيراُ، إلا أن نذر الحرب في

---

(1) انظر: حروب البلقان، ص80.

(2) المصدر السابق نفسه، ص80.

(3) المصدر السابق نفسه، ص81.

(4) جريدة القطم عدد 6975 في 19 ربيع الأول عام 1330هـ.

(5) انظر: حروب البلقان، ص82.

(6) المصدر السابق نفسه، ص82.

(7) انظر : جهاد طرابلس الغرب، ص99،98.

البلقان جعل الدولة العثمانية تعقد هدنة للحرب الدائرة في طرابلس[1]، وتتبعها بعقد معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة لوزان
-أوشي- مع إيطاليا والتي منحت الدولة بموجبها الاستقلال لولايتي طرابلس وبنغازي، ومن ثم أبدت استعدادها لسحب قواتها من هناك.

لقد تم توقيع معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية، والحكومة الايطالية في 8 ذي القعدة 1330هـ الموافق 18 أكتوبر 1912م، وحررت مواردە الإحدى عشرة في لوزان - سويسرا ووقعه عن الدولة العثمانية كل من : محمد نابي بك، وروممبيوغلو فخر الدين، وعن الحكومة الايطالية كل من : لبترو بروتوليني، وقويدو فوزيناتو، وجوسبي فولبي[2].

ومن المفيد هنا أن نشير بصورة موجزة الى مضمون مواد المعاهدة كما وردت في النسخة الاصلية المحفوظة في الأرشيف العثماني في استانبول تحت رقم 335:

المادة الأولى: تعهدت الحكومتان فيها بإيقاف حالة الحرب بينهما وإرسال مفوضين من الجانبين لتنفيذ ذلك حال توقيع هذه المعاهدة.

المادة الثانية: تعهدت الحكومتان بإصدار أمر بسحب القوات الحربية والضباط من جبهات القتال، فالدولة العثمانية تسحب قواتها من طرابلس وبرقة، والحكومة الايطالية تسحب قواتها من الجزر التي احتلتها في بحر إيجة.

المادة الثالثة: يتم تبادل أسرى الحرب بين الدولتين في أسرع وقت ممكن.

المادة الرابعة: تتعهد الحكومتان بمنح عفو شامل لكل من ساهم بأعمال عدائية أو حامت حوله الشبهات أثناء الحرب لصالح أيا من الدولتين.

المادة الخامسة: إلتزام الحكومتين بجميع المعاهدات والاتفاقات التي كانت بينهما قبل الحرب، والعودة بعلاقاتهما الى وضعها السابق.

المادة السادسة: تلتزم حكومة ايطاليا بما تفرضه الدولة العثمانية من زيادة في الجمارك ، وما تقيمه من امتيازات في اطار القانون التجاري الذي تلتزم به جميع الدول الاوروبية تجاه الدولة العثمانية.

المادة السابعة: تتعهد الحكومة الايطالية بإلغاء مكاتب البريد الايطالية في الدولة العثمانية ، إذا علمت الدول الأوروبية ذلك .

المادة الثامنة: تؤيد الحكومة الايطالية الدولة العثمانية في مطالبتها إلغاء نظام الامتيازات واستبداله بنظام القانون الدولي .

المادة التاسعة: استعداد الدولة العثمانية باعادة الموظفين الايطاليين الذين يعملون في الدولة وفصلوا من عملهم أثناء الحرب، على أن تدفع لهم رواتب الفترة التي أوقفوا فيها عن العمل.

المادة العاشرة: تتعهد الحكومة الايطالية بدفع قسط سنوي للدولة العثمانية يعادل المبلغ المستوجب عن إيرادات الولايتين -طرابلس الغرب وبنغازي- لكل سنة من السنوات الثلاثة التي سبقت الحرب، والذي لايقل عن 2 مليون ليرة إيطالية لكل سنة.

المادة الحادية عشرة: تدخل هذه المعاهدة حيز التنفيذ وسريان المفعول في نفس يوم توقيعها، واثباتاً لذلك وقع المفوضون ذوو الصلاحية المطلقة هذه الاتفاقية، وختموها بأختامهم[3].

وقد ألحقت بالمعاهدة الرسمية المشار إليها بعاليه أربعة ملاحق اعتبرها الموقعون على المعاهدة جزءاً مكملاً لها وأهم هذه الملاحق هو المنشور الموقع من السلطان العثماني والذي تم بموجبه منح الاستقلال الاداري التام

---

(1) انظر: جريدة المقتبس، عدد 1014، 5 ذو القعدة 1330هـ.

(2) انظر: حرب البلقان ، ص86.

(3) انظر: حروب البلقان، ص87.

لولايتي طرابلس وبنغازي[1]، على أن تدار بقوانين جديدة من قبل الأهالي الذين يجب أن يساهموا بتقديم الوصايا والارشادات ، وأنه سيعين نائباً للسلطان لمدة خمس سنوات للمحافظة على المنافع العثمانية ، كما يعين قاضي للولايتين من قبل السلطان ليقوم بتنفيذ أحكام الشرع الشريف على أن يعين هذا القاضي بدوره ومن العلماء المحليين نواباً شرعيين له وفقاً للأحكام الشرعية، وتدفع الدولة العثماينة راتب القاضي من خزينتها أما رواتب نائب السلطان والموظفين الشرعيين غير القاضي فتصرف رواتبهم من مداخيل الولاية المحلية[2].

كما أن الملحق الثاني لايقل عن الملحق الأول أهمية، لأنه عبارة عن منشور من ملك إيطاليا على غرار منشور السلطان العثماني، إلا أنه يؤكد فيه خضوع ولايتي طرابلس وبنغازي لايطاليا، وفيه منح ملك إيطاليا العفو العام لمن ساهم في الحرب الى جانب جيوش الدولة العثمانية من أهل الولايتين، وترك لهم الحرية بإقامة شعائرهم الدينية وذكر اسم السلطان العثماني في خطبة الصلوات باعتباره خليفة المسلمين ، وذكر أن هناك لجنة سيتم تشكيلها تضم في عضويتها بعض الأهالي تقوم بوضع الأنظمة المدنية والادارية على النمط الايطالي[3].

إن موافقة الدولة العثمانية على عقد معاهدة الصلح مع إيطاليا على تلك الصورة السالفة الذكر دليل قاطع على أن الدولة العثمانية كانت تعيش أسوأ مراحل تاريخها، وأن الأزمات العنيفة كانت تهدد كيانها[4]، وهو ماعبر عنه السفير البريطاني في الاستانة الذي اعتبر شروط الصلح التي تم التوصل إليها بين الدولة العثمانية وإيطاليا من (أفضل مايمكن أن تحصل عليه الحكومة العثمانية في ظل الظروف القائمة)[5] وصدر الأمر من الاستانة الى القائد العام التركي انور بك بأن يغادر برقة فوقع هذا النبأ على نفس أنور وقوع الصاعقة وتوجه الى الجغبوب لمقابلة أحمد الشريف السنوسي والتفاهم معه.

كان موقف احمد الشريف واضحاً قبل توقيع الصلح بين إيطاليا وتركيا، فقد بعث الى أنور باشا في درنة يذكر فيه ماوصله من أن الدولة تعتزم إعطاء ليبيا الى إيطاليا فقد جاء في رسالته: (نحن والصلح على طرفي نقيض، ولا نقبل صلحاً بوجه من الوجوه)[6] إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد الى العدو، وزيادة على ذلك فقد حذره مما سوف يحدثه قبول الصلح في نفوس المسلمين في جميع الاقطار من نفور شديد من الدولة العثمانية وحمل الكتاب أربعون شخصاً من كبار السنوسية المجاهديين الى القائد العثماني[7].

استقبل احمد الشريف أنور بك بسيارته وكانت هذه أول سيارة تدخل صحراء برقة، وقوبل بحفاوة بالغة، وأقام في ضيافة السيد أحمد ثلاثة أيام، وابلغ أنور مضيفه أوامر السلطان وأدلى إليه بتوجيهاته (إسناد أمر الأمة الطرابلسية الى سيادته وإخباره بأن السلطان قد منح الأمة الطرابلسية استقلالها تاركاً لها الحق في أن تقرر مصيرها وتدافع عن نفسها)[8].

وفي هذا اللقاء تم التصديق بين الرجلين على تأسيس الحكومة السنوسية لتسد الفراغ الذي ترتب على انسحاب

---

(1) انظر: الطريق الى لوزان، محمد الوافي، ص213،214.

(2) انظر: حروب البلقان ، ص89.

(3) انظر : ميلاد دولة ليبيا، محمد فؤاد، ص435،436.

(4) انظر: حروب البلقان، ص89.

(5) انظر: الحملة الايطالية على ليبيا، محمود حسن، ص166.

(6) انظر: السنوسية دين ودولة، ص142.

(7) المصدر السابق نفسه، ص142.

(8) المصدر السابق نفسه، ص146.

تركيا من ولاية طرابلس وملحقاتها[1]، ولم يطلب أحمد الشريف من أنور بك غير شيء واحد وهو مساعدته بالاسلحة والعتاد الحربي[2] ولم يكن المجاهدون في برقة وحدهم الذين قرروا المضي في القتال ورفض الصلح مع إيطاليا على أساس غير الجلاء من بلادهم، فقد أرسل سليمان الباروني برقية الى مجلس النواب العثماني يعارض فيها باسمه وباسم المجاهدين عقد أي صلح مع ايطاليا لايكفل انسحابها الكلي من أراضي ليبيا العزيزة[3].

أنسحب أنور باشا الى بلاده واستطاع أن يحقق انتصارات للحكومة التركية وللأسف الشديد استطاعت الصهيونية العالمية، والمحافل الماسونية أن تستخدم هذا الرجل في إفساد الخلافة وإسقاط الخليفة السلطان عبدالحميد الثاني ولم ينتبه إنه إلعوبة في يد أعداء الاسلام إلا بعد أن سبق السيف العذل وقد مدح صاحب كتاب الفوائد الجلية، وصاحب كتاب برقة العربية أنور باشا كثيراً.

لقد اعترف أنور باشا بأنه استغل من قبل أعداء دينه، وأمته وشعبه ووطنه ، ولم يكن يدري لقد قال بعد فوات الأوان! إن مصيبتنا قمنا بالانقلاب ونحن آلة في يد الصهيونية ولم نكن ندري كنا أغبياء[4].

إنها لعبرة للضباط والزعماء الذين يريدون خدمة شعوبهم الاسلامية ان يعرفوا اين يضعوا أقدامهم؟ وبمن يثقون؟ وكيف يتصرفون ؟ حتى لايندموا حين لاينفع الندم.

رابعاً: نزول أحمد الشريف الى ساحات الوغى:

جمع أنور باشا بعد رجوعه الى الجغبوب الضباط العثمانيين وأبلغهم حقيقة الأمر وسرهم بأن السيد أحمد سيحل بينهم في القريب العاجل ثم غادر أنور درنة متوجهاً بسيارته الى السلوم، ومنها الى الاسكندرية متنكراً ووصل الى الاستانة للمشاركة في حرب البلقان[5].

توجه عزيز المصري الذي تم تعينه قائداً للجيش أخيراً الى الجغبوب لاستصدار مايلزم من صاحب القيادة الشرعية، فأكرم احمد الشريف وفادته وأمره بالرجوع فوراً الى الميدان الجهادي، وكتب الى رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل وضباط الجيش، يأمرهم بامتثال أوامر وكيله القائد الجديد عزيز المصري، وترك أحمد الشريف الجغبوب متجهاً نحو مدينة درنة، ووصل الى موضع يدعى (الظهر الاحمر) يقع جنوبها ، فاستقبل استقبالاً عظيماً، وبعد استقابله للشيوخ والزعماء طلب منهم أن يعودوا الى معسكراتهم ثم أصبح بين المجاهدين، وبذل كل جهوده لتنظيم حركة الجهاد أثر الانسحاب العثماني، وكتب منشوراً الى مشايخ الزوايا والقبائل يعلن فيه استمرارية ومواصلة الجهاد، وطلب من كل مسلم من سن الرابعة عشر حتى الخامسة والستين أن يذهب الى ميدان الجهاد مزوداً بمؤونته وسلاحه[6] وقام بتفقد المعسكرات، وأبدى نصائحه وآراءه حول الاستعداد لمواصلة الجهاد بدون الاتراك وأصدر أوامره التنظيمية للمعسكرات والمجاهدين.

عزم الايطاليون على سحق قوات احمد الشريف، فدبروا تنظيم حملة قوية قوامها خمسة آلاف جندي مسلح، تسليحاً حديثاً لضرب معسكري المجاهدين في سيدي عزيز، وسيدي القرباع على ضفتي وادي درنة. وفي اليوم السادس عشر من مايو سنة 1913م أي في نفس اليوم الذي وصل فيه احمد الشريف الى منطقة الظهر الاحمر جرت معركة مهولة عرفت باسم سيدي القرباع، واشتهرت باسم (يوم الجمعة). وقد تمكن المجاهدون بفضل الله من تحقيق الانتصار الحاسم في تلك المعركة وقد أصيب الكثير من ضباط القوات الإيطالية بالجنون وجيء على

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص42.

(2) المصدر السابق نفسه، ص42،41.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص142.

(4) انظر: السلطان عبدالحميد الثاني لمحمد حرب ، ص6.

(5) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص42.

(6) انظر: صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا، جامعة الكويت، الحولية الأولى، محمد عبسى صالحية، ص7.

تلك القوة باجمعها فكسى أديم الأرض بأشلاء الموتى، والجرحى والعتاد المبعثر هنا وهناك، وكانت أول معركة يخوضها أحمد الشريف[1]، وكان لهذا الانتصار العظيم أثره في جذب الناس الى حركة الجهاد وانتسابهم للأدوار[2].

خامساً: الجولة التفتيشية في الجبل الأخضر:

وبعد أن اجتمع برؤساء الزوايا وشيوخ القبائل شرع أحمد الشريف في جولات تفتيشية ابتدأت من العزيات وانتهت بجدابية، فمر بجميع معسكرات الجبل الأخضر، وفتشها واطلع على سير الأمور فيها، ورتب أمور الضباط، ونظم المجالس الاستشارية بالمعسكرات، ووقعت معارك بين الطليان والمجاهدين أثناء مروره بدواخل البلاد، فاشترك في الكثير منها، وقد لقي في هذه الجولة من الاتعاب والمشاق والسهر وقد أمضه الجوع، وأضناه العطش في كثير من الايام وكان لايبالي بما يلاقيه ولاينظر الى التعب إلا بعين الازدراء مادام ينظر الى ماعند الله من الثواب والجزاء وقد وصفه الكثير من رفاقه بأنه في تلك الحالة كان باسم الثغر، مبتهج الخاطر، مرتاح الضمير، ساطع المحيا، صبيح المنظر، لايركن للراحة، ولايفكر في رغد العيش[3].

يقول شكيب ارسلان عن احمد الشريف: (....اشتهر أثناء الحرب الطرابلسية وقام فيها المقام المحمود الذي لم يقمه أحد، ولولاه لم يكن انور، ولا غيره من ابطال الدفاع عن بر طرابلس أن يعملوا شيئاً....)[4].

(.. وقد لحظت منه صبراً قل أن يوجد في غيره من الرجال وعزماً شديداً تلوح سيماؤه على وجهه.. وقد بلغني أنه كان في حرب طرابلس يشهد كثيراً من الوقائع بنفسه ولا يقتدي بالأمراء، وقواد الجيوش الذين يتأخرون عن ميدان الحرب مسافة كافية، أن لاتصل إليهم يد العدو فيما لو وقعت هزيمة، وفي احدى المرات، أوشك أن يقع في أيدي الطليان، وشاع أنهم أخذوه أسيراً، وقد سالته عن تلك الواقعة فحكى لي خبرها بتفاصيله؛ وهو أنه كان ببرقة فبلغ الطليان بواسطة الجواسيس أن السيد في قلة من المجاهدين، وغير بعيد عن جيش الطليان، فسرحوا إليه قوة عدة آلاف ومعها سيارة كهربائية، إذ كان اعتقادهم أنه لايفلت من ايديهم تلك المرة؛ فبلغه خبر زحفهم، وكان يمكنه أن يخيم عن اللقاء أو أن يتحرف بنفسه الى جهة يكون فيها بمنجاة من الخطر، أو يترك الحرب للمجاهدين فلم يفعل. وقال لي: (خفت انني ان طلبت النجاة بنفسي، أصاب المجاهدين الوهل، فدارت عليهم الدائرة، فثبت للطليان وهم بضعة آلاف بثلثمائة مقاتل لاغير واستمات العرب، وصدموا العدو، فلما رأى هؤلاء وفرة من وقع من القتلى والجرحى، ارتدوا على اعقابهم؛ وخلصنا نحن الى جهة وافتنا فيها جموع المجاهدين) وقال لي: (وفي هذه الوقعة جرح الضابط نجيب الحوراني، الذي كان من أشجع أبطال الحرب الطرابلسية، كان قائداً شجاعاً ولكنه كان يغامر بنفسه في كل وقعة، فجرح مرتين واستشهد في الثالثة رحمه الله)[5] لقد كان في جولاته يشارك الناس في شرابهم وأكلهم، ويصلي معهم، ويجاهد بنفسه بينهم، فقد كان قمة في الصبر والحلم والتواضع والبساطة، والشجاعة، والاقدام، ولايعرف الخوف إلا من الله وحده سبحانه وتعالى، فقد قوى الله به عزم المجاهدين، وشحذ به هممهم، ووحد به صفهم وكلمتهم في برقة كلها، ومن الأشعار التي قيلت بمناسبة نزوله الى ساحات النزال ماقاله حمزة الفقي الجهيني من قصيدة طويلة:

ياليث (جغبوب) أتيت ببرقة

والأم ثكلى والدموع هوامي

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (26/2).

(2) المصدر السابق نفسه (31/2،30).

(3) انظر: برقة العربية، ص270.

(4) انظر: حاضر العالم الاسلامي (144/2).

(5) انظر: حاضر العالم الاسلامي (161/2،160).

والاسد في كنف الهلال يظلها
يابن البواسل والجروح دوامي
قد عودت أن لاتضام فخاطرت
والعرب لاترضى سوى الاقدام
والخيل تصهل والوجوه عوابس
والطير غرثى والسيوف ضوامي
قل للصوص تشتتوا فأنا الذي
أحمى الذمار بهمتي وحسامي(1)

وقد قال أيضاً في قصيدة أخرى:

ولي نفس إذا مارمت أمراً
تحمّل جسمها ياقوم مالا
فقالوا ماوهبت فقلت روحي
وقالوا مابذلت فقلت مالا
ولي قلب (ببرقة) مشتهاه
يميل مع (السنوسي) حيث مالا
ولي الله مقـــــدام تقي
إذا ماجئته شمت الجلال(2)

وقد وصف الشاعر الليبي الاستاذ حسين بن محمد الحلافي أعمال احمد الشريف في الجهاد في قصيدة عصماء قال فيها:

فتاريخ السنوسي الدهر باق
على رغم الخطوب المبليات
غداة احتل جيش الظلم (ليبيا)
بنسافاته ومدمرات
فصير بحرها الاسطول ناراً
واحرق برها بمفرقعات
وزلزل أرضها بدوي تنك
وأزعج جوها بالطائرات
فعاف العيش في ترف وعز
بعيد عن ضروب المهلكات
ببيت أبدع الصناع فيه

(1) انظر: برقة العربية، ص342.

(2) المصدر السابق نفسه، ص342.

تحوط به الحدائق باسقات
ينعم فيه بين اخ وابن
وبين أفاضل كالنيرات
وغادر (تاجه) وسعى إليها
وناد معلناً بين الكلمات(1)
أجيبوا داعي الله استعدوا
بني قومي الى حرب الطغاة
دعى فأجابه جم غفير
وهل حرب تكون بلا دعاة
فضل حياته يسعى ويدعو
لتوحيد الشعوب على العداة
فكم ليل تطاول لم ينمه
ولم يعمل به غير الصلاة
وكم يوم طواه بغير زاد
قضاه على ظهور الصافنـــــــات
بمعمعة يشيب الطفل منها
يضيق لهولها صدر الفـــــــــلاة
فلم تنظر اذا حققت إلا
(مدافع) كالصواعق داويـــــات
قنابلها تدك الأرض دكاً
وتقتلع الجبال الشاهقــــــــات
فاخض الارض أموات وجرحى
ووارى الشمس تصنع العاديات
وكم يوم (ببرقة) مثل هذا
تسطره تواريخ الثقـــــــــاة(2)

لقد طاف احمد الشريف بين المدن والقبائل يحض الناس على الجهاد وحمل السلاح ضد الغزاة، وحضر بنفسه في المعارك، ونبه المجاهدين الى ضرورة اعتماد حرب العصابات القائمة على الكر والفر وأكد لهم صعوبة

---

(1) التاج اسم زاوية الكفرة.

(2) انظر: برقة العربية، ص271.

اعتماد الخطط السابقة التي كان الاتراك يعتمدونها خلال المراحل الأولى[1].

سادساً: مجلس شورى احمد الشريف:

انتخب احمد الشريف -رحمه الله تعالى- بعض اعيان الحركة السنوسية ممن اشتهروا بنفاذ الرأي، وجودة العقل، وحسن الخلق ، وقوة التدين ، والمكانة العالية بين الناس، لرفقته وليكونوا معه في رحلاته لاستشارتهم في الامور الهامة وكان منهم كل من الشيوخ الآتي اسمائهم؛ محمد علي بن عبدالمولى، ومحمد الدرقي، ومحمد بن عمور، احمد بن ادريس الأشهب، ومرتضى فركاش[2].

مساعي ايطاليا لاغراء احمد الشريف:

اراد عزيز مصري أن يضعف الصف الجهادي ضد ايطاليا، فسولت له نفسه أن يذهب الى أحمد الشريف ويصور له استحالة المقاومة وضررها، ونفاذ الميرة والذخيرة والأموال واقترح عليه الصلح مع إيطاليا.... وسوف تدفع له لندرة، وروما ، وباريس مبلغاً يليق بمقامه وشرفه، وكرامته، وأن تكف فرنسا عن محاربته في الصحراء والسودان وكان عزيز المصري طلب من أحمد الشريف أن يتنازل عن قطعة الأرض الواقعة بين (بومبا) والجغبوب وبين الحدود المصرية وترك بقية برقة للطليان، فقال له احمد الشريف : أسمع ياولدي إني كنت أقبل عن طيب خاطر التنازل عن القطعة المذكورة وضمها الى مصر لو كانت حكومة اسلامية حرة أتركها وأنتقل أنا ورجالي الى الغرب لمحاربة الطليان على بقية برقة حتى أزيل ظلهم الثقيل عنها دفاعاً عن بقية الاسلام أما ومصر في قبضة انكلترا فلا معنى لهذا العمل وإني سأقاوم حتى النهاية[3].

ولقد اطلع المؤرخ محمد الطيب الأشهب على وثيقة تاريخية موقعة من احمد الشريف بعث بها الى أنور باشا الذي أصبح وزير الحربية التركية، بتاريخ 29 صفر 1335هـ عند ابراهيم بن احمد الشريف وكان فيها: (أتى الطليان للوطن وراسلني وأرسل إليّ الاموال الهائلة فرجعتها كلها تعففاً وطلباً لرضاء الله ورسوله وقمت بمعاضدة الدولة العلية ولله الحمد وأمرت كافة أهل الوطن وقمت بجهدي ثم بعد ذلك قدمت بنفسي للجهاد)[4].

حاولت إيطاليا أن تضغط على أحمد الشريف بواسطة الخديوي عباس باشا بعد أن فشلت جميع وفودها التي كانت تتوافد على المجاهد احمد الشريف وتعرض عليه، أن تضمن له إمارة هو أميرها، تحت حمايتها او انتدابها وتكون له منطقة نفوذ تحت سلطانه، وتحتفظ هي بالموانئ والثغور الساحلية، فضرب بقولها عرض الحائط وقال : (أنني أقسم أمام جميع المجاهدين على هذا المصحف والبخاري إني لن أنفك أذود عن حياض الاسلام ومجاهدة أعدائه الى النفس الأخير مادام معي نفر واحد من المجاهدين وإذا خانني الجميع وسلموا للعدوا أهاجر الى المدينة لأعيش بجوار جدي الاعلى شاكياً الى الله من خيانة الخونة مستنزلاً لعنته عليهم الى يوم الدين)[5].

وقال : (إنني لا أتفاوض مع ايطاليا في بلادي ولا اتفق معها على تنازلي عن شبر واحد من البلاد ولا أحيد عن أحد أمرين إما تحرير الوطن وإما الموت في سبيل ذلك)[6].

وقال: (إنني أعاهد الله على أن لا أتساهل مع ايطاليا في حق من حقوق أهل البلاد ولا أتنازل عن مقدار حافر حصاني)[7].

---

(1) انظر: تاريخ ليبيا المعاصر، ص91.

(2) انظر: الفوائد الجلية (29/2 الى 35).

(3) انظر: برقة العربية، ص305.

(4) المصدر السابق نفسه، ص305.

(5) المصدر السابق نفسه، ص305.

(6) انظر: برقة العربية، ص306.

(7) المصدر السابق نفسه، ص306.

وكان جوابه للوفد الذي أرسله الخديوي عباس وكانت يتكون من انجال محمد عبدالمتعال الادريسي، كل من السنوسي ومصطفى، وعبدالحميد بك شديد، بأن شروطه للاتفاق مع ايطاليا هي أن تجلو عن البلاد وليس هناك من سبيل غير هذا السبيل للتفاهم(1).

سابعاً: خيانة عزيز مصري للمجاهدين:

عزيز مصري رجل عصبي المزاج حاد الطبع كثير المطامع حقود ، جاء الى برقة من اليمن وكان أول عمله في درنة أن خطب العرب فقال: (أيها الناس إن كنتم مسلمين حقيقة ولديكم ذرة من الشهامة والشرف، فحاربوا العدو الى آخر قطرة من دمائكم) فتكدر العرب منه وقالوا: (ماله يشك في ديننا وشهامتنا ألم يرنا نهزأ بالموت ونذود عن بيضة الاسلام من قبله وهانحن نبلي في الطليان خير بلاء رغم نيران مدافعهم المتهاطلة كوابل المطر)(2) وأراد أنور باشا أن يترك درنة ويذهب الى بنغازي، فرفض الشيوخ والزعماء ذلك وطلبوا منه أن يبقى ويرسل عزيز المصري أين شاء، وأبوا الخضوع لعزيز المصري، فأرسل أنور عزيز الى بنغازي، وبدأ عزيز منذ وصوله الى بنغازي بالهجوم على انور خصوصاً والاتراك عموماً(3)، وكان المجاهدون بادئ الامر لايحصون عليه خطواته، ولايتعقبونه في حركاته لظنهم به خيراً، وعندما وصلت أخبار مطاعنه الى أنور قال : أننا في مصلحة عامة تذيب الاضغان الشخصية فليستمر في دفاعه عن البلاد ولو أصبح رئيسها لكنت عن طيب خاطر من اتباعه مادام ذلك في مصلحة الاسلام وأهله(4).

بعد سفر أنور باشا تولى القيادة العامة عزيز المصري واستطاع العميل الايطالي حسن حماده أن يقنع عزيز المصري بالتفاوض والتعامل مع ايطاليا سراً مقابل حطام من الدنيا زائل، وعمل عزيز المصري على خدمة المصالح الايطالية، وقبل جميع شروطهم، وانكشف أمره للمجاهدين ، فأحرق الأوراق الخاصة بالمجاهدين والأدوات الطبية وجعلها طعمة للنار، ومنع تسليم الاسلحة للمجاهدين وقرر ترك ليبيا وقطع الاسلاك البرقية، والتلفون حتى لا يجد المجاهدون وسيلة للمخابرة وجردهم من وسائل الدفاع وأخذ سلاح المجاهدين وجعله في أماكن مطمورة وأوعز الى الايطاليين الى محلها، فدمروها بقنابلهم ، وغادر درنة ولما وصل طبرق اشتبك مع المجاهدين وقتل منهم خمسة وجرح أكثر من ثمانية عشر وأخذ أسلاب الموتى وحرق ستة من الاسرى المجاهدين وذبح أثنين منهم كالاغنام، وفي طريقه الى السلوم ألتقى بألماظ أفندي يحمل مساعدات للمجاهدين وكان المبلغ الذي معه تسعة آلاف جنيه، فأخذها منه، وباح بجميع الأسرار الحربية لأعداء الإسلام(5).

كان عزيز مصري قد واعد أحمد الشريف بتسليم السلاح والذخائر للمجاهدين قبل رحيله إلا أنه رفض وتذرع بأنه لايركن إلى القبائل البدوية ويخشى أن تهاجمه وقواته عزلاء من سلاحها، لقد أثبتت الوثائق البريطانية التي نشرت مؤخراً صلات عزيز المصري بالمخابرات الانجيلزية(6)، والإيطالية، ولقد قام بحرق الأسلحة التي معه عندما صعد ظهر الباخرة الألمانية التي كانت في انتظاره هناك ولم يكتف بذلك، فقد أشاع لدى وصوله استانبول بأن السيد أحمد الشريف قد خان وتنكر للسلطان العثماني ومساعداته .. مما جعل أحمد الشريف يوفد سفيره عبدالعزيز العيساوي إلى استانبول ليوضح الحقيقة للمسؤولين العثمانيين الذين يعرفون صدق أحمد الشريف(7).

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص306.

(2) انظر: برقة العربية، ص273.

(3) المصدر السابق نفسه، ص273.

(4) المصدر السابق نفسه، ص274.

(5) انظر: برقة العربية، 279.

(6) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص45.

(7) المصدر السابق نفسه، ص46.

ثامناً: استمرار العمليات الجهادية :

ورغم كل الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد عام 1913م، إلا أنها شهدت عدداً من المعارك ضد الإيطاليين في معظم جهات برقة من أشهر تلك المعارك، معركة شتوان ببنغازي، 10 كترس، معركة قاريونس يوم 26 مارس، معركة بنينه يوم 14 إبريل، معركة الرجمة يوم 22 إبريل، معركة الأبيار يوم 26 إبريل، معركة البويرات يوم 18 يوليو بالجبل الأخضر، معركة زاوية ترث يوم 24 مايو غرب القبة بالجبل الأخضر، معركة الصفصاف، أول يونيه قرب سيدي حميدة، معركة 15 يوليه شمال الأبيار، معركة تاكنسي يوم 16 سبتمبر بالجبل الأخضر، معركة سيدي رافع يوم 27 سبتمبر بالبيضاء، معركة المرج 19 أغسطس(1).

ومع بداية عام 1914 أحاطت بالمجاهدين صعوبات شديدة منها انقطاع الموارد عنهم من أسلحة وذخائر ومؤن، واستدعاء تركيا لبقية قواتها العاملة في برقة بكامل معداتها، وبقيت البلاد خالية من وسائل الدفاع ومعرضة للهجوم(2)، واستجاب خديو عباس لضغوط وترغيب إيطاليا وحاول شكيب أرسلان أن يقنع خديو عباس بدعم المجاهدين وكان الخديو قد غير موقفه من المجاهدين وخصوصاً بعد الصلح الذي تمّ بين تركيا وإيطاليا يقول شكيب أرسلان في رسالة بعثها إلى فضيلة الشيخ محمد الأخضر العيساوي، من جنيف في 18 سبتمبر 1936م، يشرح فيها ماوقع له عندما قابل الخديو في أثناء سفره من طرابلس ومروره بمصر في طريقه إلى الأستانة للبحث في مصير طرابلس الغرب مع الوزارة العثمانية الجديدة: (وعندما جئت من طرابلس إلى مصر في شهر أغسطس 1912م وذهبت من مصر إلى الأستانة مسرعاً.. كان السبب في ذلك أني علمت بأن الدولة قررت الصلح مع إيطاليا فخفت أن تهمل طرابلس تماماً، فأحببت أن أجعل الدولة تساعد الطرابلسيين بطرق خفية عن يد الأمير عمر طوسون وغيره حتى يستمر الجهاد ولاتذهب طرابلس ولما وصلت إلى السلوم قال رجال الحكومة المصرية هناك إن سمو الخديوي أرسل يسأل عني...)(3) ويتحدث الأمير شكيب كيف كانت مقابلة الخديوي له، وكيف سأله عن كل شيء ماعدا الجهاد في ليبيا، وينقل لنا الحوار الذي تم على مائدة الإفطار وكان بجانب الخديوي حسين باشا رشدي ثم قاضي مصر وكان تركياً والشيخ علي يوسف، فقال الشيخ علي يوسف: إن الدول قررت عدم إقراض مال لتركيا إذا كانت لاتزال ترفض الصلح مع إيطاليا فقال شكيب أرسلان: إن تركيا مضطرة أن تتابع الحرب حفظاً لشرفها. فقال الشيخ علي: ومن أين تأتي بالمال؟ فقال شكيب: كل ماتنفقه تركيا على حرب طرابلس هو 70 ألف جنيه كل شهر، والحال أن إيطاليا تنفق في الشهر مليون جنيه. فقال الشيخ علي: إلا أن السبعين ألف جنيه بالنسبة إلى تركيا، كالمليون جنيه بالنسبة إلى إيطاليا، فالدولة لاتقدر على متابعة الحرب. فقلت له: إذا عجزت الدولة فالعالم الإسلامي يقدر على مساعدة طرابلس. فقال: أما نحن أهالي مصر فلا نقدر إذا صالحت الدولة على طرابلس أن نستمر على مساعدة الطرابلسيين إذا يكونون حينئذ رعية ثائرة على إيطاليا. قال شكيب: هذا كله يقوله الشيخ علي يوسف لا الخديوي بل الخديوي كان ساكتاً وقد علت وجهه الحمرة ... فلما سمعت جدال الشيخ علي هذا غضبت، وقلت له بحدة: لاتساعدون أهل طرابلس فا الله يغنيهم عنكم، فانقطع الكلام على أثر هذه الحدة ووجم الخديوي، وصار قاضي مصر يبتسم. وقمنا عن السفرة إلى الصلاة، فأخذني الخديوي بيدي لأنه شعر بكوني تأثرت جداً، ومازال حتى وصلنا إلى السجادة الخاصة به فتنحى قليلاً إلى اليمين حتى أن السجادة تسعه وتسعني. وكل هذا يقصد به تلطيف خاطري، وأنا لا أعي من التأثر، فلما بدأ الإمام بالصلاة ولم يكن الإمام حاضراً مجلسنا ولا سمع شيئاً مما دار بيني وبين الشيخ علي ألهمه الله أن يقرأ بعد الفاتحة(4) قوله تعالى: ﴿فلا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً ...-(سورة يونس، آية).

وبالرغم من كل الظروف وبقاء المجاهدين وحدهم في القتال وأمام تعدد احتياجاتهم ونواقصهم الحربية،

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص46.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص156.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص152.

(4) انظر: السنوسية دين ودولة، ص153.

وضغط الإيطاليين عليهم بالتركيز في شنّ حملات قوية وكبيرة إلا أن المجاهدين استمروا بنفس الروح الجهادية الأولى[1]، وكان المجاهدون قد التزموا الدفاع والتربص بالعدو حتى إذا خرج الطليان من مراكزهم انقضوا عليهم، فأوقعوا بهم شر مقتلة، وغنموا منهم أسلاباً كثيرة أمدتهم في الحقيقة بأكثر الأسلحة والعتاد ودواب التنقل مما كانوا في حاجة ملحة إليه جميعه وظل الحال على هذا المنوال[2].

تاسعاً: تمركز قوات أحمد الشريف قرب السلوم:

بعد أن سحبت تركيا قواتها وتركت البلاد تخوض جهاداً شعبياً، معتمدة على طاقاتها الكامنة، ومقوماتها الذاتية، عقد أحمد الشريف السنوسي اجتماعاً عاماً لشيوخ الزوايا، ورؤساء الجند، وزعماء القبائل، تدارسوا خلاله الأوضاع العامة في برقة، واحتمالات الحرب، ومدى استعدادهم لمحاربة القوات الإيطالية الصليبية، واستقر رأيهم على الانتقال بكافة القوات الجهادية التي كان يبلغ عددها قرابة السبعة آلاف مقاتل، إلى منطقة إمساعد القرية الحدودية والمتاخمة للحدود الشرقية مع مصر، لأن مصر تشكل عمقاً استراتيجياً لقوات المجاهدين، وكانت تأتيها المساعدات من قبل المسلمين بالتهريب عبر الحدود، وكانت بريطانيا مضطرة لغض البصر على المساعدات التي كانت تصل المجاهدين خوفاً من إثارة الرأي العام الإسلامي ضدها، وخاصة مستعمراتها، إذا ماظهرت متآمرة على جهاد الليبيين ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى ذهبت بريطانيا للتقرب من أحمد الشريف وحاولت أن تمد جسورها معه، كي تستعمله ورقة ضغط على إيطاليا، لاسيما وأن ملامح الحرب العالمية الأولى كانت قد بدأت تلوح في الآفاق، وكان أحمد الشريف يقظاً لما يجري حوله، فأقام معسكرات التدريب، ورسم خطة للدفاع، وحماية الشعب، والاستعداد للجهاد، وشرع أحمد الشريف في تشكيل جيش نظامي مدرب، ليخوض به غمار حرب طويلة المدى ضد العدو الصليبي الإيطالي ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى بدأت الدول تتسارع وتتسابق لكسب ود أحمد الشريف وقواته المجاهدة، كانت القوى المهتمة بكسب أحمد الشريف إلى جانبها هي تركيا، وألمانيا بالدرجة الأولى وبريطانيا ومصر بعد ذلك[3].

المبحث الخامس

الحرب العالمية الأولى

في أول عام 1333هـ قامت الحرب العالمية الأولى مابين ألمانيا وحليفاتها النمسا وبلغاريا، وإيطاليا ومابين بريطانيا وفرنسا وتبعتهم دول أوروبا الصغيرة ماعدا سويسرا، كما انضمت إليها روسيا وأمريكا، وكانت تركيا مترددة في الدخول مع هذا أو ذاك حتى أول عام 1334هـ دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا وحليفاتها، وفي نفس الوقت قامت إيطاليا وخانت حليفتها المانيا، وانضمت إلى صف الحلفاء، فرنسا وبريطانيا، وحليفاتهم روسيا واميركا، وبدخول تركيا الحرب ضد الحلفاء الذين كانوا يتوقعون منها ذلك تكالبوا عليها، وفتحوا عليها عدة جبهات، فكانت روسيا تحاربهم بالقفقاس، وفي عموم شواطئ البحر الأسود، والإنجليز في عموم شواطئ البحر الأحمر، واستطاعت بريطانيا أن تفتن أمير مكة الحسين بن علي وتحرضه على الدولة العثمانية وحدثت معارك

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص47.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة ، ص156.

(3) انظر: حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، ص12.

أضعفت الدولة العثمانية بسبب تلك الأمور(1)، لقد خدعت بريطانيا الحسين بن علي وأعطته وعوداً وأملاً ومنّته بإقامة دولة عربية تشمل كامل جزيرة العرب تحت تاجه، وبذلك أعلن ثورته على الحكومة العثمانية وتابعته قبائل العرب في الحجاز، وشرق الأردن، وأطراف نجد، وبادية العراق، وسوريا وفلسطين وثاروا على تركيا لثورته، فعمت البلوى، ولم يكتف الحلفاء بهذا كله، فجمعوا قواتهم الجوية، وأساطيلهم الحربية في البحر الأبيض، وفتحوا جبهة الدردنيل وكانت هذه الجبهة هي أشد الجبهات على تركيا وأخطرها، ولذلك كرست ما لديها من المجهود لدفع هذه الجبهة واستمرت معركة الإستماتة زهاء ستة أشهر استشهد خلالها ماينوف عن مائتي ألف جندي للأتراك لكنهم دفعوا العدو إلى البحر(2).

وكانت بريطانيا حريصة على استمالت أحمد الشريف إليها قبيل الحرب العالمية الأولى، وزاد حرصها بعد اندلاع الحرب الكونية، ويحفظ لنا التاريخ بعض الرسائل من القادة الإنجليز في مصر مرسلة إلى أحمد الشريف فهذه رسالة أرسلها اللورد كتشنر بواسطة بعض عملائهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله المتوكل على الله سبحانه وتعالى اللورد كتشنر المعتمد السياسي لجلالة جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى بالقطر المصري.

إلى مهبط اسرار الحضرة الربانية، ومصدر صفوة الإرشادات اللدنية صاحب التجليات الأسنية، والنفحات القدسية، قطب دائرة أهل الفضل والكمال، وخلاصة أرباب الحجا والجلال، المتحلي بروحانية أسلافه الطيبين الطاهرين، والمتجمل بصفات أهل الجمال واليقين، والمتخلي عن أوضار الأغيار في مهيع عبادة رب العالمين دوحة الشجرة الهاشمية وبضعة السلالة العلوية، خليفة صاحب ذلك النور القدوسي سيدي أحمد الشريف السنوسي رضي الله عنه وأيّده بروح منه.

أما بعد فإن الفرصة التي دعتني الآن لمكاتبة السيد الجليل أحسبها من أشرف الفرص، وإن كانت القصة الداعية إليها ليست من أحسن القصص على أن السيد الجليل والشريف النبيل خليفة ذلك الإمام المهدي العظيم وولي الله الكريم قد يسره أن ترفع اليه الظلامات ليحقق آمال رافعيها وأن تصل اليه أصوات الضراعات ليكون ملجأ ضارعيها، ولهذا يسرني أن أكون الواسطة لديكم لرفع مظالم قد ارتكبها من لم تخالط هدايتكم قلوبهم ولم تستأصل ارشاداتكم العالية من نفوسهم الخاطئة ذنوبهم ولذلك اكتب لمقامكم الكريم مايلي:

قد ورد لي من سعادة حاكم السودان العام أن جماعة من عربان الكبابيش التابعين لحكومة السودان ويبلغ عددهم تسعة وعشرين رجلاً قصدوا بير النظرون التابع لمديرية دنقلا، وبينما كانوا عند البئر اذ انقض عليهم عدد عظيم من العربان بينهم نحو مائة من أهل فزان أتباع الطريقة السنوسية الشريفة والباقون من أهل زغاوة والبديات، واعتدوا عليهم شر اعتداء وكان دافعهم إلى هذا الشر وداعيهم اليه قبل كل أحد زعيم الفزانين، واسمه الشيخ محمد أبو دوشي الفزاني أحد الخاضعين لسلطانكم والمستظلين بظل حمايتكم واحسانكم اذ ذهب برجاله إلى عربان غزاوة والبديات وطلب منهم الإنضمام إليه لمقاتلة الكبابيش وحرضهم على ذلك حتى انصاع اليه جمع منهم، فبلغ ذلك عدد عصابته التي أغار بها على ذلك النفر القلائل، ولم يخف سطوة الله عزوجل، ولم يذكر أن عمله المنكر فضلاً عن دونه يغضب الله وملائكته سيجلب عليه سخطكم وغضبكم الذي هو من سخط الله وغضبه، وكأنه لم يكفه أن يكون عدده كثيراً كالجيش الجرار، بإزاء جماعة الكبابيش الذين كانوا عند البئر بل أخذهم غدراً وفاجأهم على غرة منهم، فبينما كانوا آمنين لايحسبون للشر حساباً إذ أطلق عليهم رجاله من بنادقهم ناراً حامية كادت أن تحصدهم حصداً، فلما رآهم قد وقفوا أمامهم برهة من الزمن حملوا عليهم بسيوفهم ورماحهم، فطعنوا في صدورهم، أنكى الطعنات، وقتلوا بذلك ثمانية وجرحوا ثلاثة وأسروا اثنين وسلبوا ماكان معهم من سلاح ومتاع ثم استاقوا جمالهم وعددها مائة وواحد وأربعون بما عليها من الأحمال غير مبالين بأن يعدوا في شريعة الإسلام من العاثين في الأرض فساداً وأن جزاءهم فيها اذا وجدوا قضاة عدولاً أن يقتلوا أو

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (37/36/2).

(2) انظر: الفوائد الجلية (36،37/2).

يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض الخ الآية الكريمة، فيرى السيد حفظه الله ووفقه لاجراء عدله على حكم الله وسنة رسوله الأمين، أن جماعة الفزانين الذين ينسبون أنفسهم لطريقتكم الشريفة، ويعتزون بطول البلاد وعرضها بعزها قد خانوا الله وخانوا محجة رسول الله البيضاء، وخانوا عهد طريقتكم السمحاء ولم يبالوا بغضب الله ولابغضبكم، ولم يذكروا اليوم الآخر وحسابه، وبطش الله وعقابه، وهذا غريب جداً أيها السيد الكريم مع ما يعلم القاصي والداني من خضوع هؤلاء الأقوام لسطوتكم وائتمارهم بأوامركم، ومع ماسارت الركبان والأمثال من أخبار عدلكم المشهور، وشدة بأسكم على أهل البغي والعناد، وماتحلى به شخصكم الكريم من صفات الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر التي انتهت اليكم تراثاً عن أسلافكم العظماء الأكابر ذوي البأس الشديد، والتاريخ المجيد، فكيف مع هذا يجرؤ قوم أشداء كثيرو العدد من أتباع طريقتكم الشريفة على الاعتداء على قوم مستضعفين قليلي النفر، فيقتلون منهم الأنفس، ويسلبون الأموال، والمتاع، وهم مع هذا يرون أنهم من أتباعكم خليقون بحمايتكم وحسن رعايتكم لقد كان في وسع حكومة جلالة الملك أن تتخذ في مثل هذا الحادث اجراءات أخرى عظيمة التأثير والأثر على أمثال أولئك الطغاة البغاة وتضرب بهم الأمثال للناس وهي لاتعدم الوسيلة لذلك، ولكن بما أعرفه عن سيادتكم من حب العدل والانصاف، والغيرة على إقامة معالم الشريعة الغراء في البلاد والجهات التي يصل لها نفوذكم، وتمتد إليها سطوتكم، قد فضلت أن أراجع مقامكم السامي في هذه النازلة، لرفعها طبق مايقتضيه العدل الإسلامي الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فإذا شاء السيد حفظه الله تحقيق آمالي في عدله وانصافه فما أسهل على حضرته أن يأمر تابعيه بكف الأذى عن جيرانهم، وإخوانهم في الدين، وأن يكلف اولئك المعتدين بردِّ الجمال والأحمال التي سلبوها مع دفع التعويضات كما يراها السيد بالحق الدية للمقتول، والتعويض للمجروح، ظلماً وعدواناً، ولست أظن أنه يوجد من الموانع مايحول دون توقيع هذه الجزاءات على مستحقيها عند فضيلة السيد ولكن اذا كان هناك مانع لا أعرفه فانني أرجو من حضرته الكريمة أن تشرفني بإفادني عن الطريقة التي يحسن اتباعها للوصول إلى تلك الغاية من غير أن يمسّ كرامتكم التي أودّ أن أحافظ عليها دائماً وأطلب من الله المزيد فيها، وقد أرفقت بكتابي هذا بياناً مشتملاً على أسماء الأشخاص المعتدى عليهم من عرب الكبابيش، ومن قتل ومن جرح منهم، لتكونوا على بيّنة من الأمر ولتجروا العدل فيهم، كما أمر الله جعلكم الله ملاذاً أعلى لتحقيق عدله بين خلقه وأمدكم بروح منه، مادامت احساناته اليكم متواصلة وعنايته بكم شاملة ونفعنا الله ببركاتكم على الدوام آمين(1).

(اللورد كتشنر باشا)

بغض النظر عن حقيقة هذه القصة التي في الرسالة، إلا أننا نجد فيها أمور مهمة منها: اهتمام الانجليز بشخصية أحمد الشريف واحترامها ومحاولة كسبها واستمالتها، ونجد أيضاً استعانة الإنجليز بالعرب الأدباء ليكتبوا لهم ما أرادوا توجيهه لسيادة أحمد الشريف – رحمه الله – وهذا أسلوب إنجليزي معروف، فيحاولون إيجاد ثغرات ومنافذ في كيان الأمة والسعي الدؤوب في تضعيفها، وتمزيقها، فقد نجحوا مع أمير مكة الحسين بن علي، وهم الآن يحاولون مع أحمد الشريف، كانت بريطانيا حريصة على جذب السيد أحمد الشريف إلى معسكرها، أو تحييده، وكانت حريصة على أن تكسب الشعوب الإسلامية، وأنها تعمل على مساندة حركة المجاهدين المسلمين في ليبيا، فتخدر بذلك مشاعر المسلمين في مصر، والهند، وغيرها، وأظهرت تعاطفها مع أحمد الشريف للضغط على إيطاليا، وتضعيف تحالفها مع المانيا في حربها المنتظرة.

أولاً: إقحام أحمد الشريف في الحرب :

بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى بجانب المانيا، رأت الحكومات التركية والألمانية الاستفادة من جهود السنوسيين لتشتيت القوات الإنجليزية، وفق خطة لإحتلال قناة السويس وتطهير مصر من الوجود الإنجليزي، ولتحقيق هذه الغاية بعث أنور باشا إلى أحمد الشريف يبلغه أن السلطان العثماني قرّر منحه النيابة عنه في إفريقيا، ويخوّله ما له من نفوذ مطلق مدنيا، وعسكرياً، مثل حق إعطاء الرتب، والنياشين، والعفو عن المحكومين، والتولية والعزل، دون الرجوع إلى الباب العالي باستانبول، ثم وصل إلى برقة الضابط العثماني أخو أنور باشا (نوري باشا) ومعه الأوسمة الرفيعة والنياشين، وقابل أحمد الشريف قرب السلوم وسلمه رسالة أخيه

---

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (129/2 الى 131).

أنور التي كانت تحمل نبأ إعلان الحرب، وتعيين السلطان له نائباً عنه في إفريقيا الشمالية[1]، وفي نفس الفترة وصل برقة الضابط الألماني مانسمان[2] الذي كان معه كتاب خاص من إمبراطور ألمانيا إلى أحمد الشريف، ويحمل نيشاناً رفيعاً منحه الإمبراطور إليه، كما وصلها أيضاً جعفر العسكري[3].

وكان هؤلاء الضباط مستائين من سياسة أحمد الشريف تجاه الإنجليز، لأن ذلك يخالف أغراضهم التي جاءوا من أجلها، وبذل نوري باشا ورفقائه جهوداً مضنية للتأثير على أحمد الشريف كي يهاجم الإنجليز، فاخفقوا أمام إصرار أحمد الشريف عن الإمتناع، ووصلت عدة كتابات من أنور باشا يبين فيها للسيد أحمد الشريف فوائد الصدام مع الإنجليز والاصطدام بهم ورد عليه أحمد الشريف بتقرير بتاريخ 29 صفر سنة 1335هـ جاء فيه: (... حرب ياتيك (يقصد به حرب الطليان)، وحرب تاتيه(يقصد بها حرب الإنجليز)، فالحرب الذي ياتيك يجب عليك مدافعته باي حالة كانت، والحرب الذي تاتيه يجب عليك الإستعداد له)[4].

ويوضح تقرير أحمد الشريف أنه مهتم بأمر حرب الطليان الذين جاءوا إلى أرضه، وأنه يجب عليه أن يركز جهوده عليها من أجل تحرير بلاده، وفي نفس الوقت فهو غير مستعد لإعلان حرب جديدة لاقدرة له عليها، ولاتسمح له ظروفه الحربية، والسياسية، والإقتصادية القيام بها.

وهناك سؤال يطرح نفسه في نص تقرير أحمد الشريف وهو ماذا يقصد بعبارة (يجب عليك الاستعداد له) إن أحمد الشريف يؤكد لأنور وزير الحربية من خلال هذا التقرير أنه يجب الاستعداد لهذه الحرب، إن أحمد الشريف كان لايريد الدخول في حرب إلا مع أعدائه الإيطاليين المحتلين للأراضي الليبية وخصوصاً أنه يريد أن يحافظ على علاقته الجيدة مع الإنجليز الذين كانوا قد تركوا السنوسيين وشأنهم ولم يعتدوا عليهم، " وكان حيادهم على جانب عظيم من الأهمية بالنسبة لحركة الجهاد لأن جميع ذخائر المجاهدين في الجبهة الشرقية كانت تأتي من مصر حيث كانوا يتمتعون بعطف الشعب كله "[5] وقد ترك الإنجليز المجاهدين يبيعون الأسلاب التي غنموها من الطليان في ميناء السلوم، وحرصوا على أن تكون العلاقة بينهم وبين السنوسيين جيدة، فكانوا يبعثون الهدايا والكتب ومعها رسائل الإحترام والتقدير لشخصه وبلاده، كما أن أحمد الشريف نفسه كان يجامل المسؤولين الإنجليز لتأمين حدود بلاده وسلامتها أولاً ثم لقضاء حاجياته من مصر، فقد كانت تصنع فيها ألبسة رجال جيشه وكان بعض العتاد والذخائر يصل إليه منها[6].

كان أحمد الشريف مشفق من التورط في أمور هو في غنى عنها في ذلك الوقت بالذات، ولذلك فقد طلب من الشيخ محمد سوف المحمودي الذي وصل من تركيا أن يسافر برجاله إلى طرابلس، وأن يقيم معسكراً بمجرّد وصوله إلى هناك لمواصلة حرب الإيطاليين، وقد منحه أحمد الشريف رتبة بكباشي شرف تقديراً لشخصه وجهاده، وأطاع الشيخ سوف الأمر وسافر برجاله إلى طرابلس وذلك في أوائل شهر يناير سنة 1915م.

إلا أن منظمة تشكيلات مخصوصة وهي تابعة للمخابرات العسكرية العثمانية يعرفها البعض: (بأنها منظمة عثمانية سرية غامضة مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للأمبراطورية العثمانية، ومكافحة التجسس الأجنبي عليها وكان لمعظم المنتسبين إليها الصفة العسكرية[7]. حاولت هذه المنظمة أن تجعل من أحمد الشريف أداة طيعة تستغلها حسبما تمليه مصالح الإمبراطورية العثمانية، وليس حسبما تقتضيه مصالح ليبيا والمتمثلة في

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص50.

(2) مسؤول المخابرات الألمانية في المغرب العربي.

(3) قائد تركي اصله عراقي أسر في هذه الحرب عام 1916م.

(4) انظر: برقة العربية ، ص314.

(5) انظر: الطريق الى الاسلام، محمد أسد ، ص336.

(6) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص57.

(7) المصدر السابق نفسه، ص53.

تحريرها من الاستعمار الإيطالي، وكانت الحكومة التركية قد أرسلت بعض أنصارها الذين هم من ولاية طرابلس الغرب وكانوا قد هاجروا إلى تركيا بعد فشل المجاهدين في معركة جندوية سنة 1913م وكان من هؤلاء الشيخ سليمان الباروني، عضو مجلس المبعوثان وزعيم الجهاد الطرابلسي في الفترة الأولى 1913/11م وكان الشيخ الباروني: (عثماني الميول وهو على علم بالمخطط التركي لغزو مصر، وإعداد حملتين لها شرقية وغربية وإخراج الإنجليز منها، ثم تحرير طرابلس بعد إخراج الطليان منها..) وقد عبر عن هذا عند وصوله إلى برقة وسأله هلال محمد الشريف السنوسي وهما بالسلوم عن شعر رأسه الطويل، وهو رجل متقدم في السن وصاحب منزلة كبيرة ماهذا الشعر يا باشا؟ فردّ الباروني سأجيبك بقصيدة من شعري لأنه أجمل من شَعْري .. وكان مما قال:

هذا هو الشعر الذي
شهد الحروب الهائلات
وعليه أمطرت القنابل
كالصواعق نازلات
خاض المعامع لايهاب
على الجياد الصافنات
حبا بتطهير المواطن
من بني الايطاليات
آليت أن يبقى إلى
أن يعبر الجند القناة(1)
لنرى الغزاة على ضفاف
النيل تفتك بالبغاة
ونرى طرابلس العزيزة
في ليال باهرات
تختال في برد الهنا
بالانتصار على الطغاة
وتسود أعلام الخليفة
في البلاد الضائعات
ونرى الهلال متوجاً
جزر المحيط الخالدات
إذ ذاك يحلق بين
أفواج الأعاظم والغزاة
مابين تهليل وتكبير
وتقديم الصلات
فيكون عنوان الفتوح
مدى العصور الدائرات

---

(1) القناة: قناة السويس في مصر.

أو هكذا يبقى إذا
لم ننتصر حتى الممات
يامن وعدت المسلمين
النصر أمنن بالحياة[1]

عزمت المنظمة العثمانية على الزج بقوات أحمد الشريف في حرب لم يكن في حاجة إليها، خاصة في ذلك الوقت ولما يئست هذه المنظمة من إقناع أحمد الشريف بتلك الحرب، اتجهت نية ضباط تشكيلات مخصوصة إلى الخلاص من أحمد الشريف، وأعدت انقلاباً ضده، وتفجير خيمته، ووضع بديل له من العائلة السنوسية، يكون أسهل انقياداً وانصياعاً لمخططات هذه المنظمة، وتمّ اعداد المؤامرة إلا أنه اكتشف أمرها، وألقى القبض على المتهمين، وأمر أحمد الشريف البقية من مهاجري طرابلس بأن يسافروا إلى بلادهم بسرعة للإنضمام إلى الشيخ محمد سوف، وأنذر أحمد الشريف من يخالف أوامره بالإعدام، فنفذت كاملة، وهدأت الحالة وكان ذلك في شهر فبراير عام 1915م[2] ووصل الأمر بأن أتهم أحمد الشريف بأنه ممالئ للإنجليز سراً وفي مقابلة مع أحمد الشريف قام بها الضابط المصري محمد صالح حرب قبل نشوب الحرب سأل الأخير أحمد الشريف عن حقيقة موقفه، فأجابه: (.. إن الأتراك إنما يريدون أن يورطوه في حرب مع الإنجليز قبل أن يستعد لها، وأنه لايمالئ الإنجليز محبة فيهم أو تقرباً منهم، ولكن مصر هي الباب الوحيد المفتوح الذي تأتيه منه الأرزاق التي يستطيع بسببها متابعة القتال ضد الطليان، فإذا قفل هذا الباب تحرج موقفه، وأنه لم يستدع الأتراك إلى ليبيا إلا ليجلبوا معهم الامدادات الكافية والتي يكون فيها الغناء عن ذلك المفتوح، ولكن هؤلاء حضروا وليس معهم أية امدادات أو أرزاق أو مال، ومع ذلك فهم يطلبون منه كل يوم القيام بحركة ويلحون في هذا الطلب، مع العلم أن بدء الحركة قبل أن يحين الوقت الملائم يعود بالشر والبال على الجميع، وختم السيد أحمد قوله: (وإني أصرح لك بأنه لاسلاح ولا ذخيرة، ولا مال ولا أرزاق كافية لدينا، وأنا ليس في نيتي أن أحارب الإنكليز)[3].

استمر ضباط منظمة تشكيلاتي مخصوصة في مهمتهم الرئيسية لإقحام احمد الشريف في حرب ضد الانكليز -وقد اعترف نوري باشا بأنه صار مرغماً بسبب سكوت أحمد الشريف على تدبير المخطط لفصم العلاقات القائمة بينه وبين الانكليز وبادر الاتراك سرياً بمهاجمة المراكز البريطانية ، وزوروا أوامر أحمد الشريف الى ضباط العرب وعساكرهم ووقع ماوقع[4]، وأرسل الاتراك سعاة الى مصر يقولون أن احمد الشريف يأبى الزحف الى مصر مداراة للانكليز مع أنه حضر من الاستانة لأجل اعداد حملة على مصر وإنقاذها من أيدي الانكليز، فصارت تتوارد من مصر الرسل الى أحمد الشريف تعاتبه على موقفه هذا[5].

وعلى العموم فإن الأمور تلاحقت، وتتابعت الحوادث على الحدود بفعل التأثيرات الشديدة للحرب وضغوطها على الجانبين، فلم يكن بمقدور أحمد الشريف صد تيار الانجراف، فحدث ماحدث دون أن تكون له سيطرة على زمام الأمور، وحاول الانكليز تدارك الموقف بالطرق الدبلوماسية، تجنب العنف والصادم مع السنوسيين، تقليلاً لعدد خصومهم وأعدائهم ، في وقت كانت الحرب العالمية الأولى على أشدها، فاتصلوا بالسلطان حسين كامل (سلطان مصر) وأطلعوه على ماجرى وراء الحدود، ورجوه أن يعمل للاصلاح والتوفيق ولإقناع أحمد الشريف بالتزام الحياد، والتنبيه الى خطورة الاستماع الى الاتراك والألمان، فأرسل السلطان حسين كامل وفداً برئاسة محمد الشريف الادريسي نجل عبدالمتعال بن احمد بن ادريس ، وكانت معهم رسائل من السلطان حسين كامل،

---

(1) انظر: الشهيد، العدد الخامس 1984م ، ص146.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص59.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص167.

(4) انظر: برقة العربية، ص315.

(5) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص63.

ومن السير ماكمهون نائب ملك الانكليز في مصر، ومن الجنرال ماكسويل قائد الجيش الاحتلال البريطاني في مصر، وتدور الرسائل حول فكرة النصح للسيد احمد الشريف بالتزام الحياد(1).

وهذا نص الرسالة التي ارسلها الجنرال السير جون مكسويل القائد العام لجنود جلالة ملك بريطانيا العظمى:

مصر في 3 ديسمبر سنة 1915/ 25 محرم سنة 1334هـ

حضرة الاستاذ الأعظم السيد أحمد الشريف السنوسي الخطابي الادريسي الحسني دام وجوده الكريم

تحية وسلاماً وبعد فقد أدهشني ماوجدته بعد عودتي الى مصر من زيارة الجيوش المتحالفة في غليبولي –إن العلاقات بيننا قد حدث فيها تغيير، وأن أتباع سيادتكم قد ارتكبوا أعمالاً عدائية ضد الحكومة المصرية.

وقد سمعت بارتياح أنكم أرسلتم كبيراً من مستشاريكم الى البّراني ليسعى في ارجاع بعض اتباعكم الذين عصوا أوامركم ولكني تعجبت إذ سمعت أن هؤلاء الاتباع قد تمادوا في العصيان حتى أنهم لم يطيعوا الأوامر فقط بل أطلقوا فعلاً على جعفر افندي. هذا وقد بلغني أيضاً ماهمني وهو أن سبعين رجلاً من رعايا الدولة الذين نجوا من مركب غرّقته العدو قد حجزوا غرب حدودنا؛ فأسألكم برهاناً على العواطف الودية التي أظهرتموها لنا أن ترسلوا هؤلاء الرجال المنكودي الحظ حالاً بدون أذى الى مرسي مطروح هذا ويظهر أن نفوذ نوري بك وأصدقائه الألمان عليكم يشبه نفوذ أنور باشا على جلالة سلطان تركيا. وهذا النفوذ الضار هو الذي زج تركيا في الحرب المهلكة والتي ستنتهي حتماً بزوال دولة الاتراك من الوجود إنكم تعلموا ان الحكومة المصرية والحكومة البريطانية عاملتا سيادتكم بكل اهتمام واحترام وأما الآن فقد اضطررت بسبب المقاصد السيئة التي تحيط بسيادتكم أن استدعى رجالي من نقطة السلوم، واتخذ لهم مركزاً في مرسى مطروح وعليكم الآن ان تبينوا بأعمالكم وأعمال اتباعكم اذا كنتم تحبون بقاء العلائق الودية ام لا .

ومن الآن وصاعداً كل رجل من اتباعكم يتعدى الحدود حاملاً سلاحه اضطر أن أعده كمن له مقاصد عدائية واعماله كذلك لقد سألتكم ان تظهروا مقاصدكم الودية بابعاد الاشخاص الذين معكم الآن المعروفين بعداوتهم لنا وأنا اتأسف أن أرى انكم لم تتمكنوا الى الأن من ابعادهم اني لا أشك ان السيد محمد الشريف الادريسي قد سلمكم كتابي، وفاوضكم في جميع الشؤون التي ولج اليه مفاوضتكم فيها ولا أشك في أنه بين لكم مقاصدنا نحوكم ودية محضة، وأن ما اوجب التغيير في العلاقات بيننا هو اعمال صدرت من جهتكم لا من جهتنا ولا يسعني إلا الظن بأن الدساسين قد نقلوا اخباراًكاذبة عن الحرب الاوربية والحقيقة هي ان خسارة امبراطور الألمان وحلفائه بطيئة و لكنها اكيدة على جميع خطوط القتال والمستقبل يريكم ما اراد الله .

واني اسألكم ان تمعنوا النظر في الأمر وتعتبروا انه اذا اتخذتم بسؤ الحظ خطة عدائية فانكم لا تجلبون عليكم ايطاليا بل فرنسا، وانكلترا، ومصر وتتحملون مسؤلية جميع النفوس التي تضيع في هذا السبيل، وتعرضون بلادكم للجوع اذ تسد عليكم طريق الزاد والمؤنة براً وتحصر الشطوط البحرية وإذ كان مستشاروكم يعتمدون على غواصات الاعداء فاعتمادهم قائم على لاشيء واني لكم ذلك كله ليس بقصد التهديد، بل بقصد "النصيحة" كصديق، والاتراك يقضون بكم مأربهم ثم ينبذونكم نبذ النواة وراء ظهورهم .

إن الحالة الحاضرة لايمكن ان تبقى على ما هي عليه الان ولذلك فإني اسألكم ان تبرهنوا حسن مقاصدكم، بالأعمال وليس بالاقوال، وان ترسلوا حالاً الى مرس مطروح الرجال الانكليز الذين نجوا من مركبهم وهم الآن غرب حدودنا، وان تعيدوا العلاقات الودية معنا، وان تخرجوا من بلادكم المستشارين الاتراك والالمان، أي نوري بك وما نسمان وغيرهما من الذين لا شك في انهم يجلبون عليكم وعلى بلادكم بلاءً عظيماً ولي الرجاء انكم توفون هذه المسائل حقها من الاهتمام قبل ان يقع ضرر لا يمكن تلافيه(2).

وقد كلف الجنرال ماكسويل رئيس الوفد بأن يبلغ أحمد الشريف باسم حكومته بأنها إذا انتهت الحرب العظمى الاولى، ولم يشترك فيها أحمد الشريف، وحافظ على الحياد، فإن انكلترا تتعهد بأن تساعده في الحصول على استقلال بلاده وتوفق بينه وبين إيطاليا، كما أنه سيكون أعظم شخصية عربية في البلاد العربية ومرجعاً لأمراء

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص65.

(2) انظر: حاضر العالم الاسلامي (132،133،134/2).

العرب، وكبرائهم[1].

واستمرت جهود ضباط منظمة تشكيلاتي مخصوصة لإشعال نار الحرب على الحدود، واستمالوا بعض العناصر بالوعود، والمال والذهب، ومن هؤلاء الذين تأثروا بدعاية الاتراك (احمد مختار الطرابلسي وأبو القاسم وآخرون)[2].

وكان هؤلاء الضباط قد هاجموا القوات الانكليزية قرب السلوم، وكان كل هذا يجري دون علم أحمد الشريف، وفعلاً هاجم المسلحون نقطة حراسة القوات الانكليزية في السلوم، وعلم أحمد الشريف بالحادثة في صباح اليوم التالي؛ فتأثر لذلك كثيراً؛ واضطرب اضطراباً شديداً، وحاول اصلاح الموقف، إلا أن الأمور سارت بما لا تشتهي، وانفرط زمام الموقف من يده فوجد نفسه هدفاً لهجوم مضاد من قبل، الانكليز، فما كان منه إلا أن يقبل الأمر الواقع الذي أوقعته فيه ضباط منظمة تشكيلاتي مخصوصة[3].

وكانت الأحداث تتجاذب أحمد الشريف بشدة، وتضعه في جملة من المواقف الحرجة منها:

1.أن تركيا مسلمة وهي تمثل الخلافة الاسلامية في نظره، وكان طبيعياً أن يميل الى الاسلام والمسلمين ومساعداتهم.

2.إن قوة الألمان العسكرية، وانتصاراتهم الباهرة مع بداية الحرب العالمية الأولى أقنعت بصورة أو أخرى، أحمدالشريف بقوة ألمانيا العسكرية، وبأنها ستحقق النصر النهائي على قوات الحلف (فرنسا، وبريطانيا، إيطاليا).

3.إن وعود بريطانيا للسيد أحمد الشريف بالتنازل له عن بعض الواحات هي وعود شفوية، أو كتابية فقط ولن ترى النور، ولن تخرج الى حيز التطبيق العملي مطلقاً، وهذه هي عادة بريطانيا التي كانت تطلق وعوداً غامضة متكررة ومتناقضة تصدر تحت ضغط الحرب.

4.كان أحمد الشريف مديناً بالولاء الودي والجميل للأتراك، فهم الذين قاتلوا وجاهدوا مع الليبيين في برقة وطرابلس، وله ارتباطات متينة مع كبار الضباط الأتراك، وعلى سبيل المثال كعلاقته مع أنور باشا وزير الحربية، كما أنه أصبح نائب السلطان (بحكم فرمان سلطاني) في شمال أفريقيا.

5.إن وعود الأتراك (الباب العالي - السلطان - وزارة الحربية- كبار الضباط - منظمة تشكيلات مخصوصة...) للسيد أحمد الشريف بتزويده بالسلاح والعتاد، والمال، وكل مستلزمات الحرب، كانت وعوداً صادقة في البداية ، وكان في تصور احمد الشريف أن ذلك العون سيستمر حتى تحرير البلاد، وخصوصاً أنهم بعثوا له بعض العون عن طريق الغواصات الألمانية قبل قيامه بإعلان الحرب ضد الانكليز في مصر.

6.ألتقت مصلحة أحمد الشريف، ومصلحة الاتراك والألمان في شيء واحد، ينتفعون جميعاً من فعله والقيام به، ألا وهو محاربة إيطاليا لأنها عدوة لهم جميعاً في تلك الفترة[4].

ورغم كل ذلك ومهم كانت الظروف ، فإن قراره بمهاجمة الانكليز عبر الحدود المصرية ، كان قراراً سريعاً رغم أن السيد أحمد قد رفضه وبشدة في البداية، لأنه على يقين أن ذلك الهجوم لا يتمشى مع مصلحة بلاده، فإن الاتراك والألمان كانوا ينظرون الى الحرب في شكلها المتكامل، والتي لاتمثل طرابلس إلا جبهة فرعية في تلك الاستراتيجية اتخذوا من أحمد الشريف مطية لتحقيق أغراضهم. ونحن نستغرب موافقة السيد أحمد على الدخول في تلك الحرب، فهي خارج بلاده، وتنقصه العدة ، والاسلحة، كما ليست ضد إيطاليا المحتلة لوطنه، لقد كان خطأ في الحكم والتقدير من رجل محنك صقلته التجارب وابتلته الأحداث، وكان له في ميادين السياسة والحرب صولات وجولات.

---

(1) انظر: جهاد الأبطال، ص264.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص66.

(3) المصدر السابق نفسه، ص66.

(4) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص61،60.

كان يجب عليه أن يتعاون مع الاتراك والألمان ضد، ايطاليا لتحرير بلاده أولاً[1].

ومهما يكن من أمر فإن الظروف لعبت دورها وأشترك أحمد الشريف بقواته وسار بجيشه وعدده أربعة آلاف مسلح وكان معه نوري باشا قائداً أولاً وجعفر العسكري قائداً ثانياً، وغرضهم الهجوم على السلوم، وجهز الانكليز جيشاً بلغ تعداده ثلاثين ألفاً من مشاة وفرسان.

وقامت الحرب بالفعل في نوفمبر سنة 1915م، وأخذت الفرق العسكرية النظامية والمتطوعة تنحدر الى الاراضي المصرية، وبدأت القيادة في إعلان وجوب اشتراك رجال القبائل المصرية في الحرب ضد الانكليز المحتلين، لمصر، والوقوف الى جانب الدولة العثمانية[2].

وكان الضابط المصري محمد صالح حرب تابعاً للقوات الانكليزية، فجمع الرؤساء والمشايخ وخاطبهم قائلاً: (نقف اليوم بين معسكرين الانكليز أعداء الله والوطن الذين رفعوا علينا الحماية، والآخر معسكر العرب والأتراك الذين يقولون أنهم جاووا ليخلصونا ، وقد أقنعني ضميري وواجبي الديني بعدم البقاء مع الانكليز وقد خرجت في سبيل الجهاد ضدهم، فمن كان منكم يحرص على حياته أو تلزمه أية مسؤولية عائلية بالعودة الى مرسى مطروح فإنني لا أحول بينه وبين العودة إنما شريطة أن يترك مامعه من سلاح ومؤونة...)[3].

فلم يرغب أحد منهم في العودة، بل أبدوا جميعاً التصميم على البقاء الى جانب رئيسهم، وعاهدوه على الجهاد والثورة التي بدأت بصورة علنية، واستجاب لها بعض عرب قبائل أولاد علي، وبغض النظر عن عدد هذه القوة التي انضمت لقوات السيد أحمد، وغالباً ماكانت تقدر بحوالي مائة وخمسين جندياً[4]، فإن هذه القوة المنظمة للمجاهدين أعطتهم دفعاً جديداً ، واجّجت في نفوسهم الرغبة لمنازلة الانكليز وتحرير الديار من نير المستمعرين.

بدأ هجوم المجاهدين والاتراك على القوات الانكليزية عند حدود مصر ودارت معارك طاحنة من أشهرها معركة وادي ماجد في أواخر شهر ديسمبر عام 1915م، ومعركة بوتونس التي قال فيها ضابط بريطاني شارك في هذه المعارك: (... لقد قام العدو بعزم شديد ومقاومة عنيفة ودام القتال من أجل إحراز قصب السبق اربع ساعات تحت نيران البنادق التي كان العدو يستخدماه بنجاح ودقة بقيادة ضباط أتراك وألمان وعلى حين كنا نحاول بشق الأنفس أن نصمد، دبت الفوضى في صف الفرسان على الميسرة، عندها قويت شوكة العرب الذين كانوا يجابهون هذا الجانب من صف الفرسان...)[5].

إلا أن المجاهدين كان ينقصهم الدواء واللباس، والذخيرة ، والسلاح، ولذلك تأثرت بقية المعارك ونتائجها تبعاً لذلك، فأخذ المجاهدون في الانسحاب والتقهقر اضطراراً . وبذلك النقص والانسحاب تأزم الموقف ودب الخلاف بين أحمد الشريف ونوري باشا، لتفاقم واشتداد الضرر الاقتصادي في معسكر المجاهدين وماحوله بشكل تجاوز حد الاحتمال[6]، ولذلك عقد أحمد الشريف اجتماعاً عاجلاً لوضع حد معين لهذه الاحتجاجات والنواقص ولدراسة الأحداث من كل جوانبها، وعقد الاجتماع في أواخر يناير 1916م، في خيمة أحمد الشريف وحضره نوري باشا وجعفر العسكري عن الجانب التركي، ومحمد صالح حرب عن الضباط المصريين وثلاثة من كبار رجال السيد أحمد الشريف الذي ترأس ذلك الاجتماع، وكانت تبدو على أحمد الشريف علامات الانفعال والغضب، وألقى نقده على الضباط الاتراك الذين تسرعوا في بدء العمليات العسكرية بالرغم من عدم استكمال

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص61،60.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص69.

(3) انظر: السنوسية دين ودولة، ص173.

(4) انظر: منظمة تشكيلات مخصوصة، عبدالمولى الحرير مركز الدراسات عام 1979م ، ص36.

(5) انظر: كفاح الشعب الليبي في سبيل الحرية، عبدالرحمن عزام، ص39،38.

(6) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص78.

الاستعدادات اللازمة لها، وكان مما قاله موجهاً حديثه لنوري وجعفر: (.. لقد قفلتم فمن أين نتنفس...)[1]. وقد ختم أحمد الشريف حديثه مخاطباً (نوري وجعفر) : (فما رايكم وقد أوصلتموها الى هذا الحال..وظهر اني كنت على هدى وكنتم على ضلال)[2].

وتناول الحديث محمد حرب بعد ماتكلم ضباط الاتراك وانتقد الخطة الحربية العامة للضباط الاتراك، وكان رأيه مناقضاً لما ذكره (نوري وجعفر) ذلك أن التقدم من جهة الساحل (قرب البحر) وعلى أرض تكاد تكون مكشوفة بالكامل يُمكن -حسب رأيه- القوات الانكليزية على قوات المجاهدين ، وتسليط نيرانهم المختلفة عليهم، هذا إضافة الى أن الأراضي الساحلية، متماسكة وتساعد الانكليز في أن يستخدموا عرباتهم وسياراتهم ونقلياتهم بسهولة، وكذلك فإن نشوب المعارك قرب البحر يُمَكن الانكليز من استغلال البحر سواء بسفنهم الحربية المزودة بالمدافع أو بنجدة سريعة للقوات الانكليزية إذا ماحقق المجاهدون انتصاراً عليها، وبناءً على ذلك، فقد كان رأي الضابط المصري (محمد حرب) هو أن يتحرك المجاهدون في ناحية الجنوب محاولة منهم لاحتلال الواحات المصرية على التتابع، ويُمَكِنَهم بذلك الإتصال بمشائخ العرب، ومسلمي الصعيد في المدن والقرى، الذين يرغبون في التخلص من الاستعمار الانكليزي ، لعل حركة الجهاد تشعل ثورة قوية تعصف بالحكم الانكليزي في مصر، بالإضافة الى توفر الماء، والتمور، وبالاضافة الى ذلك فإن القوات الانكليزية تضطر الى نشر قواتها على طول وادي النيل وبشكل يستهلك جزءاً من هذه القوات[3].

ورأى أحمد الشريف بصفته رئيس الاجتماع ونائب السلطان العثماني ، ان تنقسم قوات المجاهدين الى قسمين، قسم يتوجه الى الجنوب وهدفه احتلال الواحات المصرية، وكان هذا القسم يتألف من ثلاثة آلاف وخمسمائة مجاهد تقريباً يقوده محمد صالح حرب تحت اشراف السيد أحمد، والقسم الآخر يبقى في الشمال (الساحل) ويقوده جعفر العسكري ويشرف عليه القائد العام نوري باشا، وعدد رجاله ستة آلاف مجاهد[4]. وانتهى ذلك الاجتماع على هذه المقررات، واتضح من خلال هذا الاجتماع بعض الأمور الهامة وفي مقدمتها مايلي:

1. سيطرة احمد الشريف الكاملة على جميع القوات الزاحفة ضد الانكليز عبر حدود مصر الغربية.
2. خطأ القادة الأتراك سواء في عدم الاستعداد لهذه الحملة (عسكرياً ، ومالياً ، وبشرياً..) او في رسم الخطط الحربية، ووضع استراتيجية هامة وتنسيق كامل، لتحطيم النفوذ الانكليزي في مصر.
3. إن وعود الأتراك للسيد أحمد الشريف بأن المدد متواصل، ومستمر ولن ينقطع ولن يكون هناك نقص في السلاح، والذخيرة والعتاد، والمؤن والأموال واللباس والدواء...كانت وعوداً غير عملية ولم ينفذ منه شيء، بل كان نوعاً من الدعاية لخدمة مصلحة الاتراك وأعوانهم.
4. اتضح وبجلاء أنه ليس بمقدور المجاهدين هزيمة الانكليز والانتصار عليهم لتفوقهم في الامكانيات والقدرات المتباينة .
5. اتضح الآن أن برقة يهددها شبح المجاعة ذلك أن جميع الطرق التجارية قفلت (مع الانكليز شرقاً، والفرنسيين جنوباً، والإيطاليين شمالاً).
6. إن الحال الذي عليه المجاهدون يبدو من خلال مادار في هذا الاجتماع متسماً بالصعوبة والضيق.
7. صواب رأي أحمد الشريف في عدم الرغبة في دخول الحرب مع الانكليز.

دخلت القوات الشمالية بقيادة نوري باشا في معارك طاحنة مع الانكليز في معركة وادي مقتلة، ومعركة العقاقير، وكانت النتيجة هزيمة المجاهدين الذين أخذوا في الانسحاب نحو الغرب، ولحقت بهم السيارات المدرعة

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص78.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص176.

(3)انظر: المغرب الكبير، يحيى جلال (860،861/3).

(4) انظر: قضية ليبيا، محمود الشنيطي، ص68.

الانكليزية، بعد أن حلقت فوقهم الطائرات الانكليزية تنذرهم بالتسليم خلال الاربع والعشرين ساعة ، وإلا هاجمتهم حتى الابادة[1]، واستمرت مطاردة المنسحبين الى الحدود، بل وأكثر من ذلك داخل أراضي برقة نفسها، واستولى الانكليز على سيدي براني يوم 28 فبراير سنة 1916م، وكان من أثر معركة العقاقير التي أسر فيها القائد التركي جعفر باشا أن تشتت شمل القوات الشمالية للحملة، واستطاع الانكليز مطاردة فلول قوات المجاهدين، وتعقبتهم السيارات المدرعة متوغلة في برقة الى ماوراء بئر واعر، لقد كانت معركة العقاقير تمثل، نتيجة حملة أحمد الشريف على مصر، واستمرت القوات الانكليزية تطارد فلول المجاهدين ، فوقعت معركة بقبق شرق السلوم انتصر فيها الانكليز، الذين احتلوا بعد ذلك معركة السلوم[2]، ودخل الانكليز الاراضي الليبية ووصلوا بئر حكيم في جنوب غرب طبرق واستطاعوا تخليص الأسرى الانكليز وكان عددهم 92 بحاراً بعد ان أبادوا قوات الحراسة[3] أما قوات المجاهدين في الجنوب كان يقودها اللواء محمد صالح حرب تحت إشراف احمد الشريف زحفت هذه القوات جنوباً وتمكنت من احتلال الواحات البحرية، والفرافرة والداخلة، وانضم إليها كل من كان بهذه الواحات من الموظفين المصريين، وكذلك الضباط والجنود، واتصل محمد صالح حرب بشيوخ العرب في المنيا، واسيوط والفيوم، ولم تعط هذه الاتصالات نتائج مشجعة، وبدأت قوات الانكليز تتزايد وتتكاثف بعد أن صدت الحملة العثمانية الشرقية على قناة السويس ، وفشلت ثورة السلطان علي دينار في منطقة دارفور ، واضطر المجاهدون للانسحاب من الواحات الداخلة الى الغرب جنوب سيوه والجغبوب، وكان لاعتماد الانكليز على الطائرات العسكرية في عمليات الكشف والاغارة، واستخدام قواتهم العسكرية للسيارات المصفحة والمدرعة والمزودة بالمدافع السريعة الطلقات أثر كبير في قلب ميزان القوى لصالحهم[4].

وتمكنت قوات المجاهدين من الوصول الى واحة سيوة في أمان تام، وكان أول ماعني به قائد المجاهدين محمد صالح حرب في سيوة هو إرسال التمور الى الجغبوب ليتزود به المجاهدون هناك[5].

وفي سيوة لحقت القوات الانكليزية بالمجاهدين وحصلت بينهم معركة كبيرة بتاريخ 8 فبراير 1917م، دامت نحو يوم كامل، وكانت معركة فاصلة جهز لها الانكليز كل إمكانياتهم لقتال وهزيمة وإفناء المجاهدين الذين دافعوا دفاعاً مستميتاً وانسحبوا من سيوة الى الجنوب على مسيرة ثلاثة أيام[6] وكان وصولهم إليها في شهر فبراير 1917م وحاول الانكليز مطاردة قوات المجاهدين المنسحبة الى الغرب نحو الجغبوب وبالقرب منها دارت بينهما آخر معركة في تلك الحرب وهي معركة (قرب) إحدى ضواحي الجغبوب[7] ولم يستطع الانكليز مواصلة السير ، وألتجأوا بعد ذلك الى الوسائل السياسية، وكان قبل وصول أحمد الشريف الى الجغبوب قد

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص86.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص87،86.

(3) المصدر السابق نفسه، ص90.

(4) انظر : السنوسية دين ودولة، ص179.

(5) المصدر السابق نفسه، ص180.

(6) انظر: جهاد الابطال، ص266.

(7) انظر: برقة العربية، ص317.

أرسلوا إليه رسالة مطولة وهذا نص رسالة الجنرال السير جون مكسيول القائد العام لجنود جلالة ملك بريطانيا العظمى:

مصر في 4 جمادى الأولى سنة 1334هـ الموافق 8 مارس سنة 1916م حضرة صاحب السيادة الاستاذ أحمد السنوسي الكبير تحية وسلاماً وبعد فقد وصلني كتابكم المرسل بيد رسولكم موسى وليس لي ان أرد عليه عما قلته في كتبي السابقة، إني كنت دائماً أحذركم من خطر الاصغاء الى نصائح نوري بك، وجعفر وغيرهما لأن مصلحة هؤلاء تناقض مصلحتكم على خط مستقيم، فإنكم بالاصغاء الى نصائحهم قد أثرتم حرباً على مصر ونسيتم جميل بيت محمد علي باشا الكبير الذي يمثله صاحب العظمة السلطان حسين سلطان مصر الحالي.

إنكم تعديتم الحدود ودخلتم الاراضي المصرية برجال مسلحين ومدافع وقد أطلقتم نيرانكم على العساكر المصرية والانكليزية، وأظهرتم بكل جلاء ووضوح أن مقاصدكم عدائية.

تقولون أني صدقت مقالة سنوبك ولم أصدق ماقلتموه أنتم فما هو الصحيح؟

إن جماعات من المحافظية المسلحين كانت على الدوام تأتي الى الأراضي المصرية أما بعلم منكم أو بغير علم منكم وتسيئ معاملة العرب الذين تحت إدارتنا وتأخذ منهم الضرائب بالقوة، وقد أطلق أتباعكم النيران على الغواصات الانكليزية لغير ماسبب، وأنزلت الغواصات الألمانية الأسلحة والعساكر وغيرها بقرب برديّه وأطلقت نيرانها على طراد لخفر السواحل وأغرقته وأتباعكم لم يطلقوا النار على الغواصات الألمانية بل استقبلوها بالترحاب ثم إنكم حفظتم في الأسر جماعة من رعايا الدولة البريطانية الذين غرق وابورهم ولجؤ الى سواحلكم. وقد هاجم أتباعكم نقطتنا في البراني والسبيل وأسروا عساكر الحرس وسرقوا بنادقهم وقطعوا خطوطنا التلغرافية، وهددوا نقطتنا بالسلوم حتى اضطررت أن أصدر الأوامر الى سنوبك بالرجوع الى مرسى مطروح وفي الوقت الذي كنتم فيه تصرحون بأن علاقتكم معنا على غاية الوداد كنتم تكتبون وترسلون مع رسلكم كتباً كالتي أرفقها بكتابي هذا وإني مرسلها إليكم لتعلموا الحقيقة أرى أنكم لازلتم تذكرون أمر معاهدة عقدت مع الطليان ووجدت بين اوراق سنوبك. وأنا أعود فأكرر القول أن ذلك غير صحيح لسببين: الأول لأنه لم نعمل معاهدة مثل هذه قط والثاني لأن سنوبك لم يكن عنده السلطة لان يعقد معاهدة كهذه.

إن جعفر هو الآن أسير حرب يقول إن الانكليز الذين نجو من الوابور والآن في الأسر عندكم هم في شقاء عظيم وليس عندهم مايلزمهم من الثيات والطعام. وأنتم تقولون أنهم على أتم الراحة والأمان. فإي القولين أصدق . إنكم تشكون من أني حجزت رسلكم هنا وأنا لم أفعل ذلك إلا بعد أن بادأتموني بالعداء. إن الله وحده يعلم بالخفايا، وماهو في ضميركم. وكل مايمكنني أن أقوله لكم أن أعمالكم كلها دلت على عدم تبصّر وروية، ويلزم أن تحصدوا الزرع الذي غرستموه.

إنكم بأعمالكم قد وقفتم موقف العدو ومادام في الأراضي المصرية رجل مسلح من رجالكم فإني أعتبركم عدواً، وقد سبقت فأخبرتكم عن الشروط التي بها وحدها يمكنني أن ابدأ بالمفاوضة معكم. وهذه الشروط أرسلتها في كتاب مؤرخ في 28 صفر سنة 1334هـ الموافق 4 يناير 1916م وهي كما يأتي :

1. أن تردوا بسلام جميع الأسرى البريطانيين أو الهنود أو الأوروبيين الذين في يدكم.
2. يجب أن تبعدوا كل الأتراك أو الألمان الذين عندكم، وإن كنتم تجدون صعوبة في إبعادهم فيمكنكم أن تسلموهم لي اسرى حرب.
3. يجب أن تخرجوا جميع رجالكم المسلحين من الأراضي المصرية وتتعهدوا بعدم دخول رجال مسلحين الى الأراضي المصرية ، وإذا دخلوا عوملوا معاملة أعداء حيثما وجدوا.
4. يجب أن تجلو جلاءً تاماً عن سيوه والسلوم وعن جميع البلاد التي الى الشرق منها وتقيموا بسلام في الجغبوب؛ فإذا كنتم الآن تجيبون هذه المطالب، وتظهرون بالأعمال أنكم تريدون أن تكونوا على الوداد؛ فإني مستعد للتساهل معكم أكثر مما تؤملون(1).

الجنرال السير جون مكسويل

القائد العام لجيوش جلالة الملك بريطانيا العظمى

---

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (134،135/2).

كانت تلك الرسالة قد كتبها ماكسويل قائد الجيش البريطاني في مصر بعد الاستيلاء على معسكر السنوسي، واحتلال السلوم.

كان ادريس المهدي السنوسي أثناء تلك الحوادث ببرقة وكيلاً عاماً عن أحمد الشريف، وقد عرف سيادته، ببعد النظر، والتضلع في معرفة الأمور وكان قد نبه أكثر من مرة أحمد الشريف ووأوضح له رأيه، وكان يرى عدم الدخول مع الاتراك ضد بريطانيا في الحدود المصرية، وقد أصبحت البلاد في حال يرثى لها فقد تفشت فيها المجاعة، كما تسرب إليها مرض الطاعون، وسدت سبيل السبل في وجوه الليبيين بعد ماكانت السوق المصرية مفتوحة الابواب وأصيبت الحيوانات بالجدب، وهي أهم موارد البلاد وقد أمسكت السماء ، ودخلت البلاد في حروب مع إيطاليا من جهة، ومع الانكليز من جهة أخرى، وألتفت القبائل وشيوخها حول زعامة أدريس المهدي السنوسي(1) وكتبت الى ادريس بمقره في اجدابية، بصفته صاحب الحق الشرعي في إمامة السنوسيين، ليتدارك ماوقع فيه ابن عمه أحمد الشريف الوصي على الامارة بمحاربته الانكليز جرياً وراء الاتراك، خصوصاً أنهم لم يوفوا بوعودهم التي قطعوها له، فلم يرسلوا إليه بما يسد حاجة جيشه وبلاده كما وعدوه بل ورطوا البلاد في نكبة الحرب ضد بريطانيا، وتركوا شعبها الأبي يموت جوعاً(2) وكتب الامير ادريس السنوسي الى ابن عمه أحمد الشريف شارحاً له ماكان يجري في برقة، فرد الأخير برسالة مماثلة في أواخر سنة 1916م جاء فيها: (... أعمل ماتراه مناسباً، والحاضر يرى مالايراه الغائب، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن حيث أن لهم حقاً في ذلك...)(3).

كان فشل الحملتين الشرقية والغربية على مصر، وتدهور الحالة الاقتصادية في برقة من الاسباب التي ساعدت على ظهور الأمير ادريس على مسرح الاحداث بعد ان أصبحت حاجة البلاد الى قيادة جديدة تتولى معالجة تلك المواقف الحرجة وسوف نرى بإذن الله تعالى الخطوات السياسية التي اتخذها الأمير إدريس ، بعد أن نكمل مسيرة أحمد الشريف الى وفاته.

ثانياً: أسباب هزيمة أحمد الشريف:

إن حملة أحمد الشريف فشلت في تحقيق أهدافها لعدة أسباب منها؛

1.لم تكمل الحملة استعدادتها العسكرية، والاقتصادية ، واتصفت بالسرعة، وعدم التخطيط الاستراتيجي.

2.لم يكن جيش أحمد الشريف على مستوى من القدرة القتالية والاستعداد الكامل بحيث يستطيع أن يخوض حرباً مع عدو قوي مزود بأحدث الأسلحة وأشدها فاعلية.

3.ذهبت وعود الاتراك والألمان أدراج الرياح، ولم تستطع الغواصات الألمانية أن تقوم بالدور المنوط بها لتزويد المجاهدين بأدوات الحرب ومعداتها.

4.إن التوقعات التي كانت محتملة عن قيام الشعب المصري بثورة عارمة ضد الوجود البريطاني في مصر ذهبت أدراج الرياح حيث استطاعت بريطانيا تفريغ شحنات الغضب الشعبي بوعودها وأموالها الطائلة، وبمنحها الجاه والسلطان للعديد من كبار المصريين، كما أن ثورة علي دينار في دارفور بالسودان جاءت متأخرة (اكتوبر - نوفمبر 1916م) فسهل القضاء عليها، وبعد فشل حملة جمال باشا الشرقية على قناة السويس ، وفشل حملة احمد الشريف الغربية عبر حدود مصر، ومن ناحية أخرى فإن الكثير من مشائخ

---

(1) انظر: برقة العربية، ص317.

(2) انظر: تاريخ حرب طرابلس، محمد ابراهيم لطفي، ص57، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار لمحمد العيساوي، ص19.

(3) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص108.

وأعيان الجهات الجنوبية والغربية من مصر (اسيوط، الفيوم، مثلاً...) لم يناصروا حركة الجهاد ضد الانكليز.

5.اختيار نوري باشا لمكان العمليات قرب البحر مكن للانكليز من استغلاله وبعث المزيد من الحملات بسرعة عاجلة، كما أتاح الفرصة لبحريتهم ، فشاركت في المعارك، لقد كان ميدان المعارك في الجبهة الشمالية محصوراً بين البحر وعقبة السلوم بما لايتجاوز الثماني كيلومترات عرضاً، فوجدت بذلك قوات المجاهدين نفسها مقيدة الحركة(1).

6.كان لفشل جمال باشا قائد الجيش التركي في الشام في حملته على قناة السويس أثر كبير في هزيمة قوات احمد الشريف؛ لأن الانكليز قد انتهوا من الحرب على حدود مصر، فتفرغوا للحرب على حدودها الغربية، وجندوا جميع امكانياتهم لها.

7.إن ميزان القوى كان منذ البداية لصالح الانكليز، فالقوات المجاهدة كانت منهكة نتيجة صراعها مع ايطاليا الذي دام فترة طويلة (من سنة 1911م الى آخر سنة 1915م)(2).

ثالثاً: الخلاف بين ادريس وأحمد الشريف:

كان رأي الأمير ادريس السنوسي بأن الحرب ضد بريطانيا لاتحقق أية نتيجة، وعلى السنوسيين استغلال الظروف الدولية ، لتحقيق استقلال ليبيا، وكان يرى أن بريطانيا هي المؤهلة لأن تأخذ على عاتقها انجاز هذا الأمر، أما أحمد الشريف فيرى أن حميته الدينية، وغيرته الاسلامية تمنعه من الوقوف مع الانكليز ضد تركيا.

لقد كانت علاقات الانكليز بالسيد ادريس ودية منذ البداية، واستمرت العلاقات بين الطرفين تنمو وتزدهر طول عام 1913م، وفي بداية عام 1914م، تجددت عندما توجه إدريس السنوسي الى الحجاز لأداء فريضة الحج، فمر في طريقه بمصر وقوبل بالاحترام والتبجيل، من قبل حسين كامل، السلطان النائب عن الانكليز في مصر، وحملته باخرة خاصة الى حيفا، ومنها الى الأراضي المقدسة، وفي طريق عودته لقي من الاحترام والتبجيل الزائد عن المرة الأولى ، واجتمع مع اللورد كتشنر، قائد القوات الانكليزية في مصر، ومن ثم نقل بطرد بريطاني الى السلوم، حين جرى له وداع رسمي على الحدود، وكان أحمد الشريف قد كلف ادريس السنوسي تبليغ قبائل حرب والبالغ عدد مقاتليها ثمانون ألف والتابعة للحركة السنوسية أن تعمل ضد الانكليز وأعوانهم في مصر والحجاز، وكان جواب ادريس بعد رجوعه من الحج الى السيد أحمد الشريف بأن القبيلة أجابته: (لم يصبنا أي أذى من الانكليز، فهم عدول وكرام ، وأغنياء، بينما نجد الترك متصفين بالظلم والقهر والترفع)، وعليه فلا داعي للدخول معهم في أية معارك.

وقد كشفت الوثائق البريطانية رقم 2139، 2147، 2478، التي نشرت أن ادريس قد بلغ القبيلة بأنه يؤيد وجهة نظرهم، وأنه يحب الانكليز ولايود أن يرفع سيفه ضدهم.

وقد انعكست نتائج تلك الزيارة على علاقة ادريس بإبن عمه السيد أحمد، إذ مالبث السيد ادريس ، أن أعلن أنه لايوافق على بقاء الاتراك في القوات الوطنية، وطلب من أحمد الشريف ضرورة الحفاظ على العلاقات الانكليزية السنوسية، ولما قوبل طلبه بالرفض الشديد من قبل أحمد الشريف، ترك معسكره في مساعد، وتوجه الى الجبل الأخضر ، وأشاع بين الناس، بأن المنفذ الوحيد لسكانه مع مصر سيغلق أن استمر احمد الشريف في سياسته

---

(1) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص95.

(2) المصدر السابق نفسه، ص96.

المعادية لبريطانية، وبالتالي ، فإنهم سيجدون أنفسهم، وقد أحكم الطوق عليهم من الشرق والغرب.

لقد تلاقت أهداف الانكليز مع تمنيات السيد ادريس، حين عرضوا على هذا الاخير الصلح والاعتراف بإمارته، هو على برقة والجبل الاخضر، نظير طرد نوري ومن معه من الضباط الاتراك، وإقناع ابن عمه بمغادرة المنطقة في المرحلة الاولى[1].

وقد وضحت أهداف ادريس في رسالته التي أرسلها الى أحمد الشريف في 25 صفر 1335هـ، الموافق 21 ديسمبر سنة 1916م وجاء فيها:

(هل لا تنظر الى ماحدث للشريف حسين أمير مكة، الذي عينه الاتراك، ثم وجد تحقيقاً لمصلحة بلاده أن ينقلب عليهم، ثم أرغم على الوقوف خصماً، فأعلن استقلال البلاد، ووافقت الدول المتحالفة على ذلك، ونودي به ملكاً على العرب، وهو الآن يبذل قصارى جهده في إدارة شؤون بلاده، فيؤسس المجالس وينشئ الادارات والمصالح، ولو أنه قبل أن يدخل الحرب الى جانب الاتراك لكان الحلفاء الآن يحتلون مملكته، كما احتلوا البصرة ، العراق، ومناطق اخرى.

فالملك حسين كون جيشاً كبيراً الآن ، ويريد احتلال الشام، وأرسل إليه الضباط وجاءت المدفعية من مصر، ووصله كل مايحتاج إليه للقيام بحركة واسعة، وأذاع في العالم الاسلامي ، أنه لايريد بالاسلام شراً ، وإنما يعمل فقط ضد جماعة الاتحاد والترقي، ويذكر في خطبه اسم الخليفة العثماني، وهو الخليفة المعتد، والذي فقد كل سلطة بفضل القيود التي فرضها عليه أولئك الذين أحاطوا به من كل جانب من هؤلاء الاتحاديين، وقرر العرب المحافظة على شرفهم والذود عنه ضد هؤلاء الجماعة أيضاً. فأقاموه ملكاً.

ثم حدثني بالله ياسيدي ، كيف يستطيع الأتراك غزو مصر ودخولها، وهم الذين أخفقوا في محاولة استرجاع الحجاز، وهل لاتنظر ياسيدي الى السيد ادريس في بلاد اليمن، فهو يحتفظ دائماً باستقلاله، ويتمسك بحياده، وهذا على الرغم مما يفعله الانكليز الذين يحاولون إقناعه بمحاربة الاتراك، ومما يفعله الاتراك الذين يريدونه أن يحارب الانكليز، ولكنه لايريد أن يورط نفسه في شيء من هذا كله.

وكان في إماكنكم، أن تفعلوا مثل هذا، قبل حادث السلوم، وكان في أيديكم الترك والانكليز معاً، ولكن مافائدة الحسرة على الماضي، والندم على مافات إن الذي أريد أن استرعي نظركم إليه هو، العالم الاسلامي، لأن الاسلام يريد أن يعرف، ومن حقه أن يدرك ويفهم فهماً صحيحاً ماتفعلون، وماتريدون، ويجب علينا قبل كل شيء الانتباه الى مافيه فائدتنا، ومايحقق مصلحة بلادنا حتى لاتذهب ضحية لغيرنا)[2].

رابعاً: آثار حملة أحمد الشريف ضد الانكليز على حركة الجهاد:

كان لفشل حملة احمد الشريف آثار سلبية على سير حركة الجهاد في برقة ضد القوات الايطالية نذكر منها؛

1. ضاعت فرصة مواصلة القتال ضد الايطاليين، في فترة إنشغالهم بمعارك الحرب العالمية الاولى في أوروبا، وقواتهم في ليبيا محاصرة في المدن الساحلية، وغير قادرة على الحركة وتقديم المساعدة.
2. تزعزت العلاقات الروحية التي كانت تربط أحمد الشريف بالقبائل المصرية بسبب المواجهة بين الطرفين وسقوط القتلى من كل جانب ، لأن الجيش البريطاني كان يضم رجالاً من ابناء تلك القبائل، وضعف تعاطف المصريين مع القضية الليبية، وتضررت الزوايا السنوسية في صحراء مصر، وتحطم نفوذها السياسي والديني، وتشجع الانكليز على اتخاذ موقف مناوئ ومعادٍ لهم[3].
3. انقطع الشريان الاقتصادي لحركة الجهاد في ليبيا وكان لهذا الانقطاع أثر كبير على المجاهدين وحركتهم.
4. تأثرت نفوس المجاهدين، وشعروا بالندم بما في ذلك السيد احمد الشريف نفسه، ونستدل على ذلك من

---

(1) انظر: كلية الآداب جامعة الكويت، 1399/1980، الرسالة الثانية في التاريخ، ص18.

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص191.

(3) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص97.

رسالة له الى سليمان الباروني بمناسبة قدوم الاخير الى طرابلس معيناً من قبل السلطان العثماني والياً على طرابلس، ومما جاء فيها:

(...إني لو استطعت لقضيت عليهم -الطليان- وطهرت الارض منهم اليوم قبل باكر ، وتعرف أيضاً أنه ماتمكن مما تمكن منه إلا بعد حركتنا نحو مصر ولولاها كنا قذفنا به اليوم في البحر، وما كان له أثر ولاخبر ولكن تلك الحركة -الحملة- ولو أنها أفادت الدولة والملة من وجوه كثيرة، وشغلنا بها أكبر عدو لمقام الخلافة ناوأها العديد من السنين، إلا أنها كانت سبباً لنفوذ الطليان الذي لايتألم منه أحد أكثر مما أتألم منه، ولو أن لي به قوة ماتأخرت يوماً عن مناواته...)(1).

لقد اعترف السيد أحمد الشريف بخطئه وقال: (يُخيل إليّ أحياناً أنني أخطأت عندما باليت بنداء استانبول ذاك...)(2).

5.تغير الوضع السياسي للمجاهدين ، ولم يعد المجاهدون من القوة، والاستعداد بالقدر الذي يمكنهم من الصمود، والاصرار على تحقيق مطالبهم، بل اضطروا تحت ضغط الحاجة الى المهادنة، والتفاوض والتنازل، بعدما كانت قيادة المجاهدين صلبة قوية لاتلين، تطالب بشيء واحد فقط هو تحرير الارض والوطن وإجلاء الغاصبين، ولا نقبل في ذلك مهادنة او مصالحة او تفاوضاً إلا على هذا الاساس تحرير البلاد من الغاصبين(3).

6.لقد كانت حملة احمد الشريف ضد الانكليز في مصر كسباً ونفعاً كبيرين للايطاليين، ولأنها زعزعت قيادة احمد الشريف، وأشعرتها بضعف إمكانياتها الحربية وقدرتها القتالية، ومهدت السبيل لطريق الصلح والتفاوض الذي قاده ادريس السنوسي فيما بعد(4).

خامساً: هجرة أحمد الشريف الى تركيا:

وصلت قوات المجاهدين الى الجغبوب ، منهكة ، متعبة لطول الحروب، فأذن أحمد الشريف للجنود، وقال لهم: من منكم يرغب بالذهاب الى أهله ببرقة، أو الجبل الاخضر، فمعه الاذن، ولم يرخص لبعض المجاهدين، وذهب بعض المجاهدين وقال الباقون والله مانتركك مادمت حياً سواء نحي او نموت(5).

وبادر الانكليز بتهديد احمد الشريف بواسطة ابن عمه ادريس، وطلبوا منه ترك الجغبوب وإلا ضرب قبر جده بالطائرات، واحتلت المدينة واستبيحت للجنود.

غادر احمد الشريف الجغبوب عن طريق الصحراء الكبرى الى جالوا واوجلة، وزلة والجفره، وسوكنه وهون ومن هناك عرج على موقع سلطان بقرب سرت وذلك عام 1335هـ، 1336هـ وكان معه جيشاً جراراً وكانت المجاعة قد ضربت أطنابها في جميع انحاء برقة، وبالرغم من ذلك كان احمد الشريف الضيف الكريم أينما حل، ويقابل في كل موقع بالاكرام والتقدير والتبجيل، وتقدم له جميع المساعدات من الاهالي وكانوا يقدمون له الجزر، والاغنام وكل ماتصل إليه أيدي الأهالي من التمور والحبوب وكان يطلب أشياء من الأهالي ليبتاعها منهم مقابل سندات يقدمها على نفسه، فكانوا يجيبونه بكل ذلك وقد اتصل كل انسان بحقه عندما وصل احمد الشريف الى

---

(1) حياة سليمان الباروني لأبي القاسم الباروني، ص80.

(2) انظر: الطريق الى الاسلام لمحمد أسد، ص370.

(3) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص98.

(4) المصدر السابق نفسه، ص99

(5) انظر: الفوائد الجلية (45/2).

الاستانة إذ أرسل من هناك مندوباً خاصاً يحمل المبالغ الكبيرة لتسديد تلك السندات وإيفاء كل ذي حق حقه[1] ومن بين من تقدموا لخدمته بصدق واخلاص والحالة هذه سيف النصر شيخ مشائخ اولاد سليمان وأولاده، احمد ، وعبدالجليل، وعمر ، ومحمد ، وقاسم ، وقاموا بكل لوازم احمد الشريف واتباعه من المصاريف والارزاق لمدة ستة أشهر[2] وقالوا أن جميع مانملكه وتملكه قبيلتنا هو لكم وتحت تصرفكم[3]، وكان أحمد الشريف لاينساها لهم ويشيد بها بين الخاص والعام في كل مناسبة ويقول وجدناهم صادقين عند الحاجة[4]، وكذلك وقفت الكثير من قبائل المغاربة وعلى رأسهم صالح باشا الاطيوش، والشيخ السنوسي البراني، والشيخ عبدالمجيد سليم القبائلي، والشيخ بن شراده[5].

ولما وصل احمد الشريف الى العقيلة تقدم إليه احمد بن ادريس الاشهب بواجب الضيافة واعطاه سبعة جمال هي كل مافي وسعه ليذبحها للجند ويقتاتوا بها كضيافة لهم وكان تهيئة مؤنة احمد الشريف الخاصة من قبل احمد بن ادريس وهي مؤلفة من البيض المسلوق، واللحم وشيء قليل من خبز الشعير، وكلما يأتي هذا الطعام الخاص بالسيد أحمد، ورجال مائدته، وهم محمد صالح حرب، ووصفي باشا الخازمي، والاستاذ مصطفى الهوني، وعبدالسلام باشا أبوقشاطة، وطبيب السيد الخاص عبدالسلام أفندي المسلاتي وعندما يأتي الطعام المذكور يبادر احمد الشريف بتوزيعه على بعض الجنود في حين أنه لايكفي السيد ورفاقه الخاصين وأحياناً لايمسك منه شيئاً بالمرة، فقاسى -رحمه الله- ماقاس من أنواع الشدائد مالا تتحمله الجبال بصدر رحب وجلد عظيم ، وكثيراً ماتمر الايام عليه بدون أن يتناول شيئاً يسد به رمقه ومع كل هذا لايعرف عنه انه شكا أو تألم[6]، وقد تساقط عشرات الموتى بسبب المجاعة والحصار المفروض عليهم[7].

سادساً: القافلة ورمضان السويحلي:

راسل محمد صالح حرب نوري باشا في مصراته، ووضح له الحالة التي يمرون بها وطلب منه مدهم بالسلاح، والذخيرة والملابس والمال، حتى يتمكنوا من مواصلة جهاد الإيطاليين) وكان أحمد الشريف قد راسل رمضان السويحلي، وناشده باسم الأخوة الإسلامية وطالب منه المساعدة والوقوف معه، فوافق السويحلي، وأرسل أحمد الشريف قافلة يرافقها الطبيب عبدالقادر المصري، ومايزيد عن خمسة وعشرين رجلاً من خيار رجاله، يصحبهم الشيخ محمد بوطريف ومعه كتاب وهدية إلى رمضان السويحلي واشترت القافلة لوازمها من

---

(1) انظر: برقة العربية، ص318.

(2) انظر: الفوائد الجلية (46/3).

(3) انظر: برقة العربية، ص318.

(4) انظر: الفوائد الجلية (46/2).

(5) انظر: برقة العربية، ص318.

(6) المصدر السابق نفسه، ص319.

(7) انظر: الفوائد الجلية (46/2).

شراء بعض الأمتعة والملابس[1]، وقام نوري باشا بتزويد القافلة بالسلاح والذخيرة، والمؤن، حتى يؤكد لزعماء طرابلس على أن الدولة العثمانية لايمكن أن تتخلى عن أصدقائها، ومناصريها[2].

وعند رجوع القافلة إلى أحمد الشريف تعرضت لهجوم غادر نتج عنه قتل جميع أفراد القافلة، وسرقت الأموال، والمؤونة والسلاح ويؤكد معظم المؤرخين أن رمضان السويحلي دبر أمر القضاء على هذه القافلة واغتصاب أرزاقها، وقتل أفرادها ويذكر العيساوي: (إن السويحلي جهز قوة خفية عن نوري باشا قدرها مائة نفر مسلح، وجعل عليها رئيسين أحدهما يدعى محمد سليمان الجطلاوي والثاني عبدالعزيز الدنيخ، وأمر تلك القوة أن تجد في السير لتكمن في وادي

زمزم، وقد نفذت هذه الخطة بدقة)[3]، وفاجأة قوة السويحلي القافلة في منطقة تماد حسان قرب تاورغاء[4].

ويرأى المؤرخ المتعاطف مع رمضان السويحلي محمد مسعود فوشيكة إن المعركة التي انتهت بانتصار جماعة الحداد والعودة إلى رمضان بصناديق النقود، إنما تمت بعلم رمضان نفسه مما جعل بعض المخلصين له يلومونه كثيراً بسبب تجاهله ماضي السيد أحمد الشريف في الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي، والغزو الإيطالي لبرقة، وفي عدم مبالاته بالظروف الصعبة التي كان يمر بها وحاجته الماسة إلى المساعدة[5].

أما الشيخ محمد بن حسن عبدالملك المصراتي قاضي مصراته عام 1915م فقد أشار لها بقوله: (كنت أنا ومن معي وقت وقوع هذه النازلة الشنيعة بمعية السيد أحمد الشريف السنوسي، وقد بلغتنا قبل بلوغها بخمسة أيام وكتمنا أمرها حيث أن من حاشيته من يزين له أعمال رمضان، فلو سارعنا بإبلاغها وقتها لقيل لنا أننا مفتنون فوكلنا أمرها للأيام والليالي ...)[6].

أما الشيخ طاهر الزاوي فيرأى: (.. أن سياسة الترك مجمعة على كراهة السنوسية، إلا أن بعضهم يجاهر بذلك وينادي بقطع الصلة بهم، وفريق يكتم هذه الكراهة في صدره ويريد أن يسلط بعضهم على بعض لينتقم لنفسه منهم بأيديهم. وقد أراد نوري بماله من النفوذ في مصراته - أن يمد السيد أحمد الشريف بإعانة فأرسل إليه إعانة مالية، وبعض البنادق، ولكن الأتراك الذين لايريدون الصلة بالسنوسية دبروا مكيدة ضد هذه المعونة، فأرسلوا من تربص لمن أرسلت معهم فقتلوهم عن آخرهم، وأخذوا مامعهم من المال. ولم يعلم رمضان بشيء من أمر هذه المكيدة إلا بعد وقوعها ..)[7].

ويبدو للباحث أن الفعلة الشنيعة، كانت مؤامرة ضد مساعي الصلح التي حرص أحمد الشريف على نجاحها بينه وبين رمضان السويحلي، وأحمد المريض وغيرهم ولذلك خاف الأعداء من حصول الصلح بين أحمد الشريف ورمضان السويحلي، فدبروا تلك المكيدة، والقرائن الكثيرة تدل على أن رمضان السويحلي ألصقت به

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (47/2).

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص162.

(3) انظر: رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ص53.

(4) انظر: الفوائد الجلية (47/2).

(5) انظر: رمضان السويحلي البطل الليبي الشهيد ، ص128.

(6) انظر: رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ص54.

(7) انظر: جهاد الأبطال، ص198.

التهمة، ولايوجد دليل واحد قوي على إثباتها، بل القرائن تدل على عكس ذلك حيث أن رمضان السويحلي كان في تلك الفترة يتلقى الدعم من تركيا وألمانيا بواسطة الغواصات، وأحمد الشريف نائب الخليفة في إفريقيا، قام بتضحية عظيمة وجهاد جليل، خدم به المصالح التركية، كما أن سيرة رمضان السويحلي تدل على أنه من المجاهدين الذين ذادوا عن هذه البلاد إلا أنه له أعداء كثيرون عملوا على تشويه سيرته الجهادية التي تحتاج إلى من يتفرغ لدراستها، وتحليلها وإلقاء الضوء عليها، ولاننسى أن إيطاليا عملت بواسطة عملائها على إيجاد الفرقة والعداوة بين رمضان والحركة السنوسية وقادة الجهاد في غرب ليبيا، ويبدو أنها نجحت بواسطة مكائدها ومؤامراتها المتوالية لتحقيق هذا الهدف الحقير.

أما رأي أحمد الشريف في رمضان السويحلي يظهر في الرسالة التي أرسلها إلى وصفي بك في المحرم سنة 1340هـ قال رحمه الله مخاطباً وصفي بك:

(نعم أيها الولد الكريم المحترم، فإني والله تأسفت غاية الأسف على ماحصل..) إلى أن قال: (فبالله الذي لا إله إلا هو إني كنت عازماً على إكرام رمضان بك السويحلي وانزاله المنزلة التي ماكان يظنها، والناس الذين سعوا في الفساد مثل أمين وغيره فهؤلاء لاحاجة لهم في صلاح الوطن، بل حاجتهم في إمتلاء جيوبهم ...) إلى أن قال: (وقد بلغني ما أساءني جداً وهو قتل المرحوم رمضان بك السويحلي فإني والله تأسفت غاية الأسف، لأنه كانت حاصلة منه رهبة للبلاد، ومنفعة عمومية لأهلها، ونحن كل من سعى في المصالح العمومية فهو حبيبنا ..)[1]. لقد اشتد الأمر بأحمد الشريف وأتباعه، وزادت الظروف قساوة عليهم، وأراد المجاهدون أن يهجموا على مصراته إنتقاماً ممن قضى على القافلة، إلا أن أحمد الشريف استطاع بفضل مكانته بين المجاهدين من تهدئة النفوس الثائرة[2].

بعث أحمد الشريف قائده محمد صالح حرب إلى الأمير عثمان فؤاد المتواجد في مصراته، وحمله رسالة هامة إليه، يطلب من الأمير العثماني أن تقوم إحدى الغواصات الألمانية بنقله إلى الأستانة ليقابل صديقه القديم أنور باشا وزير الحربية، وليبحث معه تطورات الموقف في ليبيا، وعلى ضوء ذلك يمكن أن يرجع السيد أحمد مزوّداً بكل مايساعده على الإستمرار في الجهاد في ليبيا، أو أن يبقى في الأستانة مؤقتاً حتى يتسنى له الذهاب إلى الحجاز (الأراضي المقدسة بمكة والمدينة) حيث يخلص العبادة إلى الله بعد أن عمل مافي وسعه من أجل قضية بلاده، ولكن الظروف المحلية في ليبيا والعالمية منعته من تحقيق أهدافه الإسلامية.

وقد اجتمع محمد صالح حرب مع الأمير عثمان فؤاد، وأوضح له حالة وظروف السيد أحمد الشريف وبين له معظم آرائه ومطالبه، كما اجتمع برمضان السويحلي مع الكثير من أعيان مصراته، ووجهائه، وعاد مندوب أحمد الشريف بسلام، وكانت نتيجة هذه الرحلة العمل على نقل أحمد الشريف إلى العاصمة العثمانية بواسطة إحدى الغواصات الألمانية، وبالفعل وضعت وزارة الحربية الألمانية تحت تصرف أحمد الشريف غواصة لنقله مع بعض أتباعه إلى النمسا، وأتفق على أن تبقى قواته في منطقة العقيلة في انتظار عودته، على أن تتلقى من القيادة العثمانية في مصراته مايمكن أن تجود به عليها مما كانت تحضره إليها الغواصات الألمانية[3].

ووصلت الغواصة الألمانية إلى برقة وكان بها يوسف باشا شتوان، وحسام الدين بي، وهما عضوان هامان في منظمة تشكيلاتي مخصوصة[4]، ويحملان رسالة من السلطان محمد وحيد الدين إلى السيد أحمد الشريف يدعوه فيها لزيارة استانبول (والسبب الحقيقي لهذه الدعوة هو أن الحالة في تركيا أصبحت تنذر بالخطر العظيم بسبب ثورة أمير مكة الشريف حسين ضدها، ومتابعة القبائل والجيوش العربية له، وانحلال جبهات القتال في فلسطين وسوريا والعراق. وكانت الحكومة العثمانية تثق كامل الثقة في إخلاص السيد أحمد الشريف للإسلام

---

(1) انظر: جهاد الابطال، ص200.

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص164.

(3) انظر: الحركة الوطنية، ص172.

(4) المصدر السابق، ص172.

والخلافة، فأرادت أن تقنعه بالدخول في مفاوضات بينها وبين الشريف الحسين بن علي، على أن تعطي الشريف حسين مطالبه، هذه هي الحقيقة التي طلب من أجلها، أما في الظاهر فهو كما ذكر في وقته لتقليد السيف للسلطان عند جلوسه على العرش وللمفاهمة معه في خصوص ليبيا(1).

لبى سيادة أحمد الشريف طلب السلطان محمد وحيد الدين، وأناب عن المجاهدين أحمد بن محمد بن أحمد الريفي وأمره بالإنضمام إلى الأمير محمد ادريس بعد سفره، وسافر من البريقة وركب معه الشيخ محمد عبدالله الموهوب، محمد صالح حرب، عثمان الشائقي، عبدالسلام أبو قشاطة، الدكتور عبدالسلام المسلاتي، وصالح بن محمد أبوعرقوب البرعصي، وركب الغواصة في شهر سبتمبر سنة 1918م الموافق ذي القعدة 1336هـ(2).

وجاء على لسان الأمير شكيب أرسلان قوله: (قال لي السيد أحمد الشريف قبل ركوبي الغواصة تحادثت مع الضباط الألمان الذين فيهم وسألتهم عن خطر ركوبها فقالوا لي لايخلو الأمر من الخطر، ولكني ما باليت بذلك لأنني كنت رأيت أستاذي سيدي أحمد الريفي في المنام فقال لي: الشيء الفلاني ستأخذه من بولا، ففي اليوم التالي سألت الضابط هل يوجد محل اسمه بولا؟ فقالوا لي نعم إن المرسى الذي ستنزل فيه من بلاد النمسا اسمه بولا، فاعتقدت أننا بالغو هذا المكان بحول الله وقوته)(3).

اضطرت الغواصة أن تبتعد عن الجزر التابعة لإيطاليا خوفاً من الديناميت المزروع في المدخل، وصادف أن اصطدمت بقمة صخرة كبيرة في قاع البحر وتعطلت محركاتها وخاف قبطانها، والبحارة خوفاً شديداً، وكان أحمد الشريف أثناء ذلك منهمكاً في صلاته، وعبادته التي كانت شبيهة بتسبيح نبي الله يونس عليه السلام عندما كان في بطن الحوت، وفي قعر البحر، فلما أخبروه بالواقع واتم صلاته التي كان فيها ثم قام معهم ببساطة ورباطة جأش وبقدرة الله العلي القدير وسبب دعاء أحمد الشريف إذ بالمحركات تشتغل فجأة وسر الجميع وعادت لهم الطمأنينة وحمدوا الله على النجاة(4)، ولاشك عندي أن احمد الشريف قد تلى قول الله تعالى: ,وذا النون إذ ذهب مغضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين- (سورة الأنبياء، آية 87،86).

وقد عرف عن أحمد الشريف صلته بالله القوية، وكان دائماً يرشد اتباعه الى الالتجاء الى الله القوي العزيز ففي معاركه مع الانكليز وبعد معركة وادي ماجد الثانية انسحبت قوات المجاهدين الى بئر الصريحات ولما لم يجد الجيش ماء بهذا المكان الأخير انسحبت قوات المجاهدين الى بئر يونس على أمل العثور على ماء، ولما لم يجدوا بها ماء كذلك، أشار أحمد الشريف باستسقاء الماء، ففتحت أبواب السماء وانهمر المطر مدراراً حتى رويت قوات المجاهدين ، وظل المطر ينهمر يومين(5).

إن صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة بإجماع علماء المسلمين والاستسقاء طلب السقي من الله تعالى عند حدوث القحط والجدب والتضرر من ذلك، ولاشك أن التقرب الى الله وطلب مرضاته والبر والاحسان الى خلقه من أعظم الاسباب الجالبة لكل خير(6)، وكان احمد الشريف لصدقه واخلاصه يقيض الله له من يدافع عنه في غيبته، فعندما ماكان أحمد الشريف مخالفاً لرأي نوري باشا وجعفر العسكري في شن الهجوم على الانكليز في مصر ولم يوافق على ذلك ، كانت حركة منظمة تشكيلات مخصوصة تشن حرباً أعلامية على أحمد الشريف في استانبول، فقيض الله شكيب ارسلان للدفاع عنه حيث قال : كنت أشم من معية انور باشا رائحة الوحشة من سيدي احمد

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (49/2).

(2) المصدر السابق نفسه (50/2).

(3) انظر: حاضر العالم الاسلامي (153/2).

(4) انظر: الفوائد الجلية (52/2،51).

(5) انظر: السنوسية دين ودولة.

(6) انظر: توضيح الاحكام للبسام (433/2،432).

الشريف، واسمع بعض رجال الدائرة المسماة بدائرة (تشكيلات) التابعة للحربية يلمزون، السيد، ويعزون إليه أموراً ، كنت على يقين أنها بهتان محض، مثل كونه يريد الخلافة لنفسه، ومثل إنه غير مخلص للدولة ومأشبه ذلك، وكان أنور دعاني مرة للأفطار معه في رمضان فقلت له: (إن بعض بطانتك بدأوا يغمزون السيد أحمد الشريف ويشيعون عنه أراجيف يصعب تصديقها، وهذا الأمر يمس جانبك أنت، ولا ينحصر في السنوسية، لأن أكثر مظهرك كان بهؤلاء الجماعة؛ فإن ظهر بعد ذلك أنهم خائنون ، لاسمح الله، فتكون أنت الملوم، ويستدل الناس بذلك على كونك فائل الرأي. وإن كان عندك شيء راهن بحقهم، فصرح لي به لنعلم درجة الخبر من الصحة. قال لي انور رحمه الله: (حاشا ، مايقدر أحد أن يتهم سيدي أحمد الشريف بالخيانة ولكن الانكليز كانوا يخدعونه أحياناً). قلت له : (إن سيدي احمد الشريف لم ينخدع للانكليز، وإنما كان يصانعهم كما يصانعونه، وماتلكأ عن محاربتهم إلا خشية الفشل، إذ كان يعلم أن القوة التي لديه غير كافية للدخول الى مصر، أفلا ترى كيف ان الانكليز مجرد زحف الأربعة آلاف مجاهد الى مرسى مطروح، رموهم بثلاثين ألف مقاتل، وبالمدافع والطيارات، والدبابات، ولولا لطف الله بهم لوقعوا جميعاً أسرى وأخوك من الجملة..) قال لي أنور: (أنا أعطيتهم أوامر بأن يتجنبوا المعارك الفاصلة) فقلت له: (ياسبحان الله: أنت عسكري صنعتك الحرب وأدرى مني بهذه الأمور، أفاذا هاجم الانسان من هو أقوى منه مراراً، أفيبقى له الاختيار في الكر والفر؟) وانتهت هذه المحاورة باقتناع أنور، وتركه مؤاخذة السيد(1).

المبحث السادس

وصول أحمد الشريف الى تركيا

وصل احمد الشريف الى بولا (الساحل النمساوي) بعد أسبوع تقريباً من ارتحاله، وواصل سفره الى فيينا عاصمة النمسا برفقة حاشيته، وهناك أرسل إليه الأمبراطور النمساوي يريد مقابلته، ودون علم السيد أحمد، أجاب يوسف شتوان الأمبراطور بالرفض، ولما علم السيد احمد الشريف بذلك ابدى استياءه، وذكر أنه كان من اللائق مقابلته لاسيما أنه هو الذي طلب المقابلة(2).

وتابع السيد أحمد رحلته الى استانبول، وهناك استقبله كبار رجال الحكومة العثمانية، استقبالاً حافلاً ورسمياً في محطة (سركه جي) حضره بعض المسؤولين العثمانيين، يتقدمهم صديقه أنور باشا وزير الحربية العثمانية، كما حضره ايضاً ابراهيم بك، وإحسان بك كاتب الديوان السلطاني، وفؤاد بك مدير التشريفات، وعلي رضا شيخ الاسلام وأمين الفتوى.

وأنزل بسراي طوب كوبر، التي كانت مقر الخلفاء من آل عثمان(3)، وفي اليوم التالي خصصت له مقابلة

---

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (152،153/2).

(2) انظر: حاضر العالم الاسلامي (154/2).

(3) سراي طوب كبو تقع على ضفة البسفور الغربية أجمل بقعة في استانبول.

رسمية مع السلطان وحيدالدين، الذين منحه وسام النيشان المجيدي من الرتبة الخامسة[1].

ورغم بعد السيد أحمد الشريف عن ميادين الجهاد في ليبيا، إلا أنه واصل جهوده من أجل تحرير ليبيا، وكان له نشاطات على ذلك الطريق الطويل منها:

اتفق مع أنور، والسلطان العثماني على الرجوع، لتقوى به عزائم المجاهدين، وقرر الاتراك مده بالمال، والعتاد والسلاح وتقرر اعطاه 12.000 بندقية مع عدتها، عشر مدافع، وثلاثين رشاشاً و 200.000 جنيه فسأله السيد قائلاً: بلغني من بعض الضباط الطرابلسيين اللذين في خدمة الدولة، انكم تبغونني أقاتل ابن عمي سيدي ادريس، لكونه اتفق مع الانكليز والطليان) فقال له أنور: (معاذ الله أن نبغي منك ذلك، لأننا نعلم أنه لم يبق للاسلام في افريقيا حصن أحصن من هذا البيت السنوسي الكريم، وإنه إن وقع لاسمح الله الشقاق في هذا البيت فسد الأمر، واضمحلت القوة السنوسية التي عليها معول الاسلام في افريقيا، فكن على ثقة بأننا نبغي اتحادكم قبل كل شيء، نصحاً بالاسلام وضناً باستقلاله، وان معاونتنا لكم إنما هي محض حمية على الاسلام، لأن تركيا من جهتها لم يبقى لها أدنى أمل باسترداد طرابلس، ولأننا لانحب إخواننا مسلمي افريقيا تبعة للاجانب)[2].

وتتابعت الحوادث بسرعة البرق، فتغيرت الوزارة في تركيا، وسقط أنور، وندم أحمد الشريف على تأخره عن السفر، وحاول الانسلال من الاستانة الى النمسا، حتى يركب منها الغواصة راجعاً الى ليبيا، واضطر مع دخول الحلفاء الى الذهاب الى بروسه ، وكان الاتراك اينما حل يكرمونه غاية الاكرام، وكان في نيتهم الوقوف مع مجاهدي ليبيا ولكنه سبق السيف العذل، وحصل مالم يخطر ببال، والأمر بيد الله وهو الفعال في ملكه مايشاء، لايسأل عما يفعل وهم يسئلون.

لقد دخلت جيوش الحلفاء الى استانبول واستولت على عموم الولايات والموانئ وعقدوا العزم على إبادة تركيا، وتشتيتها وتقسيمها، واراد الانكليز أن يستغلوا هذا الظرف لصالحهم وبدأوا في تنفيذ مخططهم الهادف الى تدمير الدولة العثمانية بواسطة الاتراك أنفسهم المتصلين بالنوادي الصهيونية، والماسونية، والدول الغربية، وحرصوا على أن يجعلوا منهم أبطال ضد الحلفاء ثم يقومون بتدمير الخلافة الاسلامية، كلياً، وكان من المؤهلين لتنفيذ هذا المخطط الرهيب مصطفى كمال، الذي لبس في بداية أمره ثوب الاسلام ورفع شعار الجهاد لحين من الزمن، وقاد حرب التحرير ضد اليونان التي احتلت ازمير في 16 مايو 1919م وكان يلقي الخطب الحماسية ويقول : (موتنا أعزاء شرفاء خير من حياتنا أرقاء أذلاء تحت اليهود النصارى يلعبون بمقدراتنا ويمتصون دمائنا وأموالنا ويعتدون على أعراضنا وديننا وكرامتنا)[3]، واستطاع أن يقود المقاومة الشعبية الضارية التي فضلت أن تموت في سبيل عقيدتها بدلاً من الرضوخ للأعداء وهكذا ظهر مصطفى كمال في ثوب المسلم الوطني المتدين الثائر وأصبح السلطان تحت قيود الحلفاء، وأصبحت تركيا تحت زعامتي، مصطفى كمال ، والسلطان وحكومته وعمل مصطفى كمال على كسب احمد الشريف لصفه لعلمه لما له من المكانة الروحية العالية في قلوب المسلمين وكان مصطفى كمال ابتداء حركته باسم الدين حتى أنه أمر بإحراق جميع الخمور، وتكسير أدواتها ومعاملها وإبعاد جميع النساء المومسات، وإغلاق دور الدعارة، واصدار أوامر شديدة بلزوم المحافظة على الصلوات في أوقاتها، وجعل يوم الجمعة يوم عبادة للعموم، وأمر بإغلاق المتاجر والمقاهي، والمنتزهات في كل يوم جمعة اعتباراً من وقت الضحى الى بعد صلاة الجمعة، وهكذا تظاهر بهذه الأمور حتى أغرى المسلمين وقالوا هذا مجدد الدين، ومنقذه، ولذلك قرر أحمد الشريف بعد تفكير طويل الذهاب الى الأناضول والإنضمام الى مصطفى كمال رغم ماجاء من الرسل والرسائل من طرف السلطان وحكومته يحذورنه من الانخداع بمظاهر مصطفى كمال المصطنعة، وإدعاءاته الكاذبة ويقولون لسيادته هذه كلها حيل لكسب عطف الشعوب الاسلامية عليه وإذا تمكن فسوف يقلب المجن، ويكون حرباً على الاسلام وإليك ماكتبه الداماد خالد درويش باشا : (يامولانا ياخادم الاسلام يافرع الدوحة النبوية المباركة إياك أن تغتر بمظاهر الدين التي يصطنعها مصطفى كمال

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (52/2).

(2) انظر: الحاضر العالم الاسلامي (155/2).

(3) انظر: الفوائد الجلية (53،54/2).

للوصول الى غايته فإنني ربيته في بيتي، وبين عائلتي، وعرفت ظاهر أمره وباطنه فما في قلبه ذرة من ايمان أو خوف من الله أو مبالاة بما يعمله ودينه هواه ولو تمكن لأضر في الاسلام والمسلمين وأنا كابنك وأخيك ومحبك أقول لك هذا ولولا محبتكم التي ملكت علي جميع جوارحي ما قلته لكم وربما سيكون قولي هذا في يوم من الأيام جريمة نؤاخذ عليها ونسأل الله أن يرشدنا إلى مافيه سعادتنا في الدارين آمين المحب المخلص) الداماد خالد درويش جمادى الاولى 1338هـ[1]. كل ذلك لم يغير عزمه سافر احمد الشريف الى الاناضول ونزل في (اسكشهر) وكان إنضمام احمد الشريف نصراً عظيماً لمصطفى كمال لماله من المنزلة الروحية الكبيرة في قلوب مختلف الشعوب الاسلامية وكان الناس يعتقدون أن احمد الشريف لايميل إلا الى الجبهة التي على الحق، واحتفل به قائد الجبهة في (اسكشهر) المدعو عصمت باشا ودعي الى الاحتفال قادة الجيش، واعيان البلاد ووجهائها وألقى كلمة في ذلك الاحتفال الكبير فقال: إنكم اليوم في ميدان الشرف وإنكم الآن بعملكم هذا تعيدون للاسلام عزه ومجده وتنفضون عنه الغبار الذي علق به وتخلدون بطولتكم وتكتبون في صحائف التاريخ الاسلامي اسماؤكم بحروف من نور وعليكم أن تتموا هذه الرسالة العظيمة التي كلفتم بها، وأن تغنموا هذه المكرمة وفقكم الله وأعانكم[2]، وتأثر بتلك الكلمة الحاضرون وقالوا : يامولانا لقد ايقظتم فينا الهمم، وبعثتم فينا روح القوة، والمقاومة ، والاستماتة في سبيل اعادة عزتنا، ومجدنا ، ولكم علينا عهد الله وميثاقه أن نمضي في هدفنا حتى النصر أو الشهادة ثم توجه احمد الشريف بعد مقامه في (اسكى شهر) الى انقرة بالسكة الحديدية وفي محطة انقرة قابله مصطفى كمال وكافة رجاله، وكان يوماً حافلاً بأنواع المظاهر والزينات، ونزل في منزل مصطفى كمال الخاص به وبدأت اتصالات مصطفى كمال مع السيد أحمد الشريف في أمور كثيرة[3].

أولاً: عرض مصطفى كمال على أحمد الشريف نيابة الخليفة وجهاده مع الأتراك:

عرض مصطفى كمال على أحمد الشريف منصب نيابة الخليفة وقال لسيادته إن كافة الوزارات أصبح لها عندنا وكلاء يقومون باختصاصاتها بصفة مؤقتة حتى تمام النصر إن شاء الله تعالى غير أن مقام نيابة الخليفة لم نجد له من يليق به إلا سيادتكم ونرجوا أن تتموا لنا هذا النقص في جهازنا ولكم علينا ميثاق الله وعهده أننا سنقوم بكل مايترتب علينا نحو هذا المقام، ونرجوا أن تتموا لنا نقصنا هذا فقال له السيد احمد الشريف أنتم الآن مشغولون بما هو أهم مشغولون بصد العدو المهاجم لكم، والمحيط بكم، من كل ناحية وتحتاجون الى من يؤازركم فعلياً في ميادين الجهاد لا من يجلس على الكرسي ثم أنتم فيكم البركة واجراءاتكم حكيمة وصائبة، وأنا أحب أن أساهم معكم فعلياً في جهادكم هذا بقدر استطاعتي في أي جهة كانت وأرجوا أن تعذروني وسوف ياتي الوقت الذي لاتحتاجون فيه الى غيركم، وأنا معكم في السراء والضراء حتى يتم النصر إن شاء الله فقال -له مصطفى كمال- أنا مطمئن ، وواثق من ذلك، وهذا ظني وظن كل من يشاركني في هذه الثورة وفي الحقيقة ماتعلمت هذه الدروس المفيدة ولا تشربت في جسمي هذه الروح الأبية إلا في مدرســـتكم التي اسستموها في برقة المجاهدة، وها أنتم اليوم تؤسسوها عندنا من جديد وبذلك سننتصر بحول الله وقوته وستجني ثمرة جهادنا هذه ببركة مشاركتكم لنا، ووجودكم بيننا فأنت الأب، وأنا الابن وكل ماتراه صالحاً مرناً به ونحن على أتم الاستعداد للتنفيذ وفي اتباعنا لكم شرف لنا[4].

لقد أتقن مصطفى كمال دور النفاق والتدليس قال تعالى : ,ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد، وإذا قيل له اتقي الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد-(سورة البقرة ، آية......).

إن احمد الشريف انخدع لكلام مصطفى كمال الذي مرد على النفاق وتفنن فيه، لأنه اكتفى بالظاهر، وترك

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (57،58/2).

(2) المصدر السابق نفسه (59،60/2).

(3) انظر: الفوائد الجلية (59،60/2).

(4) انظر: الفوائد الجلية (60/2).

الباطن لعالمه سبحانه وتعالى، ولأن مصطفى كمال ظهر بثوب الجهاد، وصد المعتدين فالوقوف بجانبه واجب شرعي هذا رأي أحمد الشريف حسب ظني.

ساهم احمد الشريف بطلب من مصطفى كمال في إخماد ثورة الاكراد وخرج إليهم وألتقى بشيوخهم ودعاهم الى الوحدة والوقوف صفاً واحداً ضد أعداء الدين، وطلب شيوخ الأكراد من أحمد الشريف أن يقيم وسطهم، ويتولى أمرهم، فامتنع عن ذلك وقال: إنما أنا مجمع ولست مفرق، ومصلح، ولست بمفسد، وسمع الأكراد ، وأطاعوا ، وأخذ عليهم مواثيق غليظة لوقوفهم مع مصطفى كمال، وبقي في ديار بكر، ونصيبين ، وماردين، مدة ستة أشهر حتى تحقق تماماً من تهدأة الثورة.

وفي مدة أقامته في ديار بكر كانت القوات اليونانية تتقدم والقوات الكمالية تدافع، غير أن القوات اليونانية انتصرت في عدة مواقع، وقامت بهجمات خاطفة، وجعلت هدفها ، انقرة، فاندحرت القوات الكمالية، أمام الجيوش اليونانية واحتلت الجبهة تماماً، وتحققت حكومة مصطفى كمال من الفشل، وأخلت بلدة أنقرة من كل شيء إلا الجنود(1).

وكانت القوات اليونانية قد استولت على ولاية أزمير وبروسه ومدانيه، وعلى كوتاهيه، واسبارطه، وافيون قره حصار، واسكيشهر، وأخيراً قصدت العاصمة انقرة، حتى لم يبق بينها وبين انقرة إلا عدة كيلومترات، واضطربت الأحوال، وارتبكت حكومة انقرة، وبدأ مصطفى كمال يوالي برقياته المطولة المثيرة الى سيادة أحمد الشريف ويقول لسيادته فيها : تغلب علينا العدو، فاذرعوا الى الله ليدركنا بعنايته، وكانت برقيات مثيرة تأثر منها أحمد الشريف تأثراً بالغاً، ورد أحمد الشريف على برقيات مصطفى كمال وقال له: ثق بالنصر من الله ، ويأتيك الغوث إن شاء الله تعالى ثم انتدب إليه رفيقه في جهاده الشيخ محمد عبدالله الزوي، وأعطاه مصحف شريف، وسيف، وبرنوس من ملابسه، الخاصة وقال له: في كتابه الخاص بعثت إليك بمصحف الله تعالى، وسيف النصر، وكسوة العز والفوز إن شاء الله تعالى، فلما وصل مندوبه الى مصطفى كمال وهو في الجبهة على رأس الجيش المستميت على نهر (سقاريا) سلمه الرسالة، وأعطاه الأمانة، فأمر مصطفى كمال بالتعبئة العامة، والهجوم المعاكس على العدو، ورتب الجبهة وفي الصباح اليوم الذي قرر فيه بدء الهجوم جمع القادة يتقدمهم رئيس اركان حربه فوزي باشا، وعصمت باشا، ورأفت باشا، وغيرهم ثم لبس البرنوس المرسل له من السيد احمد الشريف، وتقلد السيف، وعلق المصحف الشريف ثم تقدم وصلي بهؤلاء القادة ركعتين بحضور محمد عبدالله الزوي، وتضرعوا الى الله وطلبوا منه العون والنصر ثم اطلق مصطفى كمال من يده رصاصة الهجوم وبدأت معركة الاستماتة، ودامت ثلاثة أيام بلياليها، فني خلالها ماينوف على العشرين الفاً من الاتراك، ومايزيد على الثلاثين ألفاً من اليونان، واختلت في نهايتها مقدمة جيش اليونان، وولت فلوله على أعقابها وتعقبتها الجيوش الكمالية، وكان ذلك بداية الانتصار النهائي على اليونان(2).

وبعد ذلك الانتصار الحاسم ورجوع الحكومة الكمالية الى انقرة زار احمد الشريف مصطفى كمال مهنئاً بالنصر، واحتفلت به الحكومة التركية، ثم ذهب الى طرسوس، وفي أثناء اقامته بها قام مصطفى كمال بجولة تفقدية في انحاء الاناضول، وعرج على ولاية أظنة وأتى خصيصاً لزيارة احمد الشريف، فأقام احمد الشريف لمصطفى كمال حفلة غذاء فخمة حضرها كل من معه من القادة، كما حضرها عموم أعيان البلاد ووجهاؤها، والموظفون ، وفي اثناء جلوس الجميع على المائدة وقف مصطفى كمال وقال مخاطباً لقادته الحاضرين باللغة التركية (أيها الأخوان اسمحوا لي لأعرفكم بمن نحن في حضرته، وعلى مائدته نحن الآن في حضرة فخر

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (64،65/2).

(2) انظر: الفوائد الجلية (65،66،67/2).

المسلمين، وحفيد سيد المرسلين، المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسي، معلمنا الأول ، ومؤسس أول مدرسة في برقة كنا وفدنا إليها، وتلقينا دروس الجهاد، والمقاومة، والدفاع عن النفس، والدين ، والوطن بها، وهذا ويشير الى سيادة احمد الشريف، هو الذي غرس في نفوسنا شجرة الدفاع الثابتة، وهو الذي آزرنا في محنتنا القاسية، وشجعنا بافكاره، وآرائه الصائبة حتى نلنا شرفنا ، وعزتنا، وانقذنا من براثن الاعداء بلادنا، فله من الحكومة والشعب التركي؛ كمال الشكر، والتقدير، ثم اختتم كلامه وجلس فقابله سيادته بكلمات شكر. وقال الشكر لله وحده هو الذي أيدكم ونصركم، ومزق أعداءكم بسبب جدكم واجتهادكم وتوحيد صفوفكم ونرجو من الله لكم مزيد التوفيق؟

وبعدإقامته في طرسوس لمدة سنة تقريباً انتقل أحمد الشريف الى مرفأ مرسين، وفي اثناء اقامته وفد إليه صديقه الحميم أمير البيان الأمير شكيب ارسلان واتت بعض وجوه الناس من ليبيا، وارسل الرسائل الى ابن عمه محمد ادريس، والى قائد حركة الجهاد الغر الميمون عمر المختار يحثه على مواصلة الجهاد(1).

ثانياً: شكيب ارسلان يصف أحمد الشريف:

(فلما جئت الى مرسين ذهبت تواً لزيارته؟ فأبى إلا أن أنزل عنده ، ريثما اكون استأجرت منزلاً في البلدة، وقد رأيت في هذا السيد السند بالعيان، ماكنت أتخليه عنه بالسماع وحق لي والله أن أنشد:

كانت محادثة الركبان تخبرنا
عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ماسمعت
اذني بأحسن مما قد رأى بصري

رأيت في السيد حبراً جليلاً، وسيداً غطريفاً، وأستاذاً كبيراً، من أنبل من وقع نظري عليهم مدة حياتي، جلالة القدر، وسراوة حال، ورجاحة عقل، وسجاحة خلق، وكرم مهزة، وسرعة فهم، وسداد رأي، وقوة حافظة، مع الوقار الذي لاتغض من جانبه الوداعة، والورع الشديد في غير رئاء ولاسمعة. سمعت أنه لايرقد من الليل أكثر من ثلاث ساعات، ويقضي سائر ليله في العبادة، والتلاوة والتهجد، ورايته مراراً تنضج بين يديه السفر الفاخرة اللائقة بالملوك فيأكل الضيوف والحاشية ويجتزئ هو بطعام واحد لايصيب منه إلا قليلاً؛ وهكذا هي عادته وله مجلس كل يوم بين صلاتي الظهر والعصر لتناول الشاي الأخضر الذي يؤثره المغاربة، فيأمر بحضور من هناك من الاضياف ورجال المعية، ويتناول كل منهم ثلاثة أقداح من شاي ممزوجاً بالعنبر؛ فأماهو فيتحامى شرب الشاي لعدم ملائمته لصحته، وقد يتناول قدحاً من النعناع ، ومن عادته أنه يوقد في مجالسه غالباً الطيب، وينبسط السيد الى الحديث، وأكثر أحاديثه في قصص رجال الله وأحوالهم ورقائقهم، وسير سلفه محمد بن علي السنوسي، والسيد المهدي وغيرهم من الاولياء والصالحين...)(2).

(والسيد احمد الشريف سريع الخاطر، سيال القلم، لا يمل الكتابة أصلاً، وله عدة كتب...)(3).

(وقد ذرف السيد المشار إليه على الخمسين ولكن هيئته لاتدل على وصوله الى هذه السن، لندرة الشيب في شعره، وهو رائع المنظر، بهي الطلعة، عبل الجسم، قوي البنية، لايمكن أن يراه أحد بدون أن يجله

(1) انظر: الفوائد الجلية (68،69/2).

(2) انظر: حاضر العالم الاسلامي (159/2).

(3) المصدر السابق نفسه (161/2).

ويحترمه)(1).

ثالثاً: القضاء على سلطنة آل عثمان:

بعد الانتهاء من حروب اليونان تهيأت القوات الكمالية، لدخول ولاية استانبول وبعد حصار دام مايقارب من الأربعة أشهر، ومحاولات طويلة مع دول الحلفاء تم الاتفاق على اخلاء استانبول من قوات الاحتلال، وبذلك تحقق السلطان محمد وحيد الدين عدم قدرته على مقابلة القوات الكمالية، فقرر هو وحكومته الجلاء عن استانبول، والالتجاء الى بعض دول اوروبا، وبذلك انطوى ملك آل عثمان بعد حكمهم للممالك الاسلامية مدة تزيد على السبعمائة سنة، فسبحان الذي لايزول حكمه ولايذل سلطانه ,قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير- (سورة آل عمران ، آية).

وقد تحدثت عن الدولة العثمانية في عوامل نهوضها واسباب سقوطها منذ النشأة حتى النهاية في كتابي السادس (صفحات من التاريخ الاسلامي).

بعد أن دخلت القوات الكمالية بلدة استانبول نصبت ولي العهد الامير عبدالمجيد ولقبته بخليفة المسلمين لمدة ستة أشهر تقريباً دون أن يكون له أي حل أو ربط، أو أي مظهر رسمي، أو صفة رسمية، وإنما هو ذر للرماد في عيون المسلمين، وتسكيناً للحالة حتى لا يثور المسلمون ويطالبون ببقاء الخلافة ثم تدرجت حكومة مصطفى كمال بعد أن تمكنت من الوضع وخلعت الخليفة الصوري عبدالمجيد، وأبعدته كما أبعدت كل من له صلة أو محبة، أو انتماء لآل عثمان وفي ذلك اليوم قال أحمد الشريف كلمته المشهورة: مازال أحمد الشريف (يعني لم يبقى أمام مصطفى كمال إلا أحمد الشريف).

بدأت نوايا مصطفى كمال الشريرة تظهر رويداً رويداً، فتدخل في الاحكام وغيرّ القوانين الشرعية، فانزعج احمد الشريف غاية ، وغضب نهاية، وخاطب مصطفى كمال وقال له: أننا والمسلمون لم نناصرك، ونقف معك إلا لأجل حفظ كيان الدين الاسلامي، والتمس منه إعادة النظر سريعاً في الموضوع، كما حضه على التمسك بعرى الدين، الذي به انتصر، واكتسب عطف الشعوب الاسلامية عليه؛ فلم يرق هذا الكلام لمصطفى كمال وعده تدخلاً في سياسته الشيطانية.

لقد كان مصطفى كمال أفعى يهودية بحق ، وماسوني متضلع، وحاقد على الاسلام والمسلمين، اتقن فنون الكيد والمكر والخداع، ولما تمكن من تركيا وشعبها قام بألغاء الخلافة الاسلامية ، وفصل تركيا عن باقي اجزاء الدولة العثمانية، دولة الاسلام واعلن بكل وقاحة العلمانية في دار الخلاقة، وفصل الدين عن الدولة، واضطهد علماء المسلمين ابشع اضطهاد، وقتل منهم العشرات، وعلق جثثهم على أعواد المشانق، واغلق كثيراً من المساجد، وحرم الأذان، والصلاة باللغة العربية، وأجبر الشعب على تغيير زيه الوطني، وألزم الناس بلبس الزي الأوروبي، وألغى وزارة الأوقاف ومنع الصلاة في جامع آيا صوفيا وحوله الى متحف، وألغى المحاكم الشرعية، وفرض القوانين السويسرية ، وفرض العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدل من يوم الجمعة، وألغى استخدام التقويم الهجري، واستبدله بالتقويم الميلادي، وألغى قوانين الميراث، والزواج، والأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الاسلامية، وحرم تعدد الزوجات ، والطلاق وساوى بين الذكر والانثى في الميراث، وشجع المرأة التركية، والفتيات على الدعارة، والفجور، واباح المنكرات، وضرب من نفسه المثل الأعلى على انحطاط الخلق والادمان على الخمر والنساء والانحلال، ومارس عن طريق حزب الشعب الارهاب والبطش بالشعب التركي المسلم(2).

واصبح مصطفى كمال مثلاً أعلى لكل طاغية مفسد في بلاد المسلمين، يقتدى به في كافة اموره بداية في لباس ثوب الدين حتى يتمكن ثم خلعه وكشف الفجور، والفسوق، وعلى العلماء والدعاة أن ينتبهوا لهؤلاء المجرمين الذين يستغلون الشيوخ، والعلماء، والدعاة، لحين ثم يضربون بهم عرض الحائط، ويعلقونهم على المشانق، او

---

(1) المصدر السابق نفسه (164،165/2).

(2) انظر: الأفعى في معاقل الاسلام، عبدالله التل ، ص94،95.

يفتحوا لهم ابواب السجون على مصرعيها، وكم من طاغية متكبر لايؤمن بيوم الحساب مكن نفسه بواسطة الدين، وعلمائه إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إن مصطفى كمال يعتبر مرتداً ملحداً زنديقاً خارجاً عن الاسلام ، وهو أول من جاهر بالعلمانية، كنظام دولة نظرية وتطبيقاً وما قام به مصطفى كمال في حقيقته تنفيذاً لمخططات قديمة اشرف على تنفيذها اليهود، والماسون والنصارى، ومارس الانكليز ضغوطهم بالقوة بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى 1914م - 1918م وقال وزير خارجية بريطانيا يومئذ (كرزون) بأنهم لايستطيعون أن يتركوا تركيا مستقلة حتى لايجتمع المسلمون حولها مرة أخرى، وعندئذ طمأنهم مصطفى كمال بأن استقلال تركيا لن يكون خطراً عليهم في المستقبل، فأملى الانكليز شروطهم المعروفة بشروط (كرزون) الأربعة:

1. أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام.
2. أن تلغى الخلافة.
3. أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.
4. أن تختار لنفسها دستوراً مدنيا بدلاً من الدستور، العثماني المستمد من أحكام الشريعة الاسلامية على حدودها(1).

وفرضت معاهدة لوزان التي ذكر فيها الشروط السالفة سنة 1340هـ/1923م على تركيا.

لقد اتفق الغرب الحاقد والصهيونية الماكرة، والماسونية الخادعة، على تسليم تركيا لأبشع حركة تغريب، وتدمير للقيم الاسلامية.

رابعاً: طرد أحمد الشريف من تركيا وهجرته الى الحجاز:

ومن طرف خفي بدأت السلطات التركية تضايق أحمد الشريف وتعد عليه أنفاسه، وأحكمت الرقابة على كل من له تعلق بالسيد، أو يزوره، وعلى المكتابات الواردة إليه، والصادرة منه، ثم سحب بعض الجنود والضباط الذين كانوا مرافقين للسيد للقيام بحراسته وخدمته، ومرافقته، وأخيراً توقفت المصاريف التي كانت تعطى لسيادته لمدة أربعة أشهر، واشتدت الضائقة في بلاد الغربة، وقام الأتراك المحبين للسيد بالقيام بواجب الضيافة، وخشيت الحكومة حدوث مالاتحمد عقباه، فقلبت المجن وعدلت عن خطتها وسارعت بحوالة الصرف، وبدأت تكيد في الخفاء لإيجاد أمر تدين به سيادة أحمد الشريف، فأرسلوا إليه شخص أدعى أنه طالب علم وطلب منه أن يعطيه تزكية لحفيد السلطان عبدالحميد (الشهزادة سليم) الذي كان مقيماً في بيروت ليعينه على مهمته وهي وصوله الى مصر لطلب العلم بالجامع الأزهر، وبالغ الطالب الذي يدعى ضياء الدين جودت في الترجي والاستعطاف ، والتردد حتى أخجل أحمد الشريف، فكتب إليه؛ إن حامل هذا الكتاب إليكم هو أحد طلبة العلم المحتاجين للمساعدة ويأمل أن تمدوا له يد العون بقدر المستطاع لاتمام مهمته وإذ بالكتاب يصل الى مصطفى كمال الذي طلب من مجلس الحكومة الاجتماع وقرأ عليهم الرسالة: فقالوا هذه خيانة عظمى للدولة وقرروا حالاً إبعاد سيادة أحمد الشريف عن تركيا في مدة لاتتجاوز العشرة أيام أو ألزامه بالاقامة الجبرية في قرية عثمانية تابعة لولاية أظنه

---

(1) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، جمعة الخولي، ص100.

مدة حياته دون اتصاله بأحد ما، وبذلك أبلغت حكومة أنقرة أمرها هذا لسيادة أحمد الشريف بواسطة والي الولاية أظنة فقال أحمد الشريف عندما سمع القرار: كنت أتوقع هذا منذ خلع عبدالمجيد لأن بقائي في تركيا لايروق لمن يريد أن يتلاعب بأمر الشرع الشريف، ويطمس معالم الدين الحنيف وإنني أختار الخروج من تركيا، وهذا جزاء معاضدتي، ومناصرتي لها وسوف تخسر تركيا ميزتها بين عموم الشعوب العربية، والأمم الاسلامية، فرفع الوالي اختياره وبذلك حددت لسيادته اقامة عشرة أيام، وتحصل على تأشيرة لدخول سوريا لمدة محدودة ونزل في دمشق ضيفاً على سعيد الجزائري حفيد المجاهد عبدالقادر الجزائري، وفرح به أهل الشام فرحاً عظيماً، وتوافد الاعيان، والشيوخ، والزعماء لزيارته ، ونشطة الحمية الاسلامية، وزار القدس ونزل ضيفاً عزيزاً على أمين الحسيني رئيس المجلس الأعلى الاسلامي، وضايقه البريطانيون من أجل خروجه من القدس ورجوعه الى دمشق، وعاملته فرنسا معاملة حذرة وطلبت منه الخروج، وارادت إيطاليا أن تستغل الموقف، وعرضت عليه مساعدات، والرجوع الى ليبيا للتفاوض مع الحكومة الايطالية من أجل مصلحة البلاد، والعباد، فأجاب السيد الجليل، والجبل الشامخ -رحمه الله- : أما وأنا خارج حدود الوطن، فلن أساوم أو أصالح على شبر منه، كما لاحق لي في ذلك، وإذا كانت الحكومة الايطالية صادقة في قولها؛ فعندها الأمير السيد محمد ادريس المهدي السنوسي في مصر، وعندها رؤساء الوطن، فتتفاهم معهم وهم أسهل لها وأخف شروطاً مني وبهذا قفل باب المفاوضات(1)، ولقد قال لمندوب الحكومة الايطالية في تركيا من قبل: (...لأن طرابلس وبرقة ليستا ملكي لأجود به على الطليان، بل هما ملك أهلها)(2).

واشتد ضغط الحكومة الفرنسية على سيادة السيد أحمد الشريف للخروج من سورية، فطلب مقابلة القنصل الانكليزي بدمشق فقدم الى سيادته وبعد مقابلة المجاملة قال له إني أريد الخروج من سوريا الى الحجاز عن طريق شرق الاردن ، فقال القنصل : الحكومة الانكليزية لاتوافق ؛ فقال له : إذاً إلى العراق، فقال له أيضاً لاتوافق ، فقال له الى مصر ، فقال له ملك مصر لايوافق، فقال له الى اليمن أو الهند أو السودان، فقال له لانوافق وكل بلد يعتليه العلم البريطاني لايمكن أن تدخلونه، فغضب أحمد الشريف، واشتاط غضباً وقال للقنصل: (إذاً مفاتيح الدنيا كلها بيد الانكليز؟ أليس الأرض كلها لله وأن الأمر بيده ثم قال له أما أنا؛ فسيجعل الله لي فرجاً ومخرجاً وإما الحكومة البريطانية والله ثم والله سيأتي يوم تندم فيه على هذا التصرف(3)، وستخسر كل ماتحت يدها من الممالك، وستندم ولاينفعها الندم) فقال القنصل كالمستهزئ عندكم طريق نجد ، فقال له نعرفها ولا حاجة لدلالتكم، فغضب القنصل وخرج محمر الوجه(4).

يقول عبدالقادر بن علي بعد فترة من الزمن: وهاهو اليوم تحقق ماأقسم عليه سيادته، فقد خرج العراق وشرق

---

(1) انظر: الفوائد الجلية (81/2،73).

(2) انظر: حاضر العالم الاسلامي (158/2).

(3) انظر: الفوائد الجلية (81/2).

(4) انظر: الفوائد الجلية (81/2).

الاردن ، والهند، ومصر، والسودان، ... وغيرها من يد الانكليز (1).
واتصل سعيد الجزائري بمندوب الملك عبدالعزيز في دمشق الشيخ عبدالعزيز الشقيحي ، وعرض عليه رغبة السيد أحمد الشريف للحجاز واتصل مندوب الملك، وجاء الرد بالموافقة ، وبدأت الرحلة الى الحجاز عن طريق اراضي نجد، تأخذ وضعها للاستعداد وأعدوا ثلاث سيارات مع ثلاث خبراء بمبلغ 270 جنيه ذهب، ولم يكن هذا المبلغ متوفراً وضايقته السلطات الفرنسية وهددته، بإرجاعه الى تركيا وعندما ضاق الأمر، واشتدت الكربة جاء فرج الله وكان السبب الأمير شكيب ارسلان الذي أرسل للسيد أحمد الشريف 400 جنيه استرليني اهداها الشيخ جاسم بن ابراهيم احد تجار اللؤلؤ بمباي (قد جعل الله لكل شيء قدرا)؛ فعندما جاء الخبر لأحمد الشريف خرّ ساجداً لله تعالى يحمده، ويشكره على هذا الغوث الرباني، والمدد الالهي ثم رفع رأسه ، ورفع يديه الى السماء وقال فرجت علينا ياشكيب فرج الله عنك كرب الدنيا والآخرة، وساعدتنا في محنتنا ساعدك الله على أمور دينك ودنياك، ودعوات كثيرة نالها شكيب ارسلان بسبب ارسال ذلك المبلغ ووصوله في الوقت الحرج.
قال تعالى: ,ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب۞ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً- (سورة الطلاق، آية).
وتحركت الرحلة الى الحجاز عن طريق نجد، وكانت عناية الله وحفظه ورعايته محيطة به، ووصل الى منطقة الجوف (دومة الجندل) ، وظن أهل المنطقة إنهم أعداء فألقوا القبض عليهم، وبعد أن عرف أميرهم عبدالله بن عقيل إن الذي أمامه أحمد الشريف السنوسي صاحب الجهاد في برقة وطرابلس، وأنه يقصد حج بيت الله الحرام ثم زيارة الملك عبدالعزيز بن سعود، فارتمى عليه الرجل وعانقه ورحب به، واعتذر لسيادته، واحسن نزله وأرسل الى الملك عبدالعزيز فرد عليهم، بإكرامه واحترامه وارجاع السيارت الى محلها لأن هذا من إكرام أحمد الشريف لأن الأمير عبدالله بن عقيل فكر في إحراقها، وكانت هذه السيارات هي أول سيارات تشق هذا الطريق وتقطع هذه الصحراء العظيمة، وكان قد أشيع أن أحمد الشريف مات في الصحراء هو ومن معه، ونهبتهم الأعراب، ولم ينفي هذه الاشاعات إلا رجوع السيارات الى دمشق واستمر في رحلته حتى وصل مكة واعتمر ثم جاءه وفد الملك عبدالعزيز ثم سافر الى جدة وألتقى بالملك عبدالعزيز فأكرمه واحسن نزله، وأصبح في ضيافته، وقدم خدمات عظيمة للاصلاح بين القبائل وتوحيدها تحت زعامة الملك عبدالعزيز الذي كان يحارب الحسين بن علي في جدة، وأصبح أحمد الشريف يتردد بين مكة والمدينة في ضيافة الملك عبدالعزيز (2).

خامساً: نصيحة الملك عبدالعزيز لأحمد الشريف:

في عام 1346هـ أراد احمد الشريف أن يحج بيت الله الحرام في ذلك العام، فأهل من ذي الحليفة وعند وصوله الى جدة، وجد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بها نازلاً في بيت أحد وجهاء جدة المسمى الشيخ محمد حسين نصيف، وزار أحمد الشريف الملك عبدالعزيز، وطلب الملك منه البقاء في جدة، لمدة يومين لأمر خاص وتم اللقاء بين الملك عبدالعزيز وأحمد الشريف وكان المقصود من هذا الاجتماع هو التفاهم والمباحثة، لايجاد طريق لحل مسألة الحرب القائمة في برقة، وعرض عليه فتح باب المفاوضات مع الحكومة الايطالية، وعقد هدنة على شروط تعودون بموجبها الى وطنكم وتتداركون البقية الباقية من اهله المتعبين وقال الملك عبدالعزيز: إن أهل وطنكم في ذمتكم ويحتاجون الى تفكيركم في راحتهم، وتداركهم قبل القضاء عليهم، وهما مهما يقاومون فلابد أن يكلوا لأن هذه الحكومة قوية قائمة ولديها مايحتاجون من لوازم الحرب، وعقد الهدنة معها يجعل لكم فرصة تجتمعون خلالها بأهل وطنكم وتلمون شتاتهم، وترتبون أموركم على حسب ما تستطيعون من مصالحة او محاربة فيما بعد، وهذا الذي دعاني الى طلبكم فأجاب أحمد الشريف: صدقتم في كل ماقلتم ولكن ياحضرة الملك الحكومة الايطالية، غادرة وماكرة ولا عهد لها، ولا ذمة، وإذا كانت صادقة في رغابتها فعندها أهل الوطن، وهم المحاربون لها، وأمامها الأمير السيد محمد ادريس المهدي السنوسي عرفته وعرفها، وهو ينوب عني وعن أهل الوطن فتتفاهم معه، وهو أهون لها مني وألين، أما أنا مادمت خارجاً عن الوطن بعيداً عنه فلن نساوم فيه،

---

(1) المصدر السابق نفسه (81/2).

(2) انظر: الفوائد الجلية (88/2 الى 120).

وحكومة ايطاليا تريد أن تحكم الوطن باسمي نظير اغرائها باموالها ووعودها الخلابة، وأنا أريد تخليص الوطن منها كلياً، كما سيكون ان شاء الله عاجلاً او آجلاً، ولذلك ارجو أن تتموا احسانكم لي ، وتساعدوني على هجرتي، واعفائي من ألاعيب إيطاليا، وعدم انشغالكم وإنشغالي بما لايأتي بنتيجة، فقال الملك عبدالعزيز –رحمه الله- أما مساعدتكم على هجرتكم فهذا حاصل إن شاء الله ، ولا لنا فيه جميل، وأما موضوع الوطن وأهله، فأنتم أدرى به، ولن نشغلكم ثانياً إن شاء الله، نرجو الله أن يقدر للجميع مافيه الخير والنصر والتوفيق(1).

ثم توجه أحمد الشريف الى مكة وأدى مناسك العمرة ثم أدى مناسك الحج ثم رجع الى المدينة، وكان يتصل بأهل ليبيا عن طريق الحجاج ويجمع لهم الأموال والمساعدات ويقوم بتوجيههم خير قيام.

سادساً: وفاته:

أخذ أحمد الشريف بعد وصوله للحجاز يتنقل بين المدينة المنورة ، ومكة المكرمة وإذا بداعي الموت يناديه في تمام الساعة الثامنة من يوم الجمعة 13 ذي القعدة سنة 1351هـ الموافق العاشر من شهر مارس سنة 1933م في الزاوية السنوسية في المدينة المنورة(2) أثر مرض عضال لم يمهله، ودفن في مقبرة البقيع قرب قبر الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة(3)، بعد أن عاش أحدى وستين سنة قضاها في خدمة الاسلام والمسلمين، ورفع شأن الدين، ومجاهدة الكافرين الغاصبين في شتى الميادين، فعليه وعلى أمثاله الرحمة والمغفرة والرضوان من رب العالمين وأعلى الله ذكره في المصلحين.

سابعاً: صدى وفاة أحمد الشريف في العالم الاسلامي:

نشر بمجلة اللطائف المصورة بعدد 20945مارس سنة 1933م مايلي:

يوم 11 الجاري نعت برقيات الحجاز السيد أحمد الشريف السنوسي الكبير؛ فكان لنعيه رنة حزن مرير اعادت الى الاذهان تلك الجهود الجبارة، والتضحيات الغالية التي بذلها هذا الفقيد العظيم في نشر الاسلام، وتثقيف أهل البيد، ومكافحة الاستعمار الايطالي سنوات عديدة، قضاها أرسخ مايكون ثباتاً وإيماناً؛ فقد كان للفقيد نفوذ روحي عجيب استطاع به أن يعمم دعوته في احشاء الصحراء وشمال أفريقيا، وأعمال السودان، ولما اغارت ايطاليا على طرابلس منذ ربع قرن ثارت نخوته الوطنية الدينية ووقف يدافع عن وطنه ودينه مثيراً روح العزم والقوة في أنفس العربان ثم انظم الى الاتراك ضد الايطاليين إلا أن تركيا اشتغلت بالحرب البلقانية الثانية سنة 1911م، فضل الفقيد يناضل وحده في الميدان، وصمد به مايزيد عن ثلاث سنوات استطاع خلالها بجلده، ومضاء عزمه، ويقينه مع قواته القليلة أن يقهر القوات الايطالية المنظمة الكبيرة، ويلحق بها الهزائم والخسائر حتى أرغم إيطاليا على طلب الصلح معه على يد الخديوي السابق عباس حلمي، فرفضه قائلاً إني لا أصالح أبداً دولة مسيحية على شبر من أرض للمسلمين، واستمر في جهاده المستميت الى آخر سني الحرب العالمية، حيث سافر الى تركيا ، وعرضت عليه الخلافة الاسلامية ، فرفضها... وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ألتجأ الى بلاد الحجاز، وضل فيها اربعة عشر عاماً بعيداً عن وطنه محتفظاً بإيمانه وتقشفه ، ووطنيته الى أن لبى نداء ربه وله في القلوب أفعم الذكريات ...)(4).

فرح إيطاليا بموته:

---

(1) انظر : الفوائد الجلية (122،123/2).

(2) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص179.

(3) انظر: برقة العربية ، ص323.

(4) انظر: برقة العربية ، ص324.

أعلنت إيطاليا وفاة السيد أحمد الشريف على لسان وزير مستعمراتها وقتذاك الجنرال دى بونو داخل قاعة المجلس الفاشيستي المنعقد حينذاك فقال: مات السيد أحمد الشريف السنوسي بالحجاز، متأثراً بالشلل، وبموته ماتت جميع مخاوفنا في افريقيا وقال أيضاً مامعناه أن موت هذا الرجل العدو اللدود لنا يجعلنا نطمئن لجميع أعمالنا، ومقاصدنا الدينية في شمال أفريقيا، وقد كتبت أكثر الصحف الايطالية يومية كانت أو اسبوعية في فصول عقدتها حول تصدع ذلكم الصرح العظيم(1).

شكيب ارسلان يأبنّ أحمد الشريف في عنوان كبير بقية السلف الصالح وخاتمة المجاهدين:

لم يشعر بالخوف قلبي فيما عدا المصائب التي رزئت بها في أفراد عائلتي مالأشعره النبأ الصادع، والخبر الفاجع الذي نقل الى الآفاق نعي الاستاذ الأكبر، والسراج الأزهر خاتمة المجاهدين، ومثال الغزاة المرابطين ، السيف الباتر على هدى الصحابة الكرام في العصر الحاضر محي مآثر الأوائل في ايام الأواخر سيدي أحمد الشريف ابن سيدي الشريف ابن سيدي محمد بن علي السنوسي رضي الله عنه وعن سلفه وأرضاهم وجعل في جوار قدسه مأواهم.

إن فجيعة العالم الاسلامي بهذا الرجل الكبير من رجاله، بل بهذا الجبل الراسي من جباله هي من الحوادث التي تشغل مكاناً خاصاً في تاريخ مصائب الاسلام الذي أصبح أغنى تواريخ الأمم بالمصائب، وان هذا الفقيد العظيم لو عاش في زمن السلف الصالح وأيام الغزوات العربية والفتوحات العمرية لما كان مكانه في ذلك الوقت ليقصر عن مكان أحد من أولئك الابطال الذين نشروا الاسلام في الخافقين ورفعوا لواءه من نهر الرون الى جدار الصين، فما ظنك وهو قد جاهد هذا الجهاد كله، ووقف مدة عشرين سنة في وجه دولة من الدول العظام في عصر دثرت فيه معالم الجهاد، وانطفأت جذوة الاسلام حتى لم يبق منها إلا الرماد، واستولى اليأس على قلوب المسلمين حتى حسبوا كل مقاومة لدولة أوروبية ضرباً من ضروب الحماقة، وعم ذلك جموعهم الحاضر منهم والباد، وانتشر في الربى والوهاد، ومع هذا فإن سيدي أحمد الشريف السنوسي قد أتى ببرهان ساطع، ودليل قاطع على أن فئة من المسلمين في قطر لايتجاوز عدد أهله عدة مئات من الألوف يمكنها بقوة الارادة ، وثبات العزم، ومضاء الصريمة، وإباء الضيم، وترجيح المعنى عن المادة، وإيثار الشرف على الترف، وامتلاء القلوب بالايمان، ووقف النفوس على اعتزام عزائم الاسلام ان تثبت مدة 240 شهراً ، بازاء دولة عدد أهلها اثنان واربعون مليوناً مجهزة بجميع ماهي مجهزة به عظيمات دول العالم المتمدن لها من فيالق البر وأساطيل البحر، وسيارات الكهرباء، والمحلقات في الفضاء ما لاتملك أعظم منه دولة من الدول القاعدة في الصف الأول في ممالك الأرض.

وقد يقول المتعنتون الذين في قلوبهم مرض والذين لايروقهم إلا أن يروا الاسلام ذليلاً مهيناً: وماذا أفادنا قيام السيد السنوسي في وجه إيطاليا، وهل كان ذلك إلا سبباً في زيادة قهر المسلمين ، وإرهاقهم ، بأفانين الظلم، وأساليب الاستئصال في طرابلس الغرب؟ فلو كان هؤلاء الاهالي قد خضعوا من بداية الأمر للدولة التي قد احتلت بلادهم وقضي الله بسيادتهم عليهم لربما كانوا قد نجوا من العذاب المقيم الذي هم فيه والخطوب التي أبادت خضراءهم، ومأأشبه ذلك من الاعاليل التي تفيض بها قرائح النفوس الخاملة المولعة بالاستحذاء للأجنبي أيا كان.

وجوابنا على ذلك بسيط وهو: إننا مارأينا أمة اوروبية مهما قل عددها وانقطع مددها، قد رضيت بالاستحذاء لدولة اوروبية عظيمة مهما علا سلطانها، وغلظت ملكتها في الأرض؛ بل القاعدة عند الأوروبيين -الذين هم قدوة الشرقيين الآن في جميع المآخذ والمتارك- هي أن الأمة المستقلة لابد لها من أن تذود عن حوضها وتدافع بغير دفاع فالموت أولى به من الحياة بلا نزاع. وأن بقية السيف مهما قلت هي أشرف مقاماً، وأرجى حياة من الكثرة المستنيمة الى الذل ولو كان كالجراد المنتشر ، وقد حققت الحوادث، وأيدت التجاريب أن الخضوع ليس من أحسن الوسائل التي تعالج بها عداوة الأعداء وأن قول الشاعر:

قاتل عدوك باللسان

وإن قدرت فبالسنـــــــــــان

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص325.

إن العداوة ليس

يصلحها الخضوع مدى الزمان

لاتزال هي الحقيقة السياسية التي تدين بها دول العالم الحديث، كما دانت بها دول العالم القديم. ولعمري لو خضع الطرابلسيون من أول الأمر أكمل الخضوع لايطاليا لما كان لذلك نتيجة سوى زيادة الطغيان في معاملتهم واستخفافهم بملتهم، وامتداد أيدي الأوروبيين دون أدنى تردد الى كل قطر من الأقطار الاسلامية قياساً على قضية طرابلس، واعتقاداً بأن هذه الامة قد فقدت حسيس الحياة فهي لاتبدي ، ولا تعيد، ولا تفعل فيها الأسنة ولا السهام لأنه مالجرح بميت ايلام.

قد استشهدنا على صحة المقاومة ولو كان المعتدي قوياً، والمعتدي عليه ضعيفاً بالقاعدة السياسية والمبادئ الاساسية التي يسير عليها الأوروبيون حرباً وسلماً، وعملاً وعلماً ، ولم تتعرض الى مايجب من ذلك على المسلمين الذين ينهاهم كتابهم عن الخضوع للاجنبيين عنهم ويقول لهم : ,... إن كان اباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين...- ولم يكن تقديمنا الحجة الاولى لكوننا أشد بها اقتناعاً من الحجة الثانية، ولكن لمعرفتنا أن مثل هؤلاء المصابين بمرض الافتتان بالسلطة الأوروبية ليسوا ممن يقبلون الجدال على قاعدة الأوامر والنواهي القرآنية، وإنك إن لم تستظهر عليهم بكتاب أوروبي أو سنة غربية لم يفدك الأخذ والرد معهم شيئاً.

فالسيد أحمد الشريف السنوسي هو خاتمة مجاهدي الاسلام الى هذا الوقت قد سبقه الشيخ شامل الداغستاني الذي قاوم الروسية أربعين سنة، والامير عبدالقادر الجزائري الذي ناهض فرنسا 17 سنة، وتبعه في الجهاد واقتدى بسيرته محمد عبدالكريم الخطابي الريفي الذي كانت مقاومته قصيرة ولكنها عريضة تواقف فيها مع دولتي فرنسا وأسبانيا معاً وجهاً لوجه وزلزلنا في حربه زلزالاً شديداً ولولا السيد أحمد الشريف رحمه الله تعالى لكانت ايطاليا استصفت قطرى طرابلس ، وبرقة من الشهر الاول من غارتها الغادرة عليهما واننا لانزال نذكر كلام القواد، ورجال السياسة الاوروبية عن الحملة الايطالية يوم جردتها ذينك القطرين إذ قال بعضهم إن إيطاليا ستقبض على ناصية الامر ، وتستكمل هذا الفتح في مدة 15 يوماً ، وقال أشدهم تشاؤماً وأقلهم تخيلاً، وأبصرهم بأمور الشرق وهو اللورد كتشنر المشهور أن هذا الفتح الذي يستهله الناس على إيطاليا أمامه من الصعوبات أكثر مما يظنون ، وقد يستغرق ثلاثة أشهر بالاقل.. فليتأمل أولوا الألباب كيف أن هذه الثلاثة أشهر امتدت عشرين عاماً، ورزأت الدولة الايطالية بمائة وخمسين ألف عسكري قتلى عدا الجرحى، وبثلثمائة مليون جنيه من الذهب الوضاح، هذا كان مجموع خسائر ايطاليا منذ سنتين بحسب الاحصاءات الرسمية، وهذا كان ثمرة جهاد ذلك السيد السند.

نعم لم تأكل ايطاليا في اعتدائها الفظيع هذا مريئاً ولم تشرب هنيئاً ، وعلق في حلقها من سمك الاسلام حسك لايزول في الاحقاب، ولا في القرون، وكل ذلك بما أراده الله على يد رجل قد كان يفهم الاسلام حق الفهم، ويعمل بما يعلم منه بدون انحراف يمنة ولا يسرة، ولم يكن في قلبه شيء من الدنيا بجانب الآخرة، وكانت جميع حطام هذا العالم الفاني لا توازي عنده جناح بعوضة في جانب الواجب الاسلامي ، وهذا الرجل هو السيد السنوسي الكبير الذي لولاه لم يكن أنور قدر أن يعمل شيئاً، ولا كانت الدولة العثمانية قدرت أن تدافع عن طرابلس شهراً واحداً. وماكان المرحوم الشهيد البطل الفريد عمر المختار إلا حسنة من حسنات السيد أحمد الشريف، وقائداً من قواده.

قلت أن السيد السنوسي لو كان في عصر السلف لكان في صف أعاظم أبطال المسلمين ، فكيف وهو في عصر الخلف الذين بينهم، وبين السلف مابين المشرق والمغرب، وإن هذه المقابلة تذكرني بما قاله احد العلماء عن أحمد بن حنبل ﷺ : ماقام أحمد بأمر الاسلام بعد رسول الله ﷺ مثل أحمد بن حنبل فقيل لذلك القائل، وأظنه ابن المديني المحدث المشهور: ولا أبوبكر الصديق؟ فأجاب ولا أبوبكر الصديق. وذلك لأن أبا بكر الصديق ﷺ كان له رجال وأعوان وأن احمد بن حنبل لم يكن له رجال ولا أعوان، وإنما كان يناضل بقوة نفسه وحدها.

ونحن نقول لو كانت الدولة العثمانية قاومت ايطاليا هذه المقاومة أو قاومت أعظم من أيطاليا مما سبقت لها العادة بمقاومته وأحياناً بموالاة الهزائم عليه لما كان في ذلك مايقضي بالعجب، ولكن الذي قام هذا المقام الشريف، ووقف هذا الموقف التاريخي النادر النظير هو رجل لايملك سوى قوة ارادته ، ومتانة ايمانه، وإيمان

رجاله، وعزة أنفسهم بالاسلام، وصبرهم في البأسا وحين البأس، وبينهم وبين عدوهم في الاعتدة والأسلحة والمال، والعدد من الفروق الهائلة مالا يحتمل التنظير في قليل ولا كثير؛ ففضله إذن إعظم جداً من فضل الدولة العثمانية في جهادها وان كان فضلها عظيم، وهو وحده كان مصدر هذه الارادة التي أنشأت بإذن الله هذا الجهاد الطويل العريض، وحفظت شرف الاسلام المعتدى عليه في طرابلس ، وغير طرابلس لانه مما يجب أن لانتمارى فيه ان أوروبا لاتعرف في ذات نفسها إلا إسلاماً واحداً، أن السيد أحمد الشريف هو بنفسه أمة، وأن سيرة السيد أحمد الشريف هي بذاتها تاريخ، وإن كل من عرف عن كثب ذلك السيد الغطريف علم من أخلاقه وورعه وحلمه وعلمه، وزهده في الدنيا، وحبه لمعالي الأمور وعزوفه عن سفاسفها ، ومؤاساته للفقراء، وحنانه على الضعفاء، وشدته مع ذلك في الدين، وانحصار كل همومه في استتباب أمر المسلمين ، ومحافظته على الفرائض والسنن، وغير ذلك من الأخلاق العالية، والهمم الشماء، والمنازع القعساء مايذكر بأخلاق الصحابة الكرام، بل يشبه من أخلاق الخلفاء الراشدين العظام، ولا أقول هذا في مقام تأبين من عادة الناس أن يروا فيه الحسنات مجسمة، وأن يحملهم الموت على طي الهنات وتناسي السيئات، بل أقول أنه كان هذا لسان جميع من خالطوه، والفقيد رحمه الله ملآن حياة، وكل من خالطه يعرف منه هذه الاخلاق بأجمعها ويعرف أكثر منها؛ وطالما كان يقول الأمير سعيد حليم الصدر الأعظم: إن الامة الاسلامية والدولة العثمانية لم تقدر هذا الرجل حق قدره... وإني لمتذكر كوننا صمنا شهر رمضان في مرسين وذلك سنة 1342هـ، فكنت إفطر في منزلي بالبلدة ثم أذهب الى خرستيان كوى حيث يقيم السيد، ونصلي وراءه العشاء والتراويح،وكان يجتمع المغاربة الذين في مرسين نحواً من أربعين شخصاً ويصلون وراءه أيضاً، فكان يقرأ خمس القرآن في كل صلاة، وكنت صليت وراءه ساعتين؛ فعجزت عن ذلك ، وصرت أقتصر على صلاة العشاء وكانوا هم يصلون التراويح ، وبعد الصلاة نجلس الى السحور، وكان في القراءة يتدفق كالسيل ولايتوقف، ولايتردد، ولايتلعثم، وكنت أقضي من ذلك العجب العجاب، وأقول كيف أن رجلاً كهذا الرجل قد توسط بين الخمسين والستين من العمر، وتحمل من الهموم، والاثقال ماتنوء به الجبال، وهو لايزال يتذكر كتاب الله كله ويقرأه عن ظهر قلبه كقراءته للفاتحة؛ لم أتذكر أنه مدة الشهر من أوله الى آخره وفي الختمات الست التي ختمها لكتاب الله توقف في القراءة أكثر من ثلاث أو أربع مرات كان يقف قليلاً ليتذكر الآية، وكان وراءه شاب تونسي حافظ، فيسرع بالقائه إياها له؛ فيمضي في القراءة مضاء السهم، وهذا غريب؛ فيمن بلغ تلك السن، وانطوى على ذلك الهم العظيم؛ من فراق الأوطان ، وتنوع الأشجان، وجور الحدثان.

ولم يكن للسيد غرام في الدنيا إلا بأمر هذه الأمة ولما سألته عند اجتماعنا في مكة عن أولاده الذين تركهم أطفالاً أجابني : قد صاروا الآن رجالاً، وما أنا بمفكر في أمرهم ، وإنما يهمني أمر هذه الأمة المعذبة في طرابلس، وكان في قلبه من أمر طرابلس مالا يعلمه إلا الله، ولكنه كان في إيمانه في ثبات الجبال، وكان يرى في هذه المصائب مقدمات يقظة الاسلام.... اللهم انه كان من اجل العارفين بك وأبر القائمين بأوامرك ونواهيك وأشد المحبين لعيالك الخلق، وأصلب المتمسكين بكلمتك الحق، وانه كان القدوة المثلى بين خلائقك، والحجة الوثقى بحقائك والرجل الذي أدى الى آخر نفس من أنفاسه جميع الواجب الذي عليه لدينه ولقومه، ولناسه، وللانسانية التي كان لها مثالاً، فأعلي درجته يارب في جوار قدسك ونوّر وحشتة قبره بأنسك وبوئه في عقباه المقام الكريم الذي يليق بكرمك العميم، وبثوابك لمن سلكوا الصراط المستقيم واستحقوا النعيم المقيم إنك أنت الرحمن الرحيم)(1).

لقد نعت احمد الشريف رحمه الله أغلب الصحف في المشرق الاسلامي ، بأقلام أكابر الشعراء والكتّاب ، وقد كتب السيد عبدالرحمن عزام فصلاً عن حياة السيد احمد الشريف نشرته جريد البلاغ الغراء الصادرة بمصر(2)، وقد صلى عليه المسلمون صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة الاولى من شهر محرم فاتحة سنة 1352هـ وقالت

(1) انظر: حاضر العالم الاسلامي (396/2 الى 405).

(2) انظر: برقة العربية ، ص325.

مجلة المنار: تقام صلاة الغائب على الزعيم الاسلامي المجاهد العظيم، والمرشد الشهير، السيد أحمد الشريف السنوسي في جميع المساجد الجامعة في القطر المصري، وسائر الاقطار التي بلغتها الدعوة الى هذه الصلاة من مكتب المؤتمر الاسلامي العام في القدس الشريف، ستكون هذه الصلاة ممتازة بمعنى لم يسبق لها نظير في مثيلاتها من صلاة الغائب التي يقيمها المسلمون في بعض الاقطار عندما يموت عظيم من عظماء الاسلام في علمه الواسع وعمله النافع، لا باتصاف السيد السنوسي بشرف الحسب ولا باشتهاره بالصلاح والتقوى، ولا بمكانه المعروف في العلم والعمل والارشاد والاصلاح، والبر والاحسان، ولا بالجاه العريض الذي ناله بتقليده سيف البيعة للسلطان محمد الخامس، وانعام السلطان عليه بلقب الوزارة والنيشان المرصع، فكان أول عالم مرشد معهم تحلى بها، كما تقدم آنفاً؛ بل تمتاز هذه الصلاة على هذا الرجل العظيم بعمل له هو الذي تم به كماله وهوالجهاد بماله، ونفسه في سبيل الله دفاعاً عن دينه، وقومه، ووطنه، وبما آل إليه أمره من جراء هذا الجهاد من هجرته الاولى الى بلاد الترك، ثم اخراجه منها وتعذر رجوعه الى وطنه، وتعذر اقامته في سورية ، ومصر وفي كل قطر اسلامي خاضع لنفوذ الدول الاستعمارية الثلاثة المحاربة للاسلام المستذلة للمسلمين، وقد قاتلها كلها في سبيل الله، حتى لجأ أخيراً الى مهد الاسلام في حرم الله، وحرم رسوله ﷺ، ومات بجوار جده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، فبهذا كله صار للصلاة عليه معنى لم يسبق لغيره من عظماء الاسلام المعاصرين[1].

هذا وقد أبنه الشاعر الكبير الاستاذ احمد محرم المصري بقصيدة قال فيها:

هتف النعى فما ملكت بياني
ليت النعى الى الامام نعاني
فزع الحيطم وراع يثرب عاصف
للموت ضج لهوله الحرمان
سهم أصاب المسلمين وجال في
كبد الهدى وحشاشة الايمان
جرح الائمة واستمر فما ارعوى
حتى استباح مقاتل الفرسان
ذهب الامام يقيم حائط دينه
ويراه انفع مايقيم الباني
ذهب المجاهد يشتري لبلاده
عز الحياة باشرف الأثمان[2]

وأما الاستاذ عبدالقادر المجددي الأفغاني نزيل الحجاز فقد قال قصيدة عصماء في رثاء احمد الشريف من ابياتها:

الله أكبر ماهذه المصيبات
ذابت لاهوالها منا الحشاشات
اعلام جيش الهدى قد نكست جزعاً

---

(1) انظر: مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا (137/2) لعام 1933م.

(2) انظر: برقة العربية ، ص326.

لما توالت من الايام صدمات

مات الذي كان للاسلام خير حمى

رباه رحماك ماهذه الدهيات

من للبواتر من بعد الفقيد ومن

للمشرفيه إن صحت ملاقات

الى أن يقول:

ذببت عن حوض هذا الدين متكلاً

على الإله فوافتك الشهادات

في الغرب في الشرق في الاسلام في عرب

بطن الصحائف من ذكراك آيات(1)

هذه قصة احمد الشريف السنوسي، السيد الصنديد، والعالم الجليل، والعابد الخاشع، والمجاهد الشجاع، والمهاجر الحزين، حاولت جاهداً أن أوضح للقارئ الكريم ملامحها الايمانية، وروائحها الزكية، وروحها الأبية، وحياتها المليئة بالدعوة، والجهاد، والعبادة، والعطاء لهذا الدين العظيم.

إن هذه السيرة العطرة تبين لمسلمي ليبيا أن من أصلاب أجدادهم خرج مثل هؤلاء الأبطال، وعاشوا للذود عن الاسلام، ونشره بين الأنام، وبذلوا الأنفس والأموال، وتقيم الحجة الدامغة، بالبراهين الساطعة، والحجج الواضحة أن الشعب المسلم في ليبيا خرج منه قادة وأبطال، ورجال عظام ، ندر الزمان أن يأتي بمثلهم وأن شجرة الاسلام الزكية الضاربة بجذورها في شعبنا من زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكفيلة بأن تؤتى اكلها كل حين بأذن ربها، وأن مانحن فيه من عثرة، وكبوة، وذلة، وبلاء (لاشك أنه من ذنوبنا) ، كما أنها فترة تمر بها الشعوب قبل تمكينها، فإلى الغد المشرق مع فجر الاسلام النير، فتلكن الهمم متجهة ولتتوحد الصفوف للعمل والتضحية والعطاء، والبذل من أجل أن تصبح بلادنا قلعة من قلاع المسلمين الحصينة منها تخرج جيوش المجاهدين، والدعاة العاملين، وتستقبل وفود طلاب العلم من العالم أجمع، ونسأل الله تعالى أن تعود بلادنا كما كانت وأكثر في دعوتها للاسلام وجهادها في سبيله على أسس صحيحة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وهدى الصحابة الميامين ومن تابعهم الى يوم الدين.

وعلى أحمد الشريف السنوسي وإخوانه الميامين الذين سطروا لنا هذا التاريخ العظيم؛ عليهم من الله المغفرة والرحمة والرضوان.

وكأن الشاعر عندما صاغ الابيات الآتية يجسد لنا حال أحمد الشريف -رحمه الله-:

أقسمت أن لاأنثني عن غايتي

مادمت أحمل مصحفي وسلاحي

سأُعيد للاسلام سالف مجده

بعزيمتي وبوحدتي وكفاحي

---

(1) انظر: برقة العربية ، ص326 الى 327.

أنا مسلم لا أرتضي بعقيدة

تُملى من الدجال والسَّفَّاحِ

أنا مسلم سجلت أروع صفحة

بعقيدتي وعدالتي وصلاحي

أنا ثائر أبْني الحياة كريمة

وعزيزة وعلى هدى وفلاح

في الأرض أبذر شرع دين محمد

ويشع نور جلاله الوضاح

أقسمت - ياوطني - بأن لا أنحني

إلا لربي فالق الاصباح

قسماً بأن أسعى لإسعاد الورى

سعياً حثيثاً مؤذناً بنجاح

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك).

الخلاصة

- ولد محمد المهدي السنوسي في الجبل الأخضر في ليبيا في شهر ذي القعدة عام 1260هـ، الموافق نوفمبر 1844م.
- كانت فرحة الاخوان ، وابن السنوسي بمولد محمد المهدي عظيمة .
- لما ولد الأبن الثاني لمحمد بن علي السنوسي عام 1262هـ/ 1846م، كتب عمران بن بركة لشيخه يهنئه بالمولود الثاني ويسأله عن اسم الوليد الثاني رد له الجواب بتسميته الشريف قائلاً له : (إننا لانحيد بأسماء

ابنائنا عن اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يختلفون في الألقاب والكنى؛ فكما سميت الأول محمد المهدي ليحوز أنواع الهداية فسمي هذا محمد الشريف ليحوز أنواع الشرف.

- أسند ابن السنوسي تربية أولاده للأخوان وكان المسؤول الأول الشيخ العلامة عمران بن بركة.
- وبعد ان حفظ محمد المهدي القرآن الكريم طلبه والده للمجيئ للحجاز وصحبه العلامة محمد بن ابراهيم الغماري، وهناك عهد به والده الى نخبة من العلماء لتربيته وتلقنيه العلوم تحت إشرافه المباشر.
- رجع محمد المهدي الى الجغبوب بصحبة العلامة عبدالرحيم المحبوب، وواصل محمد المهدي تعليمه العالي في معهد الجغبوب وأشرف على تعليمه وتربيته والده ابن السنوسي وكبار الاخوان.
- تميز محمد المهدي منذ طفولته بالذكاء، وحسن الخلق، والصفات الرفيعة ، والأخلاق الحميدة.
- تزوج محمد المهدي في حياة والده وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره بفاطمة ابنة عمران بن بركة وذلك عام 1275هـ/ 1858م، وقد أنجبت للمهدي عدة أولاد وتوفيت في حياته سنة 1891م.
- بعدوفاة ابنالسنوسي خف كبار العلماء والشيوخ في الحركة السنوسية الى مبايعة محمد المهدي .
- كون محمد المهدي السنوسي مجلساً أعلى من كبار الأخوان، يتكون من العلامة عمران بن بركة ، وأحمد الريفي، وعلي عبدالمولى، وفالح الطاهري، وعبدالرحيم المحبوب، ومحمد المدني التلمساني، محمد بن الحسن البسكري.
- كان المجلس الاعلى للحركة يمثل قمة الهرم الذي قاعدته الزوايا، وكان يضم كبار رؤساء الزوايا في برقة وطرابلس ومصر والحجاز، والسودان، وشمال أفريقيا وكان يجتمع سنوياً في الجغبوب للنظر في أهم أمور الحركة.
- من الملاحظ أن مبدأ التفرغ كان موجوداً في الحركة، لقناعة الحركة السنوسية أن الأعمال العظيمة تحتاج الى أوقات كبيرة، وجهود ضخمة، وهمم عالية ، ولذلك سلكت الحركة السنوسية مسلك تفريغ بعض القيادات، ووفرت المال اللازم لهذا الهدف، ووفرت كل ما يحتاجه الافراد المتفرغين حتى يستطيع لمتفرغون أن يبذلوا مافي وسعهم من اجل الدعوة ونشرها بين الناس.
- اهتم محمد المهدي بتطوير العاصمة السنوسية؛ فحفلت الجغبوب بالنشاط العلمي، والزراعي ، وانتظم سير العمل في معهد الجغبوب، ووزع تلاميذ المدارس القرآنية على أقسام، ورتبت بدقة أمور الدراسة، وكل ماتيعلق بالطلاب.
- كانت الزوايا تقوم بدورها في جمع المعلومات وما يتعلق بالقضايا الأمنية وترسلها الى الجغبوب، وكان نظام البريد ينقسم الى اربعة أقسام نقطة ارتكازها الجغبوب.
- نمت الحركة السنوسية في عهد محمد المهدي نمواً كبيراً، وتضاعف عدد الزوايا أكثر من اربعة أضعاف وانتشرت هذه الزوايا في الصحراء الكبرى، وعلى طريق مصر، وتونس، وفي واداي.
- كانت من اسباب هذا النمو السريع، طبيعة الحركة، ونظمها المتطورة بالنسبة لعصرها، وفهمها لطبيعة المجتمعات القبلية، وطول المدة التي قضاها الزعيم الثاني في قيادة الحركة إذ تجاوزت اربعين سنة، فتمكن أثناءها من تركيز العلم الذي بدأه والده.
- تمكن الامام المهدي ان يبني علاقات قوية مع الامارات الاسلامية في واداي، وبرقو، وكانم وغيرها، واختط خطة حكيمة كانت مبنية على الحيطة والحذر من النفوذ الصليبي الأوروبي في افريقيا ثم عدم التردد في مكافحة هذه الدول إذا جد الجد، كما فعل مع فرنسا.
- كان محمد المهدي يحرص دائماً على ازالة البغضاء والشحناء من نفوس القبائل المتعادية، ويدعوها الى أخوة الاسلام، وشغلها بالطاعة، ودفعها نحو المعالي، والأخلاق الرفيعة، واستطاع أن ينظم من القبائل كتاب للجهاد ساهمت في قتال فرنسا، وبعد وفاته قاتلت ايطاليا.
- كرس المهدي جهوده للبناء الداخلي في الحركة واختط طريقاً سلمياً تجنب الاحتكاك فيه جهد المستطاع بالقوى المحيطة به، واستطاع أن يتخذ مواقف تدل على بعد نظره وثاقب فكره من الثورات التي حدثت في السودان، ومصر، وكذلك الدول الأوروبية.
- نشطت الحركة السنوسية في تعبئة اتباعها على الاستعداد للجهاد، ونظمت صفوفها، ورأى السلطان

عبدالحميد الثاني في الحركة السنوسية قوة منظمة ومعدة إعداداً مادياً ومعنوياً جيداً يمكن استغلالها في المواجهة العسكرية المتوقعة مع أعداء الدولة العثمانية في شمال أفريقيا.

• حققت الحركة السنوسية انتشاراً كبيراً في أواسط أفريقيا، وتوطد سلطانها في قلب الصحراء الكبرى، وكانت عقبة في طريق الرسالات التنصيرية التي وجدت في الحركة السنوسية خصوماً عنيدين عطلوا عليها أعمالها لدرجة بعيدة.

• تولت فرنسا مهمة الهجوم الاعلامي على الحركة السنوسية، وأرسلت عدداً من الرحالة منهم دوفرييه، ثم وقفت من الحركة موقفاص عدائياً وشنت عليها حرباً دعائية بواسطة رحالتها الذين كتبوا عن السنوسية، وقصدت بذلك تشويه الحركة، كما تجلى موقفها العدائي في ضغطها على الباب العالي للتضييق على السنوسية ثم تبلور هذا الموقف في حربها الظالمة لمواقع الحركة السنوسية في تشاد.

• إن نظرة المهدي للثورات الغير مدروسة دراسة دقيقة تتيح للأجانب التدخل، ويرى أن طريق البناء، والتربية، والإعداد العقدي، والوسائل السلمية هي الطريقة المثلى نحو النهوض الشامل للأمة.

• إن علماء الحركة السنوسية وعلى رأسهم المهدي السنوسي لم يؤمنوا بمهدية محمد أحمد، وكذلك رفضوا القول بمهدية المهدي السنوسي واعتبره محمد المهدي السنوسي نوعاً من التخريف ويرجع ذلك الى علمهم المتين، واستيعابهم لكتاب الله، والسنة المطهرة التي بينت حقيقة المهدي المنتظر، وألتزموا بعقيدة أهل السنة والجماعة التي وضحت هذا المعتقد.

• إن التهمة الموجهة للحركة السنوسية بأن أتباعها يعتقدون في الامام المهدي السنوسي هو المهدي المنتظر تهمة باطلة، رفضها الامام محمد المهدي، وعارضها وأبى الموافقة على القول بها وعندما سئل الملك ادريس -رحمه الله- عن رأي أبيه في قول بعض أتباع الطريقة بمهدويته أجاب: (كان كلما سمع هذا القول نفاه بشدة، وابداً لم يعتقد به).

• إن الليبيين عموماً ارتبطوا بفكرة الجامعة الاسلامية، وسياسة الدولة العثمانية وسلطانها عبدالحميد الثاني الذي تبنى الدعوة إليها، وأكدوا في كل مناسبة ارتباطهم بهذه الدعوة، وخاصة في أزمات الدولة، ففي حرب الدولة مع اليونان سارع أهل طرابلس بتشكيل اللجان لجمع التبرعات وقد كتب على الاستمارات المعدة للجمع عبارة (إعانة جهادية) وبلغ مجموع التبرعات قرابة (مائة ألف فرنك).

• كانت خطة التوسع عند الحركة السنوسية تستدعي من زعيمها محمد المهدي الانتقال نحو الجنوب وفق خطوات مرسومة، ومراحل معلومة لدى قادة الحركة، وتقرر لدى محمد المهدي الانتقال من الجغبوب الى الكفرة، وشرع في تنفيذ القرار الاستراتيجي بسرعة البرق، فجمعت الابل الكافية للنقل، وخبراء الطريق، والامتعة الضرورية.

• كان قرار انتقال الامام المهدي الى الكفرة مفاجأة لأهالي ليبيا واهتزت البلاد من أقصاها الى أقصاها وترك أثراً حزيناً أليماً في النفوس.

• تولى المهدي السنوسي تصريف أمور الحركة من الكفرة، فعجت بالحركة وأصبح اتباع الحركة يقدمون إليها من كل حدب وصوب، حتى ضاقت بهم مساكنها.

• تأثر محمد المهدي بوفاة أخيه محمد الشريف الذي كان عالماً ربانياً، ومستشاراً عبقرياً، وكان مشرفاً على معهد الجغبوب، وقد تميز بغزارة العلم ودقة الفهم، والقدرة على التدريس.

• استطاعت الحركة السنوسية أن تفجر طاقات الشعراء وأضفت عليهم معاني في الصدق، والمثل الرفيعة، ومبادئ الدعوة، وكونت أدباً رفيعاً خاصاً بها، يستحق البحث والتنقيب، والدراسة والتحليل.

• بعد أربع سنوات من المكوث في الكفرة شد المهدي رحاله الى زاوية قرو في برقو في السودان الغربي، ليشرف بنفسه على تنظيم المقاومة، واتخاذ الأهبة لمواجهة القوات الفرنسية الزاحفة نحو بحيرة تشاد.

• تقدم الفرنسيون نحو كانم في حملة مجهزة بالاسلحة والمعدات الحديثة، واستعد السنوسيون لملاقاتهم فوضعوا حامية كبيرة في بير العلالي، واشتبكت الحملة في معركة حامية الوطيس مع الاخوان السنوسيين، وكان النصر حليف المدافعين برئاسة الشيخ محمد البراني.

• استمرت المعارك بين قوات المجاهدين والجيش الفرنسي، واضطر المجاهدون تحت وابل الرصاص

للانسحاب بعد ان قتلوا من الجيش الفرنسي اضعاف مضاعفة وفي هذا الاثناء وصل الى المجاهدين خبر وفاة الامام المهدي، فخارت العزائم، وضعفت الهمم، وكانت وفاة المهدي بعد أن اشتد المرض عليه وكان ذلك في يوم الاحد 24 صفر 1320هـ الموافق 2 يونيو 1902م في زاوية قرو ثم نقل ودفن في زاوية التاج.

• كان محمد المهدي داعية من الطراز الاول، تجسدت في شخصيته صفات القادة الربانيين، وكان يهتم بأمر المسلمين، في كل صقع من أصقاع العالم، وكان يؤلمه أي خلاف اسلامي أو أي مشكلة تقع بين الافراد، او بين القبائل، فكان يولي هذه الناحية مجهودات كبيرة في فكره وتفكيره، ويتخذ كل الوسائل لازالة سوء التفاهم بعمله وآرائه وتدبيره عاملاً على إحلال الصفاء والوئام محل الشقاق والخصام.

• ترك لنا الشاعر احمد رفيق المهدوي قصيدة رائعة تحمل في كل بيت منها صورة واضحة لسيرة الزعيم الثاني للحركة السنوسية، وبينت اصلاحاته العلمية، والدينية، والعملية، والنظامية.

• تولى قيادة الحركة السنوسية بعد وفاة المهدي ابن اخيه احمد الشريف الذي قاد كتائب الجهاد ضد فرنسا في تشاد، وضد ايطاليا في ليبيا، وضد بريطانيا في مصر.

• يتفق معظم المؤرخين بأن أحمد الشريف ولد بواحة الجغبوب ليلة الاربعاء بتاريخ 27 شوال سنة 1290هـ الموافق لسنة 1873م، إنكب منذ طفولته على القراءة والتحصيل، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة.

• تربى احمد الشريف في حجر والده العلامة محمد الشريف وحينما ترعرع وبلغ السادسة من عمره دخل تحت كنف عمه المهدي السنوسي، فأهتم بتربيته وتهذيبه واشرف عمه على تعليمه وتحفيظه للقرآن الكريم.

• شارك احمد الشريف مع عمه في معارك الحركة ضد فرنسا في تشاد، ولما شعر محمد المهدي بدنو أجله، عهد الى ابن أخيه بالقيادة لما توسم فيه من القدرة على الاضطلاع بأعباء الحركة.

• استمر احمد الشريف على نهج زعماء الحركة السنوسية، فواصل الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، ونشر الدعوة الاسلامية بكل حكمة في افريقيا، واتخذ من الكفرة عاصمة للحركة السنوسية، وأناب عنه محمد السني لإدارة أمور الجهاد.

• كان الصراع بين فرنسا والحركة السنوسية في افريقيا على أشده، وتميز السنوسيون في جهادهم بقدرتهم على الكر والفر ، وكانت قبائل الصحراء، والقبائل الليبية تتمحور حول قيادة الحركة السنوسية.

• كان من أشهر قادة الحركة السنوسية في جهادها ضد فرنسا، المجاهد محمد كاوصن، عبدالله السني، عبدالله فضيل الطوير الزوي، البراني الساعدي، غيث عبدالجليل سيف النصر، محمد بوعقيلة الزوي، صالح بوكريم الزوي، كيلاني الأطيوش المغربي، عابدين الكنتي.

• استمرت ايطاليا اكثر من ثلاثين سنة وهي تجمع المعلومات وترسل الجواسيس، وتخطط لغزو ليبيا، وتتوغل بالمؤسسات التجارية، والمدارس العلمية لغزو بلادنا.

• كانت ايطاليا عازمة على احتلال ليبيا، وبذلت في سبيل ذلك جهداً كبيراً على مستوى الولاية نفسها، بتعزيز مظاهر نفوذها او على المستوى الدولي بالحصول على موافقة أغلب الدول الأوروبية على ذلك إلا أن شدة تمسك الدولة العثمانية بالولاية في زمن السلطان عبدالحميد الثاني، وقوة نفوذ الحركة السنوسية في دواخل ليبيا، وحسن التنسيق القائم بين الطرفين، كل ذلك أدى الى تأجيل إيطاليا تنفيذ مشروعها الاستعماري العدواني الغاشم عام 1911م.

• في عام 1911م أعلنت إيطاليا الحرب على ليبيا وشرعت بوارجها في قصف المدن الليبية، واستعد أهالي البلاد للجهاد في سبيل الله تعالى.

• بعد وصول خبر احتلال ليبيا لطرابلس، وقصفها لبقية المدن الليبية بأساطيلها، قام احمد الشريف بجمع السادة، والشيوخ والعلماء، والقادة ، وعرض عليهم الامر واستشارهم، وخرج الأمر بتوجيه الشيوخ وعلماء الحركة بقيادة المجاهدين في كافة ساحات الوغى وقال أحمد الشريف: (والله نحاربهم ولو وحدي بعصاتي هذه).

• تدفق اتباع الحركة السنوسية كالسيل الجارف على ميدان القتال في طرابلس وفي منتصف يناير 1912م قال السيد احمد الشريف كلمته لاهل ليبيا وأصدر نداءه المشهور يحث فيه اهالي البلاد على الجهاد ضد العدو المعتدي ويعلن فيه نبأ اعتزام النزول بنفسه الى ميدان القتال.

• اعترف السلطان العثماني بجهود احمد الشريف، وأهداه في مارس 1912م سيفاً ونيشاناً مرصعاً بالجواهر مكافأة وتقديراً لجهوده في الجهاد.

• خلد التاريخ المعاصر اسماء المعارك التي قام بها الاجداد ضد ايطاليا في المنطقة الغربية من ليبيا من أهمها؛ معركة طرابلس ، معارك الخمس، معركة الهاني ، سيدي مصري، معركة قرقارش، معركة أبي كماش، معركة لبدة، معركة تاجوراء.

• ارسل احمد الشريف اخيه صفي الدين ليتولى قيادة الجهات الغربية من برقة وكان لإرساله فرحة عظيمة لدى القبائل المنضوية تحت لواء الحركة السنوسية، وقاد صفي الدين معركة عظيمة ضد ايطاليا بموقع (أبي هادي) واستمرت المعركة بشدة وعنف عدة ساعات انجلت عن خسارة ايطاليا.

• كانت الانتصارات التي حققتها الحركة السنوسية، محل الاعجاب والتقدير من ابناء ليبيا المخلصين، ولذلك اتصل كثير من القادة والشيوخ بصفي الدين، وكان رمضان السويحلي المجاهد الكبير على رأس أولئك الابطال المغاوير.

• حقق المجاهدون نصراً عظيماً في معركة القرضابية وبدأت قواتهم في تطهير البلاد من المعتدين، وتركت الحاميات الايطالية ، حصونها بسهولة وهامت على وجهها عبر التلال والسهول المحرقة الجافة، وحررت مزدة،والقصبات، وسرعان ماوصل المجاهدون إلى بن غشير على بعد 15 ميلاً من طرابلس.

• حقق المجاهدون انتصاراً عظيماً على ايطاليا ولولا الشقاق، والخلاف،والنزاع الذي وقع بين رمضان السويحلي وصفي الدين السنوسي لاصبح الجهاد أمراً آخر.

• تولى محمد عابد السنوسي جهاد الجنوب في فزان والجفرة والنواحي الغربية من فزان، واتخذ من زاوية (واو) مركزاً للقيادة.

• قاد سالم بن عبدالنبي الزنتاني حرب عصابات ناجحة في ولاية فزان، واثخن في أعداء الله ، وهاجم القاهرة وهي ربوة عالية في سبها يوجد بها حصناً، وسياجاً من المدافع والاسلاك الشائكة وأصبحت تلك القلعة منيعة جداً، واستطاع سالم عبدالنبي فتحها بقواته المجاهدة عام 1914م، لقد أبلى أهل الجنوب بلاءً حسناً في جهادهم ضد ايطاليا.

• جاهد أهالي بنغازي عن مدينتهم دفاعاً مجيداً ، وأظهروا من البطولة والشجاعة النادرة، ماجعلهم محل التقدير من كل المسلمين وسجلوا صفحات مجيدة خالدة في سجل التاريخ.

• توافدت النجدات العسكرية الى مدينة بنغازي بقيادة شيوخ الحركة السنوسية، فوصلت كتيبة العرفا، وعددها ثلاثمائة مسلح يقودها الشيخ عمران السكوري، وتلتها بقية النجدات التي جاء بها زعماء القبائل، وشيوخ الزوايا من كل حدب وصوب.

• صممت الدولة العثمانية على المقاومة حفظاً لماء الوجه، امام الرأي العام الاسلامي، فأرسلت نخبة من ضباطها وقوادها المشهورين، لتقوية روح المقاومة والدفاع وتدريب المجاهدين وتعليمهم كيفية استعمال الاسلحة الحديثة والمعدات.

• كان من ابرز قادة الاتراك الذين ارسلتهم الحكومة العثمانية كل من ؛ الرائد انور بك، ومصطفى كمال، فتحي اوفيار، وخليل بك عم انور بك، فؤاد بولجا قاش باشي ، سليمان العسكري، وعزيز علي المصري، أدهم باشا الحلبي.

• تفاعل العالم الاسلامي مع البطولات العظمية التي حققها المجاهدون في ليبيا، وقامت الشعوب الاسلامية بواجبها نحو اخوانهم في الدين.

• أدركت ايطاليا عجزها عن اتمام احتلال بقية ليبيا، ولذلك قررت أن تهاجم الدولة العثمانية في مراكزها الضعيفة لترغمها في الدخول في المفاوضات للوصول الى تخلي تركيا عن دعمها لليبيا ونجحت في ذلك.

• كان موقف احمد الشريف واضحاً قبل توقيع الصلح بين ايطاليا وتركيا، فقد بعث الى أنور باشا في درنة يذكر فيه ماوصله من ان الدولة تعتزم إعطاء ليبيا الى إيطاليا فقد جاء في رسالته:(نحن والصلح على طرفي نقيض، ولا نقبل صلحاً بوجه من الوجوه) إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد الى العدو، وزيادة وحذره مما سوف يحدثه قبول الصلح في نفوس المسلمين في جميع الاقطار من نفور شديد من الدولة العثمانية.

- قامت الدولة العثمانية بتنفيذ معاهدة أوشي، فأصدرت أوامرها لضباطها وجنودها في ليبيا للانسحاب.
- تولى القيادة الفعلية لحركة الجهاد بعد خروج أنور باشا احمد الشريف الذي بذل كل جهوده لتنظيم حركة الجهاد بعد انسحاب الاتراك، وكتب منشوراً الى مشايخ الزوايا والقبائل يعلن فيه استمرارية مواصلة الجهاد، وطلب من كل مسلم من سن الرابعة عشر حتى الخامسة والستين أن يذهب الى ميدان الجهاد مزوداً بمؤونته وسلاحه.
- عزم الايطاليون على سحق قوات احمد الشريف، فدبروا تنظيم حملة قوية قوامها خمسة آلاف جندي مسلح، تسليحاً حديثاً لضرب معسكري المجاهدين في سيدي عزيز، وسيدي القرباع على ضفتي وادي درنه وفي اليوم الذي وصل فيه احمد الشريف الى منطقة الظهر الاحمر جرت معركة مهولة عرفت باسم سيدي القرباع، واشتهرت باسم (يوم الجمعة) وقد تمكن المجاهدون بفضل الله من تحقيق الانتصار الحاسم في تلك المعركة.
- بعد تلك المعركة شرع احمد الشريف في جولات تفتيشية ابتدأت من الغريان وانتهت بجدابية، فمر بجميع معسكرات الجبل الاخضر، وفتشها واطلع على سير الامور فيها، ورتب امور الضباط، ونظم المجالس الاستشارية المعسكرات، ووقعت معارك بين الطليان والمجاهدين أثناء مروره بدواخل البلاد، فأشترك في الكثير منها، لقد طاف احمد الشريف بين المدن والقبائل يحض الناس على الجهاد وحمل السلاح ضد الغزاة، وحضر بنفسه في المعارك، ونبه المجاهدين الى ضرورة اعتماد حرب العصابات القائمة على الكر والفر، وأكد لهم صعوبة اعتماد الخطط السابقة التي كان الاتراك يعتمدونها خلال المراحل الاولى.
- حاولت ايطاليا أن تضغط على أحمد الشريف بواسطة الخديوي عباس باشا بعد أن فشلت جميع وفودها التي كانت تتوافد على المجاهد احمد الشريف وتعرض عليه، أن تضمن له إمارة هو تحت سلطانه، وتحتفظ هي بالموانئ والثغور الساحلية، فضرب بقولها عرض الحائط.
- استمر المجاهدون في جهادهم بالرغم من احتياجاتهم ونواقصهم الحربية، والضغوط الخارجية التي تدفعهم لوقف مسيرة الجهاد.
- بدأت ملامح الحرب العالمية الاولى تلوح في الأفق، وكان احمد الشريف يقظاً لما يجري حوله، فأقام معسكرات التدريب، ورسم خطة للدفاع ، وحماية الشعب، والاستعداد للجهاد، وشرع في تشكيل جيش نظامي مدرب، ليخوض به غمار حرب طويلة المدى ضد العدو الصليبي الايطالي ومع اندلاع الحرب العالمية الاولى بدأت الدول تتسارع وتتسابق لكسب ود احمد الشريف وقواته المجاهدة.
- كانت القوى المهتمة بكسب احمد الشريف الى جانبها هي تركيا، وألمانيا بالدرجة الاولى وبريطانيا ومصر بعد ذلك.
- كانت بريطانيا حريصة على استمالة احمد الشريف إليها قبيل الحرب العالمية الاولى، وزاد حرصها بعد اندلاع الحرب الكونية، وحفظ التاريخ بعض الرسائل من القادة الانكليز في مصر مرسلة الى احمد الشريف.
- بعد دخول تركيا الحرب العالمية الاولى بجانب ألمانيا، رأت الحكومات التركية والألمانية الاستفادة من جهود السنوسيين لتشتيت القوات الانجليزية وفق خطة لاحتلال قناة السويس وتطهير مصر من الوجود الانجليزي.
- اقحم الاتراك احمد الشريف في حربهم ضد الانجليز رغم رفض احمد الشريف بشدة في البداية ، لأنه كان على يقين أن ذلك الهجوم لايتمشى مع مصلحة بلاده، فإن الاتراك والألمان كانوا ينظرون الى الحرب في شكلها المتكامل ، والتي لاتمثل طرابلس إلا جبهة فرعية في تلك الاستراتيجية.
- فشلت هجمات الاتراك على القوات الانجليزية في القناة وفي الصحراء الغربية، وتدهورت الحالة الاقتصادية في برقة وساعدت تلك الظروف ظهور الامير ادريس على مسرح الاحداث بعد أن اصبحت حاجة البلاد الى قيادة جديدة تتولى معالجة تلك المواقف الحرجة.
- فشلت حملة احمد الشريف في تحقيق اهدافها لعدة اسباب منها؛ الضعف العسكري ، والضعف الاقتصادي، وعدم التخطيط الاستراتيجي....الخ.
- كان رأي الأمير ادريس السنوسي بأن الحرب ضد بريطانيا لاتحقق أية نتيجة ، وعلى السنوسيين استغلال

الظروف الدولية، لتحقيق استقلال ليبيا، وكان يرى أن بريطانيا هي المؤهلة لان تأخذ على عاتقها انجاز هذا الامر.

- كان لفشل حملة احمد الشريف آثار سلبية على سير حركة الجهاد في برقة ضد القوات الايطالية نذكر منها؛ ضاعت فرصة مواصلة القتال ضد ايطاليا، تزعزت العلاقات الروحية التي كانت تربط احمد الشريف بالقبائل المصرية بسبب المواجهة بين الطرفين وسقوط القتلى من كل جانب، انقطع الشريان الاقتصادي لحركة الجهاد وسدت المنافذ المصرية،....
- غادر احمد الشريف ليبيا الى استانبول بواسطة غواصة ألمانية أثر طلب من الحكومة التركية ليقوم احمد الشريف بفتح المفاوضات بينها وبين الشريف حسين بن علي أمير مكة الذي أعلن الانفصال عن الدولة التركية.
- وصل احمد الشريف الى تركيا واستقبله كبار رجال الدولة استقبالاً حافلاً ورسمياً في محطة (سركه جي) حضره بعض المسؤولين العثمانيين يتقدمه صديقه أنور باشا وزير الحربية العثمانية.
- دخلت جيوش الحلفاء الى استانبول واستولت على عموم الولايات والموانئ وعقدوا العزم على إبادة تركيا، وتشتيتها وتقسيمها، واراد الانكليز أن يستغلوا هذا الظرف لصالحهم وبدأوا في تنفيذ مخططهم الهادف الى تدمير الدولة العثمانية .
- ظهر مصطفى كمال في ثوب المسلم الوطني المتدين الثائر وأصبح السلطان تحت قيود الحلفاء وأصبحت تركيا تحت زعامتي مصطفى كمال، والسلطان وحكومته وعمل مصطفى كمال على كسب احمد الشريف لصفه لعلمه لما له من المكانة الروحية في قلوب المسلمين، وكان مصطفى كمال ابتدأ حركته باسم الدين حتى أنه أمر بإحراق جميع الخمور وتكسيرأدواتها ، ومعاملها وإبعاد جميع النساء المومسات ، وإغلاق دور الدعارة، واصدار أوامر شديدة بلزوم المحافظة على الصلوات في وقتها....
- قرر احمد الشريف بعد تفكير طويل الذهاب الى الاناضول والانضمام الى مصطفى كمال رغم ماجاء من الرسل والرسائل من طرف السلطان وحكومته يحذرونه من الانخداع بمظاهر مصطفى كمال المصطنعة وإدعاءاته الكاذبة.
- كان انضمام احمد الشريف نصراً عظيماً لمصطفى كمال لما له من المنزلة الروحية الكبيرة في قلوب مختلف الشعوب الاسلامية وكان الناس يعتقدون أن احمد الشريف لا يميل إلا الى الجبهة التي على الحق.
- ساهم احمد الشريف بطلب من مصطفى كمال في إخماد ثورة الاكراد وخرج إليهم وألتقى بشيوخهم ودعاهم الى الوحدة والوقوف صفاً واحداً ضد أعداء الدين.
- بعد الانتهاء من حروب اليونان تهيأت القوات الكمالية لدخول ولاية استانبول وبعد حصار دام مايقارب من الاربعة أشهر، ومحاولات طويلة مع دول الحلفاء تم الاتفاق على اخلاء استانبول من قوات الاحتلال، ودخلت القوات الكمالية استانبول ثم تدرجت حكومة مصطفى كمال بعد أن تمكنت من الوضع وخلعت الخليفة الصوري عبدالمجيد، وأبعدته كما أبعدت كل من له صلة أو محبة أو انتماء لآل عثمان.
- بدأت نوايا مصطفى كمال الشريرة تظهر رويداً رويداً، فتدخل في الاحكام وغير القوانيين الشرعية، فأنزعج أحمد الشريف غاية، وغضب نهاية، وخاطب مصطفى كمال وقال له: أننا والمسلمون لم نناصرك ، ونقف معك إلا لأجل حفظ كيان الدين الاسلامي.
- من طرفي خفي بدأت السلطات التركية تضايق أحمد الشريف وتعد عليه أنفاسه، وأحكمت الرقابة على كل من له تعلق بالسيد، او يزوره وانتهى الامر بإخراجه من تركيا وسافر الى الشام .
- اشتد ضغط الحكومة الفرنسية على احمد الشريف للخروج من الشام وانتهى به المقام بالحجاز وأصبح يتنقل بين المدينة ومكة المكرمة ويتصل بأهل ليبيا عن طريق الحجاج ويجمع لهم الأموال والمساعدات ويقوم بتوجيههم خير قيام.
- توفى احمد الشريف في تمام الساعة الثامنة من يوم الجمعة 13 ذي القعدة سنة 1351هـ الموافق العاشر من شهر مارس سنة 1933م في الزاوية السنوسية في المدينة المنورة أثر مرض عضال لم يمهله ، ودفن في

مقبرة البقيع قرب قبر الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة بعد أن عاش أحدى وستين سنة قضاها في خدمة الاسلام والمسلمين، ورفع شأن الدين، ومجاهدة الكافرين الغاصبين في شتى الميادين، فعليه وعلى أمثاله الرحمة والمغفرة والرضوان من رب العالمين وأعلى الله ذكره في المصلحين.

- هذه هي خلاصة التي وصلت إليها وقد ملت الى الاختصار الشديد خوفاً من الاطالة والاطناب.

وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل هذا الجهد المتواضع قبولاً حسناً وأن يبارك فيه، وأن يجعله من أعمالي الصالحة التي أتقرب بها إليه: وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى : { ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}.

وبقول الشاعر :

أنا الفقير الى رب البريات

أنا المسكين في مجموع حالاتي

أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي

والخير إن يأتينا من عنده يأتي

لا أستطيع لنفسي جلب منفعة

ولا عن النفس لي دفع المضرات

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً

كما الغني أبداً وصف له ذاتي

وهذه الحال حال الخلق أجمعهم

وكلهم عنده عبد له آتي

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)، (وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين).

أهم مراجع ومصادر البحث

(أ)

1. انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، د. حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1984م.
2. الاذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة، لمحمد صديق حسن القنوجي البخاري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة 1399هـ.
3. اشراط الساعة، يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1991م.
4. أعلام ليبيا، الطاهر احمد، ط2، طرابلس، مؤسسة الفرجاني، 1971م.
5. الأفعى في معاقل الاسلام، عبدالله التل، المكتب الاسلامي .

(ب)

6. برقة العربية امس واليوم، محمد الطيبب، احمد ادريس الأشهب ، مطبعة الهواري، شارع محمد علي بمصر.

(ت)

7. التواضع في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح للإمام محمد علي الشوكاني.
8. تفسير المنار للعلامة، محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت لبنان.
9. تهذيب شرح الطحاوية ، د. محمد صلاح الصاوي، دار الفرقان، الطبعة الاولى 1410هـ/1990م.
10. تاريخ الاسلام، انور الجندي.
11. التعليم في ليبيا خلال القرن التاسع عشر، عمر بن اسماعيل.
12. تاريخ، ليبيا المعاصر، محمود عامر، منشورات جامعة دمشق طبعة عام 1411هـ/1991م.
13. تاريخ ليبيا، جون رأيت، كتاب مصور، دار الفرجاني، طرابلس ، الطبعة الاولى 1972م.
14. تاريخ حرب طرابلس ، محمد ابراهيم لطفي ، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق بنها، 1946م.
15. توضيح الاحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار القبلة للثقافة الاسلامية، جدة، الطبعة الاولى 1413هـ، 1992م.
16. الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الاسلام منها، د. جمعة الخولي، طبعة اولى 1407هـ، 1986م مطابع الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة.

(ج)

17. الثورة السنوسية او كاوصن نشر المركز النيجيري للبحوث في العلوم الانسانية نيامي 1973م، ترجمة عبدالرحمن عبداللطيف، مخطوط صاحب الكتاب ساليفو اندري .
18. جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، محمد القشاط، طبعة عام 1988م.
19. جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، محمد بن عثمان الحشائشي التونسي، تحقيق علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، الطبعة الاولى بيروت 1965م.
20. جهاد الابطال في طرابلس الغرب ، الطاهر احمد الزاوي، ط3، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر 1962م.
21. جريدة المقطم ، عدد 6941، 9 صفر ، عام1330هـ.
22. جريدة الاهرام ، عدد 10613، في 21 صفر عام 1331هـ.
23. جريدة المقتبس عدد 1014، 5 ذو القعدة 1330هـ.

(ح)

24. الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، أحمد الدجاني، الطبعة الاولى، 1967م، دار لبنان.
25. حركة الجامعة الاسلامية احمد الشوابكة، مكتبة المنار، الطبعة الاولى 1984م/1404هـ.
26. حاضر العالم الاسلامي، تأليف لوثروب ستودارد الامريكي نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب ارسلان ، دار الفكر.
27. الحوليات الليبية، شار فيرو، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية، محمد عبدالكريم الوافي، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا.
28. الحركة الوطنية شرق ليبيا، مصطفى هويدي، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طبعة 1988م.
29. حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني، د. عايض بن حزام الورقي، نشرته جامعة ام القرى طبعة عام 1416هـ/1996م.
30. الحملة الايطالية على ليبيا (دراسة وثائقية في استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية)، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1982م.
31. حوليات كلية الآداب ، الحولية الاولى، جامعة الكويت، قسم التاريخ، 1982م.
32. حياة سليمان الباروني لأبي القاسم الباروني.

(د)
33. الدولة العثمانية، عوامل النهوض واسباب السقوط، لعلي محمد الصلابي ، منشورات دار البيارق.
34. الدولة العبيدية في ليبيا، لعلي محمد الصلابي، دار البيارق الطبعة الاولى 1418هـ/1998م.
35. دائرة معارف القرن العشرين.
36. دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي، د.محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ط أولى عام 1403هـ/1983م.

(ر)
37. رحلة الى صحراء أفريقيا الكبرى، صادق المؤيد العظم، استانبول ، عالم مطبعة سي 1314هـ.
38. رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان، ، محمد مسعود فشيكه، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا، الطبعة الاولى 1394هـ/1974م.
39. رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار ، لمحمد العيساوي، القاهرة: مطبعة حجازي ، 1936م.

(س)
40. السنوسي الكبير ، محمد الطيب بن ادريس الأشهب، مطبعة محمد عاطف، ميدان الخازندار بمصر.
41. السنوسية دين ودولة، د.محمد فؤاد شكري، دار الفكر ، طبعة 1948م.
42. السلطان عبدالحميد الثاني، مذكراتي السياسية، تقديم وترجمة د. محمد حرب ، دار القلم، الطبعة الثالثة 1412هـ/1991م.
43. السودان بين يدي غوردن وكتشنر، ابراهيم فوزي، الجزء الأول 1319هـ.
44. سنن ابن ماجة للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد فؤاد عبدالباقي، دار التراث العربي.
45. سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، حمص، الناشر محمد السيد.

(ش)
46. الشهيد، العدد الخامس مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.

(ص)
47. صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الطباعة العامرة باستانبول1315هـ، المكتب الإسلامي، استانبول، تركيا.
48. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القسيري النيسابوري، دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى 1412هـ/1991م.
49. صحيح الجامع الصغير وزيادته، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، الطبعة الاولى 1388هـ.
50. صفحات خالدة من الجهاد، زعيمة الباروني، بيروت 1968م.
51. صلات بين ليبيا وتركيا (التاريخية والاجتماعية) طرابلس الغرب - ليبيا 1968م.
52. صحافة ليبيا في نصف قرن، علي مصطفى المصراتي ، دار الكشاف ، بيروت 1960م.
53. صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا، محمد عيسى ، جامعة الكويت الحولية الاولى عام 1980م.

(ط)
54. الطريق الى لوزان، الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الايطالي لليبيا، ط1 1398هـ/1978م، محمد عبدالكريم الوافي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا.
55. الطريق الى الاسلام، محمد اسد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، 1981م.

(ع)

56. عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، لعبدالمحسن العباد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الاولى 1402هـ.
57. العلاقات الليبيية التشادية، سعيد عبدالرحمن ، مركز دراسات الجهاد الليبي.
58. العدوان الحرب بين ايطاليا وتركيا، مكتبة الفرجاني عام 1965م، محمد مصطفى بازامة.

(غ)

59. الغزو الايطالي لليبيا، عبدالمنصف حافظ البوري الدار العربية للكتاب، طبعة 1983م.

(ف)

60. الفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية، لعبدالقادر بن الملك بن علي، مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق، عام 1956م.
61. قضية ليبيا، محمود الشنيطي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1951م.
62. قادة فتح بلاد المغرب، محمود خطاب، الطبعة السابعة عام 1404هـ/1984م دار الفكر.

(ك)

63. كفاح الشعب الليبي في سبيل حريته، عبدالرحمن عزام، ترجمة عماد غانم (مخطوطة محفوظة بمركز الجهاد).

(ل)

64. ليبيا في العهد العثماني الثاني (1835-1911م) ترجمة يوسف العسلي، مطبعة الحلبي، القاهرة 1946م.
65. ليبيا قبل الاحتلال الايطالي، احمد الدجاني.

(م)

66. منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبدالحفيظ سويد، مؤسسة الريان، الطبعة الخامسة 1414هـ-1994م، الناشر مكتبة المنار الاسلامية الكويت.
67. المهدي السنوسي، محمد الطيب الأشهب، مطبعة بلينوماجي - طرابلس.
68. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن لاقيم الجوزية، تحقيق الشيخ عبدالفتاح ابوغدة، طبع مكتب المطبوعات الاسلامية ، جميعة التعليم الشرعي ، حلب، 1390هـ.
69. مقدمة ابن خلدون ، لعبدالرحمن بن خلدون.
70. مسند الامام احمد بن محمد بن حنبل.
71. مجلة البحوث التاريخية، عدد (1)، السنة الاولى ، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي يناير 1979م.
72. المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العباسية ، محمود ثابت الشاذلي، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الاولى عام 1409هـ/1989م.
73. مجلة المنار ، محمد رشيد رضا، المجلد الثاني عشر.
74. المغرب الكبير، د.جلال يحيى، دار النهضة العربية، بيروت طبعة عام 1981م.
75. مذكرات الضباط الاتراك حول معركة ليبيا، اورخان قول اوغلو، ترجمة وجدي كدك، مراجعة د.عماد حاتم، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، سلسلة المذكرات التاريخية ، طبعة عام 1979م.
76. ميلاد دولة ليبيا، محمد فؤاد شكري، مطبعة الاعتماد القاهرة، عام 1957م.

(ن)

77. (النهاية ، الفتن والملاحم) للحافظ اسماعيل بن كثير، تحقيق د. طه زيني، دار النصر للطباعة، الناشر دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الاولى.
78. نظم المتناثر في الحديث المتواتر، للشيخ جعفر الحسني الادريسي الكتاني، دار الكتب العلمية ، بيروت 1400هـ.
79. نشأة الحركة العربية الحديثة، محمد عزة.

فهرس

صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي (7)

هذا الكتاب يتحدث عن الأثر الدعوي والجهادي للحركة السنوسية في ليبيا، والشمال الافريقي، والصحراء الكبرى، ومالي ، والنيجر، وتشاد وغيرها من الدول من خلال سيرة الزعيمين محمد المهدي السنوسي، واحمد الشريف، فالإمام محمد المهدي السنوسي يعتبر الزعيم الثاني للحركة السنوسية، وكانت سيرته مليئة بالدروس والعبر، والعظات ، وتوسعت الحركة في زمنه اكثر من اربعة أضعاف على ماكانت عليه وحققت انتصارات عظيمة للاسلام في افريقيا بسبب اخلاصه، وصدقه في الدعوة، وتفانيه في العمل، وشجاعته النادرة، ورجولته الصادقة، وسيرته الرشيدة المستمدة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ففي هذا الكتاب يحاول الباحث ان يجيب القارئ الكريم عن كثير من الاسئلة التي تتعلق بسيرة محمد المهدي السنوسي : كيف طلب العلم؟ وكيف تولى زعامة الحركة؟ وهل كان له مجلس شورى؟ وهل تطورت مؤسسات الحركة في عهده؟ وماهي اسباب نمو الحركة؟ وهل كان هناك اهتمام خاص في زمنه بالمنهج التربوي الجهادي؟ ولماذا هذا الاهتمام ؟ وما موقف الدول الأوروبية من الحركة السنوسية؟ وماموقف محمد المهدي من الثورة العرابية في مصر، وثورة محمد احمد في السودان ؟ وماموقفه من الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الاسلامية؟ وماحقيقة الصراع بين فرنسا والحركة السنوسية؟

هذه الاسئلة وغيرها يجد القارئ لها إجابات من خلال البحث التاريخي.

أما سيرة الزعيم الثالث للحركة السنوسية السيد احمد الشريف السنوسي، فيجد القارئ شيئاً من سيرته في هذا الكتاب الذي يحاول أن يعرّف أبناء الأمة عموماً وليبيا والشمال الافريقي خصوصاً بهذا السيد الصنديد والعالم الجليل، والعابد الخاشع، والمجاهد الشجاع، والمهاجر الحزين بقصته الدعوية، وسيرته الجهادية ، وأعماله البطولية سواء ضد فرنسا في تشاد والنيجر ومالي وجنوب الجزائر عبر الصحراء الكبرى ، أو ضد إيطاليا في ليبيا أو بريطانيا في مصر، ويجد القارئ الكريم إجابة لكثير من الاسئلة المتعلقة بالسيد احمد الشريف. كيف تولى زعامة الحركة؟ وهل خاض الحروب بنفسه ضد فرنسا؟ ومن هم القادة الذين كانوا معه؟ وماموقفه من الغزو الايطالي؟ وهل وافق على الصلح الذي تم بين تركيا وايطاليا؟ وماهي آثار حملته ضد بريطانيا على حركة الجهاد؟ وماهي الأسباب في هجرته الى تركيا؟ وماموقفه من مصطفى كمال؟ ولماذا هاجر من تركيا؟ وكيف كان استقبال الملك عبدالعزيز له؟ ومتى توفى؟

اسئلة كثيرة يحاول الباحث أن يجيب عليها في هذا الكتاب بإذن الله تعالى، والله من وراء القصد والهادي الى سواء السبيل.

الفقير عفو ربه ومغفرته ورحمته

المؤلف